موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

آيات الله في الإنسان

الباب الأول : مقدمات عن هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم ، وسخر له الكون تسخير تعريف وتفضيل ، ووهبه نعمة العقل ، وفطره فطرة تنزع إلى الكمال ، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات ، ومنحه حرية الإرادة ليعجل علمه ثميناً ، وأنزل كتباً أحل له بها الطيبات ، وحرم عليه الخبائث ، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده ، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة

إنّ الحقَّ لابَسَ خلقَ السماواتِ والأرض ، وهو الشيءُ الثابتُ والهادفُ ، بخلافِ الباطل ، فإنه الشيءُ الزائلُ والعابثُ ، إنّ الحقَّ دائرةٌ تقاطعُ فيها أربعةُ خطوطٍ ؛ خطُّ النقلِ الصحيح، وخطُّ العقلِ الصريح، وخطُّ الفطرةِ السليمةِ، وخطُّ الواقع الموضوعيِّ، فالنقلُ الصحيحُ كلامه سبحانه وتعالى ، مع بيان المعصوم عليه الصلاة والسلام ، والعقلُ الصريحُ ميزانٌ من خلق الله أودعه اللهُ في الإنسان ليتعرفَ من خلالهِ إلى الله ، والفطرةُ ميزانٌ آخرُ متطابق مع الشرع الإلهيِّ ، وهو مركوزٌ في أصل كيانِ الإنسان ليكشفَ من خلالها خطأه ، والواقعُ خلقُ الله تحكمهُ القوانينُ التي قننها اللهُ جل جلاله ، فإذا كانت هذه الفروعُ الأربعةُ من أصلٍ واحدٍ فهي مطابقة فيما بينها

يقومُ دين الله بشرائعهِ المتعددةِ على أصلين لا ثالث لهما ، قال تعالى:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)}

[الأنبياء : ٢٥]

فالأصلُ الأولُ معرفةُ الله موجوداً وواحداً ، وكاملاً ، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وهذا هو التوحيد، والأصلُ الثاني معرفةُ منهجه من أجل عبادته التي هي علةُ وجودِ الإنسان ، وهي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبةٍ قلبيةٍ ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادةٍ أبديةٍ ،)وهذه هي العبادةُ فالتوحيدُ قمةُ العلم ، والعبادةُ قمةُ العمل

إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه ، وخلق العوالم ، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة

بالغة الدقة ، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية ، وهو تلازم شيئين وجوداً وعدماً ، أحدهما قبل الآخر ، فنسمي الأول سبباً ، ونسمي الثاني نتيجة ، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدإ السببية ، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون سبب ، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون ، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب ، الأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

ومن رحمة الله بنا أيضاً أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات ، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية ، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ، ولم ينتفع بعقله ، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها ، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة ، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً ـ في زعمه ـ على الله فقد عصى ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه السنن ، أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج ، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها ، يأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ويعتمد على الله ، وكأنها ليست بشيء ، معتقد أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله ، وهذا هو التوحيد الإيجابي ، الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين ، قال تعالى:

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦)}

[يوسف : ١٠٦]

لكن هذا النظام نظام السببية يخرق أحياناً متى وكيف ؟

حينما يأتي إنسان ويقول إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهج الله لابد من أن يطالبه الناس ببرهان، على أنه رسول الله ، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله ، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي ، ومصداقية منهجه ، والمعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه ، ولا يستطيعها إلا خالق الكون ، لأنه هو الذي وضع القوانين،والنواميس، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم ، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم ، والمعجزة ممكنةٌ عقلاً غير مألوفة عادةً ، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، وأن يعلن

عجزه ، عن فهم هذا الشيء ، فعدم العلم بالشيء لا يلزم العلم بعدمه
ولكن لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات ، عن جزئياتها ، وعن وقوعها ، أو توهمها ، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في الإيمان بالله ، موجوداً ، وواحداً ، وكاملاً ، والإيمان أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وفعال لما يريد ، إذا كان هذا الأصل محل إنكار أو شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً ، فالناس يخاطبون عادةً بأصول الدين ، والمؤمنون يخاطبون بفروع الدين ، والحديث عن المعجزات من فروع الدين ، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات ثم إن الكون بمجراته وكازاراته ، وكواكبه ومذنباته ، بالمسافات البينية ، والسرعات الضوئية بحجوم النجوم ، بدورانها ، وتجاذبها ، وإن الأرض بجبالها ، ووديانها ، وسهولها ، وقفارها ، ببحارها ، بحيراتها ، بينابيعها ، وأنهارها ، بحيواناتها ، ونباتاتها ، بأسماكها ، وأطيارها ، بمعادنها ، وثرواتها ، وإن الإنسان بعقله ، وعاطفته، وأعضاءه ، وأجهزته ، بفطرته ، وطباعه ، بزواجه ، وذريته ، هذه كلها معجزات ، وآية معجزات، وبكلام مجمل الكون بسماواته وأرضه ، هو في وضعه الراهن ، من دون خرق لنواميسه من دون خروج عن نظامه ، هو في حد ذاته معجزة ، وأية معجزة والدليل قوله تعالى:

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)}

[آل عمران : ١٩٠ - ١٩١]

غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله ، وغفلته عن خالقه ، ولطول ألفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز في الكون ، ويغفل عن عظمة الخالق فيما خلق ، فيحسب جهلاً منه ، وغروراً أن المعجزة هي تكلم التي تخالف ما ألف واعتاده ، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل فيتخذ مما ألفه واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء ، أو كفره بها ، وهذا جهلٌ عجيبٌ في الإنسان ، على الرغم من ارتقاءه في مدارج المَدَنيَّةِ والعلم ، فتأمل يسيرٌ من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق هذا الكون المعجزَ ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى ، أو أن يبدل ، أو أن يغير في بعض أنظمته التي خلق العالم وفقها

يقول بعض العلماء الغربيين القدرة التي خلق العالم لا تعجز عن حذف شيء منه ، أو إضافة شيء إليه ، ولو لم يكن هذا العالم موجوداً ، ولو قيل لرجل ممن ينكر المعجزات والخوارق سيوجد عالم صفته كذا وكذا ، فإنه سيجيب فوراً هذا غير معقول ، ولا متصوِّر ، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير

من إنكاره بعض المعجزات

والشيء المهم هما أن نعلم أن الرسل السابقين بُعثوا لأقوامهم ليس غير ، فكانت معجزاتهم حسية ، محدودة بالزمان والمكان الذي بعثوا فيه ، إذن معجزاتهم كتألق عود الثقاب ، وقعت مرة واحدة ، وأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه ، ويكذبه من يكذبه

أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، فينبغي أن يكون من معجزاته ما هو مستمر ، ولذلك كانت آيات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة معجزة علمية نصية

ففي القرآن الكريم ألفٌ وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون ، وعن خلق الإنسان ، وهذه الآيات تتقرب من سدس القرآن ، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة ، وآيات النهي تقتضي الترك ، فماذا تقتضي آيات الكون ؟ إنها تقتضي التفكر ، لذلك ورد في الأثر:

(تفكر ساعة خير من قيام ليلة)

مصنف غبن أبي شيبة من قول الحسن البصري ٣٥٢٢٣، وشعب البيهقي قول أبي الدرداء ١١٨

ولحكمة إلهية بالغة لم يفسر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآيات ؛ إما باجتهاد منه ، أو بتوجيه من الله جلت حكمته ، لأنه لو فسرها على النحو يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده ، ولو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله

لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة ، ليكشف التقدم العلمي في كل عصر جوانب الإعجاز فيها ، وبهذا يكون القرآن الكريم ، بما فيه من آياتٍ كونية معجزة مستمرة إلى يوم القيامة

العلم

والعلم كما يرى بعض العلماء ؛ علم بالله ، وعلم بأمره ، علم بخلقه ، أو علم بالحقيقة ، وعلم بالشريعة ، وعلم بالخليقة ، والعلم بالله اصل الدين ، والعلم بأمره أصل العبادة ، والعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا .

لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله ، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض ، حيث تتابع الأمر به من سور القرآن ، وعد الأساس الأول للبناء دعائم العقيدة والإيمان قال تعالى

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)}

[الطارق : ٥ - ٧]

وقال تعالى :

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩)}

[عبس : ٢٤ - ٢٩]

وقال أيضاً :

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)}

[الغاشية : ١٧ - ٢٠]

وقال تعالى :

{قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)}

[يونس : ١٠١]

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوعٌ من العبادات ، بل هو من أرقى العبادات ،

ففي صحيح ابن حبان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت :

(........أتاني النبي عليه الصلاة والسلام في ليلتي وقال ذريني أتعبد لربي عز وجل ، فقام إلى القربة ، فتوضأ ، ثم قام يصلي ، فبكى حتى بل لحيته ، ثم سجد حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنه ، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ويحك يا بلال ، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب

صحيح ابن حيان ٦٢٠

انظر إلى الشمس ، وسل من رفعها ناراً ، ومن نصبها مناراً ، ومن ضربها ديناراً ، ومن علقها في الجو ساعة ، يدب عقربها إلى قيام الساعة ، ومن الذي آتاها معراجها ، وهداها أدراجها ، وأحلها أبراجها ونقل في سماء الدنيا سراجها ، الزمان هي سبب حصوله ، ومن شعب فروعه وأصوله ، وكتابه وفصوله ، لولاها ما اتسقت أيامه ولا انتظمت شهوره وأعوامه ، ولا اختلف نوره وظلامه ، ذهب الأصيل من مناجمها ، والشفق يسيل من محاجمها ، تحطمت القرون على قرنها ، ولم يمح التقادم لمحة حسنها

لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)}

[فصلت : ٥٣]

وانظر إلى القلب ، في فعله وأثره ، وغرضه ووطره ، وقدره وقدره ، وحيطانه وجدره ، ومنافذه

وحجره ، وأبوابه وستره ، وكهوفه وحفره ، وجدوله وغديره ، وصفائه وكدره ، ودأبه وسهره ، وصبره وحذره ، وعظيم خطره ، لا يغفل ولا يغفو ، ولا ينسى ولا يسهو ، ولا يعثر ولا يكبو ، ولا يخمد ولا يخبو ، ولا يمل ولا يشكو ، وهو دائبٌ صبور ، بأمر الذي أحسن خلقه ، وأعد له وعدته ، وأقود فيه جذوته وقدر له أجله ومدته ، يعمل من دون راحةٍ ، ولا مراجعة ولا توجيه

لقد صدق الله العظيم إذ يقول

{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)}

[فصلت : ٥٣]

وانظر مع سيدنا علي رضي الله عنه انظر إلى النملة في صغر جثتها ، ولطافة هيئتها ، لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها ، وصبت على رزقها ، تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها في مستقرها ، تجمع من حرها لبردها ، ومن وردها لصدرها ، مكفولة برزقها ، مرزوقة بوسقها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو في الصفا الوابد ، والحجر الجامد ، ولو فكرت في مجاري أكلها ، في علوها وسفلها ، وما في الجوف من شراسيف بطنها ، وما في الرأس من عينها وأذنها ، لرأيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها ، وبناها على دعائمها ، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر

لقد صدق الله العظيم إذ يقول :

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)}

[الأنعام : ٣٨]

هذا عن العلم بالله ، علم الحقيقة ، فماذا عن العلم بأمر الله ، علم الشريعة ؟

إن الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض ، فعرف الله خالقاً ومربياً ومسيراً ، وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، يشعر بدافع قويٍّ إلى التقرب إليه من خلال امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، عندها يأتي علم الشريعة ليبين أمر الله ونهيه ، في العبادات والمعاملات والأخلاق والشريعة عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة ، وإن أدخلت عليها بألفِ تأويل وتأويلٍ .

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه :

(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

البخاري ٧١، مسلم ١٠٣٧عن معاوية

بقي علم الخليفة، لقد دعا الإسلام إلى العلم بضائع الأشياء وخصائصها ، والقوانين التي يحكم تحكم العلاقة بينها ، كي نستفيد منها ، تحقيقاً لتسخير الله جل وعلا الأشياء لنا قال تعالى :

{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠)}

[لقمان : ٢٠]

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)}

[الحديد : ٢٥]

وتعلم العلوم المادية يحقق عمارة الأرض عن طريق استخراج ثرواتها ، واستثمار طاقاتها ، وتذليل الصعوبات ، وتوفير الحاجات تحقيقاً لقوله تعالى :

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)}

[هود : ٦١]

وتعلم العلوم المادية ، والتفوق فيها قوة ، يجب أن تكون في أيدي المسلمين ، ليجابهوا أعداءهم ، أعداء الحق والخير والسلام ، تحقيقاً لقوله تعالى

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)}

[الأنفال : ٦٠]

ولأن قوة هذا العصر في العلم ، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين ، بل هي حرب بين عقلين ، فينبغي أن يكون المسلم قوياً لأن الحق الذي يحمله يحتاج إلى قوة ، قد قال عليه الصلاة والسلام :

(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير)

مسلم ٢٦٦٤عن أبي هريرة

في القرآن والسنة

إن معجزة القرآن العلمية لتظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته ، فهي ظاهرة في نظمه ، وفي إخباره عن الأولين ، في إنبائه بحوادث المستقبل ، وفي ظهور حكم التشريع وغيرها ، ولقد شاع

مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة على أوجه الإعجاز في القرآن والسنة ، والتي كشفت عنها العلوم الكونية ، والمعجزة في اصطلاح العلماء أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة .

وإعجاز القرآن يُقصد به تحدي القرآن الناس أن يأتوا بمثله ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم ، الذي هو حقيقة ، مقطوع بها ، تطابق الواقع ، عليها دليل ، فإذا لم يكن مقطوعاً بها كانت وهماً ، أو شكاً ، أو ظناً ، إذا لم تطابق الواقع كانت جهلاً ، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليداً .

والإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مما يظهر أو يؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى ، والمعجزة القرآنية ـ بما تتضمنه من حقائق علمية ـ دليل على عالمية الرسالة الإسلامية .

لمّا كان قبل محمد عليه الصلاة والسلام يبعثون إلى أقوامهم خاصة ، ولأزمنة محدودة ، فقد أيدهم الله ببينات حسية ، مثل عصا موسى عليه السلام وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام ، وتستمر هذه البيانات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول ، حتى إذا تطاول الزمن ، وتقادم ، وتكدر نبع الرسالة الصافي ، اختفت قوة الإقناع الحسية ، وبعث الله رسولاً آخر بالدين الذي يرضاه ، وبمعجزة جديدة ، وبينة مشاهدة ، ولما ختم الله النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام ضمن له حفظ دينه ، وأيده ببينة كبرى ، تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة ، قال تعالى :

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)}

[الأنعام : ١٩]

وقال تعالى :

{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)}

[النساء : ١٦٦]

وفي هاتين الآيتين اللتين نزلتا رداً على تكذيب الكافرين بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام بيان لطبيعة المعجزة العلمية التي تبقى بين أيدي الناس وتجدد مع كل فتح بشري ، في آفاق العلوم والمعارف ، ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي .

وهكذا تسطع بينة الوحي المنزّل على محمد عليه الصلاة والسلام بما نزل فيه من علم إلهي يدركه الناس في كل زمان ومكان ، ويتجدد على مر العصور والدهور ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام

((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))

البخاري ٤٦٩٦، مسلم ١٥٢عن أبي هريرة

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث**(... رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته ، وعموم نفعه ، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر ، ومن غاب ، ومن وجد ، ومن سيوجد فحسن ترتيب ذلك وقيل المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه ، وبلاغته ، وأخباره بالمغيبات ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه...)**

فتح الباري ٩٧بتصرف يسير

ولأن القرآن معجزة مستمرة لكل الخلق إلى يوم القيامة فإن بينة القرآن العلمية يدركها العربي والأعجمي على حد سواء ، وتبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة ، ففي القرآن أنباء نعرف المقصود منها لأنها بلسان عربي مبين ، لكن حقائقها وكيفيتها لا تتجلى إلا بعد حين قال تعالى :

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)}

[ص : ٨٧ - ٨٨]

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه ، فإذا تجلى الحدث ماثلاً للعيان ، أشرقت المعاني التي كانت تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن ، كما في قوله تعالى:

{لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)}

[الأنعام : ٦٧]

ويبقى النبأ الإلهي محياً بكل الصور التي يتجدد ظهورها عبر القرون ،قال تعالى :

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨)}

[النحل : ٨]

لقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل وشيوع الخرافة ، والكهانة ، والسحر ، والتنجيم في العالم كله ، وكان للعرب النصيب الأوفى من هذه الجاهلية والأمية كما بيّن القرآن ذلك بقوله :

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)}

[الجمعة : ٢]

في ذلك العصر ، وعلى تلك الأمة نزل الوحي ، وفيه علم الله ويصف أسرار الخلق في شتى الآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية ، ويقرر البداية في الماضي ، ويصف أسرار الحاضر ، ويكشف غيب المستقبل ، الذي ستكون عليه ستائر المخلوقات .

عندما دخل الإنسان في عصر الاكتشاف العلمية ، وامتلك أدق أجهزة البحث العلمي ، وتمكن من حشد جيوش من الباحثين في شتى المجالات ، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء وفي مجالات النفس البشرية ، يجمعون المقدمات ، ويرصدون النتائج ، في رحلة طويلة عبر القرون ، ولما أخذت الصورة في الاكتمال ، والحقيقة في التجلي ، وقعت المفاجأة الكبرى تجلي أنوار الوحي الإلهي الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من ألف و أربعمئة عام ، بذكر تلك الحقيقة في آية القرآن أو بعض أية ، أو في حديث أو بعض حديث ، بدقة علمية معجزة ، وبعبارات مشرقة ، وبهذا أنبأنا القرآن الكريم فقال :

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)}

[فصلت : ٥٢ - ٥٣]

وقال أحد العلماء:

((وأما الطريق العياني فهو أن يرى العباد من الآيات الآفاقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حقٌ))

وقال عالم آخر ((1الآفاق تعني أقطار السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار والرعد ، والبرق ، والصواعق ، والنبات والأشجار ، والجبال ، والبحار ، وغيرها)) وروي هذا عن عدد من أئمة التفسير

1هو قول عطاء وابن ويد ، كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره ٥ ٣٧٤١

فهذه آيات الله في كتابه تتحدث عن آياته في مخلوقاته ، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع في عصر الكشوف العلمية في آفاق الكون

إننا على وعد من الله عز وجل ، بأن يرينا آياته ، فيتحقق لنا بهذه الرؤيةالعلم الدقيق بمعاني هذه الآيات .

كما قال تعالى:

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)}

[النمل : ٩٣]

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله ، متجدد ومستمر ، بكشف آيات الكون ، وفي

كتابه ، أمام الأبصار ، لتقوم الحجة والبرهان ، وتظهر المعجزة للعيان .

والفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي هو أن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو الحديث ، في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية.

أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام .

قواعد وأسس أبحاث الإعجاز العلمي :

1- علم الله ، هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ، ولا يشوبه نقص ، وعلم الإنسان محدود، وقابل للازدياد ومعرض للخطأ .

2- هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة ،كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية .

3- في الوحي نصوص ظنية في دلالتها ، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها .

4- لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي ، فإن وقع في الظاهر فلابد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية أحدهما ، وهذه قاعدة جلية قررها علماء المسلمين ، وقد ألف غير واحد من العلماء كتاباً تؤكد حتمية توافق العقل مع النقل .

عندما يري الله عباده آية من آياته في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتاب ، أو حديث من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يتضح المعنى ويكتمل التوافق ، ويستقر التفسير ، وتتحدد دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية ، وهذا هو الإعجاز

إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(بعثت بجوامع الكلم)

البخاري ٢٨١٥، مسلم ٥٢٣عن أبي هريرة

مما يدل على أن النصوص التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابعت في ظهورها جيلاً بعد جيل .

إذا وقع التعارض بين دلالةٍ قطعيةٍ للنص ، ونظرية علمية رفضت هذه النظرية ، لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علما وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية ، وإذا كان النص ظنياً ، والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها ، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيتقدم القطعي منهجية أبحاث الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف وكلام المفسرين

إن كلام الخالق سبحانه عن أسرار خلقه في الآفاق وفي الأنفس غيب قبل أن يرينا الله حقائق تلك الأسرار ، ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها ، إلا ما سمعنا عن طريق الوحي ،

وكان السلف لا يتكلفون ما لا علم لهم به ، إن معاني الآيات المتعلقة بالأمور الغيبية ، ودلالتها اللغوية معلومة ، ولكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة ، وإن من وصف حقائق الوحي الكونية دقائقها وتفاصيلها بعد أن كشفها الله وجلاها للأعين غير من وصفها من خلال نص يسمع ولا يرى مدلوله الواقعي لأن وصف من سمع وشاهد غير من سمع فقط .

ولقد وفق السلف الصالح من المفسرين كثيراً من شرحهم لمعنى الآيات القرآنية على الرغم من احتجاب حقائقها الكونية ، مع أن المفسر الذي يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية في الآفاق والأنفس ، وهي محجوبة عن الرؤية في عصره ، قياساً على ما يرى من المخلوقات ، في ضوء ما سمع من الوحي ، يختلف عن المفسر الذي كشفت أمامه الآية الكونية ، فجمع بين ما سمع من الوحي، وما شاهد في الواقع .

ونظراً لعدم خطورة ما يتقرر في مجال الأمور الكونية على أمر العقيدة يوم ذاك ، لم يقف المفسرين بها عند حدود ما دلت عليه النصوص ، بل حاولوا شرحها بما يسر الله لهم من الدراية التي أتيحت لهم في عصورهم ، وبما فتح الله به عليهم من أفهام ، وكانت تلك الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون عبر القرون لشرح نصوص الوحي المتعلقة بالأمور الكونية ـ التي لم يكشف في عصرهم ـ مبينة لمستوى ما وصل إليه الإنسان من علم ، في تلك المجالات ، ومبينة لمدى توفيق الله لهؤلاء المفسرين ، فإذا ما حان حين مشاهدة الحقيقة في واقعها الكوني ، ظهر التوافق الجلي بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين ، وظهرت حدود المعارف الإنسانية المقيدة بقيود الحس المحدود ، والعلم البشري المحدود بالزمان والمكان ، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً

وكتب الله التوفيق للمفسرين فيما شرحوه من آيات وأحاديث متعلقة بأسرار الأرض والسماء ، بفضل اهتدائهم بنصوص الوحي المنزل ، ممن يعلم السر في الأرض والسماء ، ومسترشدين بما علمهم من دلالات الألفاظ ومعاني الآيات .

أوجه الإعجاز العلمي :

1ـ التوافق الدقيق بين ما في النصوص الكتاب والسنة ، وما كشفه علماء الكون من حقائق وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزل القرآن .

2ـ تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق .

3ـ إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المتعلقة بالكون وجدت بعضها يكمل الآخر ، فتتجلى بها الحقيقة ، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن ، وفي مواضعها في الكتاب

الكريم ، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض .

4ـ سن التشريعات الحكيمة ، التي قد تخفى حكمتها على الناس وقد نزول القرآن ، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات .

5ـ عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره ـ على كثرتها ـ والحقائق العلمية المكتشفة ـ على وفرتها ـ مع وجود الصدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات ، ووجود الصدام بين العلم ، وما قررته سائر الأديان المحرفة والمبدلة .

ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة :

1ـ أن تراعي معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي ، وأن تراعي القواعد النحوية ودلالاتها ، وأن تراعي القواعد البلاغية وخصائصها ، ولاسيما قاعدة ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية .

2ـ البعد عن التأويل من النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ودلالة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام .

3ـ ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر ، بل أن تجعل الحقائق هي الأصل فما وافقها قبل ، وما عارضتها رفض .

4ـ ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض والنظريات التي ما تزال موضع فحص وتمحيص ، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن ، لأنها عرضه للتصحيح والتعديل ، بل للإبطال في أي وقت

وإذا كان النقص يعتري بعض الدراسات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، فلا يصح أن يكون ذلك حكماً ينسحب عليها جميعها وإن هذا ليوجب على القادرين من علماء الإسلام أن يسارعوا إلى خدمة القرآن والسنة في مجال العلوم الكونية ، كما خدمها السلف في مجال اللغة ، والأصول ، والفقه ، وغيرها من مجالات العلوم الشرعية ، فنحن أمام معجزة علمية كبرى تنحني أمامها جباه المنصفين من قادة العلوم الكونية في عصرنا .

والطرف الآخر من أعداء الإسلام اتخذوا من المقولات المترجلة والمتسرعة في موضوع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ذريعة لا تقدر بثمن ـ بالنسبة إليهم ـ لنقض آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام من خلال نقض النظرية العلمية الفجة التي لم تثبت ، فينبغي للباحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة أن يبالغ في التحقيق والتثبت والتريث قبل أن يربط آية في كتاب الله ، أو حديثاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام مع مقولة تتوهم أنها تنتمي إلى العلم ، والعلم منا

براءٌ .

ومجمل القول إن التفسير العلمي للقرآن والسنة مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ، ولم تستقر ، ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية المقطوع بها ، ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن قواعد اللغة العربية ، ومدلولات مفرداتها في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً ، وتجعل القرآن تابعاً ، مرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر ، أو دل عليه صحيح السنة ، وهو مرفوض ممن هب ودي من الذين لم يتحققوا في أخذهم ، ولم يثبتوا في إلقائهم ، وهم يزعمون أنهم على علم ، والعلم منهم براءٌ ؛ وهو مقبول بعد ذلك ممن التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير والتزم ما تفرضه حدود اللغة ، وحدود الشريعة، وامتاز بالتحري ، والاحتياط ، والضغط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله ، وهو مقبول ممن رزقه الله علماً بالقرآن والسنة ، وعلماً بالسنن الكونية معاً ، فلا بد من أن يكون النص الذي موضوع الإعجاز قطعي الثبوت والدلالة ، وأن يكون الجانب العلمي مقطوعاً بصحته ، وأن يكون التطابق عفوياً وتاماً ، لا مفتعلاً أو متكلفاً .

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها :

إذا كان المعاصرون لرسول الله عليه الصلاة والسلام قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات ، فإن الله أرى أهل هذا النصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم ، ويتبين لهم بها أن القرآن حق ، وتلك البينة هي بينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء كإذعانهم للعلم ، على اختلاف أجناسهم وأديانهم .

لقد جعل الله النظر في ملكوت السماوات والأرض الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقاً إلى الإيمان به ، وطريقاً إلى الإيمان برسوله ، وطريقاً إلى الإيمان بدينه الحق ،الذي يدعو إلى العلم ، والعلم يدعو إليه .

وإن بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم ووضعه في مكانه الصحيح ، وجعله طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله ومصدقاً لما في القرآن ، ودليلاً على أحقية الإسلام

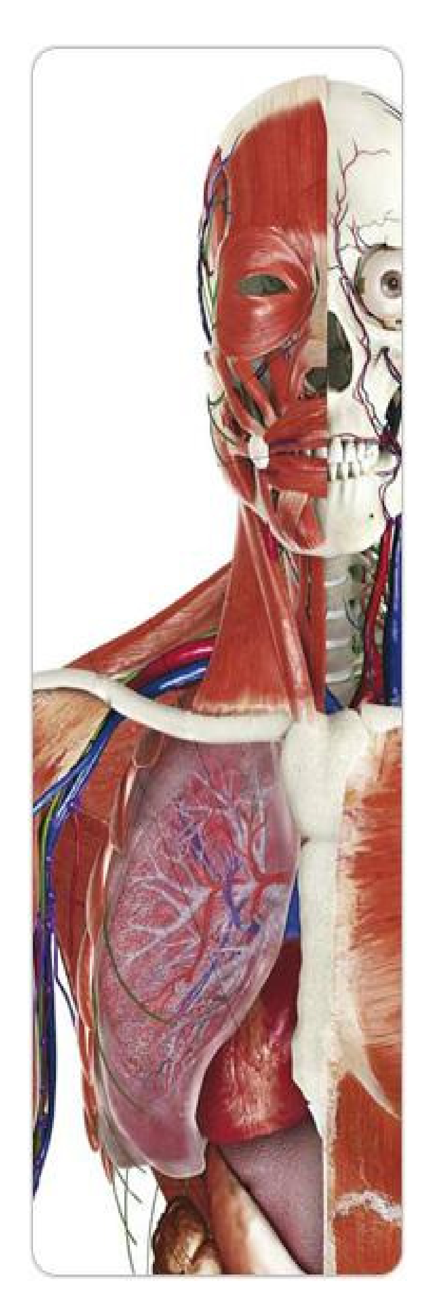
إن التفكر في خلق السماوات والأرض عبادة من أجل العبادات والتفكر في معاني الأحاديث عبادةٌ من أرفع المستويات ، وتقديمها للناس دعوة خالصة إلى الله خالق الأرض والسماوات ، وهذا كله متحقق في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وهذا من شأنه أيضاً أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون ، بدوافع إيمانية تعبر بهم فترة التخلف التي عاشوها حقبة من الزمن في هذه المجالات ، وسيجد الباحثون المسلمون في كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته أدلة تهديهم في أثناء

سيرهم في أبحاثهم ، تقرب لهم النتائج ، وتوفر لهم الجهود .

إذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تقوية إيمان المؤمن ، ودفع الفتن التي ألبسها الإلحاد ثوب العلم عن قول المسلمين ، وفي دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين القويم ، وفي فهم ما خوطبنا به في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وفي حفز المسلمين إلى الأخذ بأسباب النهضة العلمية التي تتوافق مع الدين ؛ تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات *

[بعض أفكار مقدمة الكتاب والسنة مقتبسة من بحث في الإنترنيت عنوانه الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً ، للدكتور زغلول النجار]

الباب الثاني : الإنسان



01 - معجزة الكون

ما معنى قوله تعالى : كن فيكون، وما هي الحكمة الربانية في تعطيل الأسباب أحياناً ؟

أيها الأخوة المؤمنون، هناك حقيقةٌ لا بدَّ من تقريرها، وهي أن ينتقل الإنسان من مكة إلى المدينة، ويعود إلى بيته، ولمّا يبرد فراشه، ثم يعرج من مكة إلى بيت المقدس، ومن بيت المقدس إلى السماء ويعود، هذا خرقٌ للعادات، هذا خرقٌ للمألوف .

أيها الأخوة الأكارم، الأشياء المألوفة، وغير المألوفة، الأشياء المعتادة، وغير المعتادة ، الأشياء التي نعرفها معقولةً، والأشياء التي يظنُّها بعض الناس غير معقولة، إنها في قدرة الله سواء، لأن أمر الله تعالى: كن فيكون، ألم تقرؤوا قول الله عزَّ وجل:

(قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

[سورة الأنبياء الآية: ٦٩]

النار لا تحرق إلا بإرادة الله، فإذا شاء الله لها أن تحرق أحرقت، وإذا لم يشأ لم تحرق، والماء مائعٌ بمشيئة الله، فإذا شاء له أن يكون يبساً صُلباً، صار يبساً صلباً، كما فعل الله عزَّ وجل مع سيدنا موسى:

(قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ)

[سورة الشعراء الآية: ٦١-٦٣]

وأصبح البحر طريقاً يبسا، لماذا يخرق الله العادات؟ لأنك إذا رأيت أن هذا الشيء نتيجةٌ لهذا السبب، وظننت أن هذا السبب هو خالق هذا الشيء، وقعت في الشرك وأنت لا تدري، خالق الشيء هو الله سبحانه وتعالى، وهذا السبب رافق النتيجة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكنَّ الذي يخلق الإحراق في النار هو الله، والذي يخلق الانتقال بلمح البصر من مكانٍ إلى مكان هو الله، خالق الزمان عطَّل شرط الزمان، خالق المكان عطَّل شرط المكان، لذلك حكم الإسراء والمعراج، حكم أية معجزةٍ وردت في القرآن الكريم .

الكون معجزة :

شيءٌ آخر، وهو الأهم، إن الأشياء المألوفة وغير المألوفة كلاهما معجزة، ألا تنظر إلى البقرة، وهي تعطيك الحليب؟ لو اجتمع أهل الأرض، لو اجتمع علماء الكيمياء العضوية في العالم، على أن يصنعوا

من هذا النبات الأخضر حليباً فيه قِوام غذائنا، لما استطاعوا، أليست البقرة معجزة؟ أليست هذه الدجاجة معجزة؟ أليس خلق الإنسان معجزة؟ أليس إنباتُ النبات معجزة؟ أليس هطول الأمطار معجزة؟ .

أنت محاطٌ بملايين ملايين المعجزاتِ وأنت لا تدري، ورد في الأثر:

((حسبكم الكون معجزة))

الكون معجزة، هذا الطفل الصغير تعرف من أنه ماءٍ مهين، من حوينٍ صغير، هذا الحوين لا يرى بالعين، تنطلق من الرجل ثلاث مئة مليون حوين، وكل حوين له رأس، وله عنق، وله ذيل، وهو يسبح، وفي رأس هذا الحوين مادةٌ نبيلة مغطاةٌ بغشاءٍ رقيق، إذا اصطدمت بالبويضة تمزَّق الغشاء، وساهمت هذه المادة بإذابة جدار البويضة، والدخول إليها، دخل الحوين إلى البويضة، انقسمت عشرة آلاف قسم، وهي في طريقها إلى الرحم، من دون أن يزداد حجمها، خلق الإنسان معجزة .

بعد أن يولد الإنسان يتكون الدماغ، وهو يحوي مئة وأربعين مليار خلية استنادية، أعصاب، عظام، قلب، شرايين، رئتان، معدة، أمعاء، سمع، بصر، شفتان، لسان، عضلات، أعضاء، شعر، جلد، مسام، غدد دهنية، غدد عرقية، هذا المخلوق الصغير معجزة .

النبات، هذه الورقة قرأت عنها كلمة، في هذه الكلمة: إن أعظم معملٍ صنعه الإنسان على وجه الأرض لا يرقى إلى مستوى هذه الورقة، إنها معملٌ صامت، يأخذ من التربة الماء والمعادن، كيف يضخُّ هذا الماء إلى أعالي الشجرة؟ هذه الورقة فيها اليخضور ، تأخذ من الهواء ثاني أوكسيد الكربون، تأخذ من الشمس الفوتون، تأخذ من التربة الماء والمعادن، تأخذ من أملاح الحديد خواصَّه الوسطية، وتصنع النسغ النازل، هذا النسغ النازل هو الذي يصنع الجذع، والأغصان، والفروع، والجذر، والثمار، والفواكه، من علم هذا؟ كيف أودع الله كل هذه الصفات في البذرة؟ .

النبات معجزة، الحيوان معجزة، مليون نوع من السمك في البحار، وزن الحوت مئة وثمانين طناً، وزن بعض الحيتان مئة وثمانين طناً، رضعته الواحدة ثلاثمئة كيلو غرام، ثلاث رضعات طن كل يوم، هذا الحوت، وهذه البعوضة الصغيرة، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

[سورة البقرة الآية: ٢٦]

بعوضة، فيها جهاز رادار، فيها جهاز تمييع للدم، فيها جهاز تخدير، فيها جهاز تحليل ، وهذه البعوضة يرفُّ جناحاها أربعة آلاف رفةٍ في الثانية الواحدة، ولها ثلاث قلوب؛ قلبٌ مركزي، وقلبٌ لكل جناح، ولأرجلها محاجم لتقف على السطوح الملساء، ومخالب لتقف على السطوح الخشنة، قال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)

[سورة البقرة الآية: ٢٦]

البعوضة معجزة، الخروف معجزة، البقرة معجزة، الدجاجة معجزة، خلق الإنسان معجزة، أنواع الفواكه والثمار معجزة، الشمس معجزة، تبعد عنا مئةً وستةً وخمسين مليوناً، ومع ذلك نستدفئ بحرارتها، ونستضيئ بضوئها، لو ألقيت الأرض في جوفها لتبخَّرت في ثانيةٍ واحدة، الكون كله معجزة، أفيصعب على الله عزَّ وجل أن ينقل النبيّ عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس، وأن يعرج به إلى السماء؟ لو تعمَّقتم في الكون لرأيتم أن الأشياء المألوفة وغير المألوفة في قدرة الله سواء، ولرأيتم أن الأشياء المألوفة وغير المألوفة هي في الأصل كلُّها معجزة .

02 - جسم الإنسان

جسمك آية :

جسمك الذي هو أقرب شيء إليك معجزة، يوجد في رأس الإنسان ثلاث مائة ألف شعرة، لكل شعرة بصلة ووريد وشريان وعضلة وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية، أليست هذه معجزة؟.

في شبكية العين عشر طبقات، في أخراها مائة وأربعون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية، ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحوي خمسمائة ألف ليف عصبي، ولو درجنا اللون الأخضر مثلاً ثمانمائة ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تميز بين درجتين، أليست هذه معجزة؟.

وفي الأذن ما يشبه شبكية العين، وفيها ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات .

وفي الدماغ جهاز يقيس التفاضل الزمني لوصول الصوت إلى كل من الأذنين، وهذا التفاضل يقل عن جزء من ألف وستمائة جزء من الثانية، وهو يكشف للإنسان جهة الصوت، أليست هذه معجزة ؟.

وعلى سطح اللسان تسعة آلاف نتوء ذوقي لمعرفة الطعم الحلو والحامض والمر والمالح، وإن كل حرف ينطقه اللسان يسهم في تكوينه سبع عشرة عضلة، فكم حركة تحرَّكتها عضلات اللسان في خطبة تستغرق ساعة من الزمن، أليست هذه معجزة؟.

وفي الإنسان مضخة تعمل دون كلل أو ملل، تضخ ثمانية أمتار مكعبة من الدم في اليوم الواحد، وتضخ في العمر المتوسط ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم، إنها القلب، أليس القلب معجزة؟.

وفي دماغ الإنسان أربعة عشر مليار خلية قشرية، ومائة مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد، بل إن دماغ الإنسان أعقد ما في الإنسان، وهو عاجز عن فهم ذاته، أليس الدماغ معجزة؟.

وفي جدار المعدة مليار خلية تفرز من حمض كلور الماء ما يزيد عن عدة أمتار في اليوم الواحد، وقد جهد العلماء في حل هذا اللغز، لِمَ لا تهضم المعدة نفسها؟ أليست المعدة معجزة؟.

وفي الأمعاء ثلاثة آلاف وستمائة زغابة معوية للامتصاص في كل سم مربع، وهذه الزغابات تتجدد كلياً في كل ثمان وأربعين ساعة، أليست الأمعاء الدقيقة معجزة؟ وتحت سطح الجلد يوجد حوالي ستة عشر مليون مكيف لحرارة البدن هي الغدد العرقية، أليست هذه الغدد معجزة؟ وفي الكبد ثلاثمائة مليار خلية يمكن أن تجدد كلياً خلال أربعة أشهر، ووظائف الكبد كثيرة وخطيرة ومدهشة في الإنسان، بحيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات، أليس الكبد معجزة؟.

وفي الكليتين مليونا وحدة تصفية طولها مجتمعة مائة، كم يمر فيها الدم في اليوم مرات كثيرة، أليست الكلية معجزة ؟.

من جهل الإنسان :

أيها الأخوة الكرام، غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله وغفلته عن خالقه ولطول ألفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز فيما حوله، وعظمة الخالق فيما خلق، فيحسب جهلا منه وغرورا أن المعجزة هي تلكم التي تفاجئ ما ألفه واعتاده، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل يتخذ مما ألفه واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء أو كفره بها، وهذا جهل عجيب في الإنسان مهما ارتقى في مدارج المدنية والعلم!.

تأمل يسير من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق معجزة هذا الكون كله ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى، أو أن يبدل أو أن يغير في بعض أنظمته التي أنشأ العالم عليها، يقول بعض العلماء الغربيين: القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه أو إضافة شيء إليه، ولو لم يكن هذا العالم موجودا، وقيل لواحد ممن ينكر المعجزات والخوارق: سيوجد عالم كذا وكذا، فإنه سيجيب فوراً هذا غير معقول، ولا متصور، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير من إنكار بعض المعجزات .

03 - خلق الإنسان في أحسن تقويم

من مظاهر تكريم الله للإنسان :

1 - استخلافه في الأرض :

أيها الإخوة الكرام ، لا يستطيع الإنسان أن يسلخ نفسه عما يجري في العالم ، عما يجري لانتهاك لحقوق الإنسان ، عما يجري من ظلم ومن جور ، والإسلام أيها الإخوة دين الله عز وجل .

أبرز شيء في هذا الدين العظيم أنه إنساني الطابع ، وأن الإنسان في هذا الدين مكرم أعظم تكريم، فالإنسان يا أيها الإخوة الكرام ؛ في نظر الإسلام مخلوق متميز ، مكرم ميزه الله وكرمه ، وفضله على كثير من خلقه .

من مظاهر هذا التكريم :

- استخلافه في الأرض .

قال تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة]

من مظاهر تكريم هذا الإنسان أن الله جل جلاله استخلفه في الأرض ، وخلق آدم على صورته ، منحه حرية الاختيار ، منحه الفردية ، فالإنسان فرد لا مثيل له ، سمح له أن يشرع من نصوص ظنية الدلالة، سمح له أن يبدع من نظام خلق الكون .

2 - خلقه في أحسن تقويم :

أيها الإخوة الكرام ، لا يستطيع الإنسان أن يسلخ نفسه عما يجري في العالم ، عما يجري لانتهاك لحقوق الإنسان ، عما يجري من ظلم ومن جور ، والإسلام أيها الإخوة دين الله عز وجل .

أبرز شيء في هذا الدين العظيم أنه إنساني الطابع ، وأن الإنسان في هذا الدين مكرم أعظم تكريم، فالإنسان يا أيها الإخوة الكرام ؛ في نظر الإسلام مخلوق متميز ، مكرم ميزه الله وكرمه ، وفضله على كثير من خلقه .

من مظاهر هذا التكريم :

- استخلافه في الأرض .

قال تعالى :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[سورة البقرة]

من مظاهر تكريم هذا الإنسان أن الله جل جلاله استخلفه في الأرض ، وخلق آدم على صورته ، منحه حرية الاختيار ، منحه الفردية ، فالإنسان فرد لا مثيل له ، سمح له أن يشرع من نصوص ظنية الدلالة، سمح له أن يبدع من نظام خلق الكون .

أيها الإخوة الكرام ، الإنسان هو المخلوق الأول .

من مظاهر هذا التكريم :

- أن الله خلقه في أحسن تقويم ، وصوره فأحسن تصويره .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا سجد لله عز وجل يدعو ويقول :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((سجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ))

[أخرجه النسائي]

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)

[سورة التين]

انظر إلى عينيك ، انظر إلى حواسك الخمس ، انظر إلى أعضائك انظر إلى كمال خلقك ، هذا من تكريم الله لك .

3 - تسخير الكون له تعريفا وتكريما :

أيها الإخوة الكرام ؛ ومن مظاهر تكريم الإنسان :

- أن الله جل جلاله سخر له ما في السماوات وما في الأرض .

تسخير تعريف ، وتسخير تكريم ، هذا الكون مسخر لك من أجل أن تعرف الله من خلاله ، وهذا الكون مسخر لك من أجل أن تنتفع به ، الإنسان استطاع لا بما عنده من قدرات ، ولكن بتسخير الله لما في الأرض والسماوات للإنسان ، فاستطاع أن يصل إلى أعماق الأرض ، وأن يستخرج المعادن ، وأن يصل إلى الفضاء ، وأن ينتفع بكل ما في الأرض لأن الله سخر هذا للإنسان ، بل إن أصنافاً عديدةً من الحيوان مذلل للإنسان فالبقرة مذللة ، ولما جنت البقرة اضطر الإنسان أن يحرق ثلاثة عشر مليون بقرة، لأنها أصبحت متوحشة .

أنواع منوعة من الكائنات مسخرة للإنسان تسخير تعريف وتسخير تكريم ، رد فعل التعريف أن تؤمن، ورد فعل التكريم أن تشكر ، فإذا آمنت وشكرت حققت الهدف من وجودك ، قال تعالى :

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً)

[سورة النساء]

أيها الإخوة الكرام ؛ من معاني هذا التسخير :

- أن الطاقات الكونية كلها مهيأة ، ومبذولة للإنسان لا يستعصي منها شيء عليه .

وأن الإنسان هو واسطة العقد في هذا العالم ، وإن صغر حجمه بالنسبة للمكان ، وإن قصر عمره بالنسبة إلى الزمان ، فلا يجوز لهذا الإنسان أن يؤله شيئاً في هذا العالم ، أو أن يتعبد لشيء رغباً أو رهباً ، والذين عبدوا بعض ما في الكون قلبوا الحقائق ، فحولوا الإنسان من سيد سخر الله له الكون إلى عبد ذليل يسجد لنجم أو لشجرةٍ ، أو لبقرةٍ ، أو لحجر ، أو لغير ذلك .

من دلائل تكريم الله للإنسان :

1 – قربه إليه :

أيها الإخوة الكرام ؛ من دلائل هذا التكريم :

- أن الله جل جلاله فتح للإنسان باب التقرب إليه .

ألف طريق وطريق إلى الله سالك ، الله جل جلاله تودد إلينا بنعم لا تعد ولا تحصى وتودد إلينا بعلاقات ودية بين عباده ، بين الزوج وزوجته ، بين الأخ وأخيه ، بين الأب وأولاده وتودد لنا بأن جعل آلاف الطرق إليه سالكة كي نتودد إليه .

قال تعالى :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

[سورة البقرة]

أيها الإخوة الكرام ؛ ليس هذا وقفاً على الطائعين ، بل إن الطرق سالكة حتى أمام المذنبين ، قال عز وجل :

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

[سورة البقرة]

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

[سورة الزمر]

2 - كل ما شرعه الله فيه مصلحة للإنسان في الدنيا والآخرة :

أيها الإخوة الكرام ؛ من تكريم الله للإنسان :

- أن الله عز وجل شرع له ما يصلحه في دنياه وأخراه .

بل إن الإسلام اعترف بكيان الإنسان كله جسماً ، ونفساً ، وعقلاً ، وقلباً ووجداناً ، وإرادةً ، لهذا أمره بالسعي في الأرض والمشي في مناكبها ، والأكل من طيباتها والاستمتاع بزينة الله التي أخرج لعباده ، وحثه على النظافة ، والتجمل ، والاعتدال ، ونهاه عن المسكرات ، وعن كل ما يضره وفاءً بحق جسده، هذا الجسد له حق ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((وَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجَتِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِصَدِيقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))

[أخرجه البخاري و مسلم]

المسلم قوي في بنيته لأن العناية بالجسم جزء من دينه ، إن جسمه ملك المسلمين ، ملك أسرته ، فالعناية بالجسد جزء من الدين .

أيها الإخوة الكرام ؛ لأنه جسد أمره أن يسعى لكسب رزقه ، ولينفق على أهل بيته وأولاده ، وليعيش حياةً كريمةً تليق بإنسانيته ، ولأنه نفس لا تطمئن إلا بذكر الله .

قال تعالى :

(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)

[سورة الرعد]

أمره بعبادة الله وحده ، والتقرب إليه بأنواع الطاعات ، من صلاة وصيام ، وصدقة وزكاة ، وحج، وعمرة ، وذكر ، ودعاء ، وإنابة ، وتوكل ، وخوف ، ورجاء ، وبر ، وإحسان ، وغير ذلك من أنواع العبادات البدنية ، القولية ، والمالية ، وفاءً بحق نفسه ، النفس لها حاجات ، في النفس فراغ لا يملأه المال ، ولا يملأه الجاه ، ولا تملأه ملذات الأرض ، ولا تملأه أموال قارون ، لا يملأ هذا الفراغ إلا الاتصال بالله عز وجل فوفاءً بحق نفسه أمره أن يعبده .

أيها الإخوة الكرام ، وللإنسان عقل ، ولهذا العقل غذاء ، ألا وهو العلم ، لذلك أمره بالنظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله من شيء ، ومن سنن الله في المجتمعات ، ومصير الأمم ، كما أمره بطلب العلم والتماس الحكمة ، وأنكر عليه الجمود وتقليد الآباء والكبراء ، كل ذلك وفاءً بحق عقله ، أنت جسم يحتاج إلى طعام وشراب أمرك أن تعمل لتكسب قوت يومك ، وأن تكون يدك هي العليا ، وأنت نفس تفتقر إلى الله عز وجل أمرك أن تتصل به من خلال العبادات الشعائرية والتعاملية ، وأنت عقل أمرك أن تطلب العلم لأن مرتبة العلم مرتبة عالية في الإسلام ، قال تعالى :

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)

[سورة الزمر]

(مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)

[سورة المجادلة]

ولأن حاجة الإنسان إلى الجمال حاجة فطرية ، فلذلك لفته إلى جمال الكون بأرضه وسمائه ، ونباته ، وحيوانه ، وما زانه الله به من الحسن ، والبهجة ، ليشبع حاسته الجمالية وفق منهج الله عز وجل في نفسه ، وليشعره في أعماقه بعظمة الله عز وجل الذي أحسن كل شيء خلقه وذلك رعاية لجانبه العاطفي والوجداني .

عظمة الإسلام تتجلى في عدة أمور منها :

1 – أنه واقعي :

أيها الإخوة الكرام ؛ عظمة الإسلام أنه واقعي ، أنه دين الفطرة اعترف بالإنسان جسماً ونفساً ، وعقلاً ، وعاطفة .

2 - الإسلام إنساني النزعة :

أيها الإخوة الكرام ؛ الإسلام إنساني النزعة ، إنساني وليس إقليمي ، إنساني ، وليس عنصريًا ، الإسلام لا يفرق بين إنسان وإنسان ، كلكم من آدم وآدم من تراب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله))

[أخرجه أبو يعلى والبزار في مسنده]

3 – تقديسه لحق الحياة :

الإسلام قدس في الإنسان حق الحياة وحماه بالتربية ، والتوجيه، وبالتشريع ، وبالقضاء ، قدس حق الحياة وحمى هذا الحق بالتربية ، والتوجيه ، وبالتشريع ، وبالقضاء وبكل المؤيدات النفسية ، والفكرية، والاجتماعية ، وعد الحياة هبة من الله عز وجل لا يجوز لأحد كائن من كان أن يسلبها منه فالإنسان بنيان الله ، وملعون من هدم بنيان الله .

وكم تسمعون ما يجري في شتى بقاع الأرض من قتل بلا سبب من قتل لانتماء عرقي ، ويسمونه بالتطهير العرقي ، موت كعقاص الغنم لا يدري المقتول فيما قتل ولا القاتل فيما يقتل ، هذه وحشية الغرب .

أيها الإخوة الكرام ، الإسلام قدس حق الحياة ، بل أنكر على أهل الجاهلية قتلهم أولادهم سفهاً بغير علم، قال تعالى :

(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)

[سورة التكوير]

4 – لا يوجد عنصرية في الإسلام :

أيها الإخوة الكرام ، من عظمة هذا الدين أن الإسلام لم يفرق في حق الحياة بين أبيض وأسود ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين حر وعبد ، ولا بين رجل وامرأة ، ولا بين كبير وصغير ، حتى الجنين في بطن أمه له حرمته لا يجوز المساس بها ، من هنا جاء تحريم الإجهاض ، حتى الجنين الذي ينشأ من طريق حرام لا يجوز لأمه ولا لغيرها أن تسقطه ، لأنه نفس بريئة لا يجوز الاعتداء عليها .

(أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)

[سورة النجم الآية : ٣٨]

لذلك شرع القصاص صوناً لحياة كل الأطراف ، وشرعت الدية والكفارة في القتل الخطأ ، هذا حق حياة الإنسان

5 – تقديسه لحق كرامة الإنسان :

يا أيها الإخوة الكرام ؛ أما حق الكرامة ، وحق حماية العرض ، فقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان مع حرمة الدماء والأموال حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلن في حجة الوداع أمام الحشود المجتمعة في البلد الحرام ، والشهر الحرام ، واليوم الحرام ، قالَ :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((شَهْرٌ حَرَامٌ ، قالَ : فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا))

[أخرجه البخاري ومسلم]

يظل المسلم بخير ما لم يسفك دماً .

((فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ))

فالمؤمن الذي حصن نفسه بتوفيق الله من أن يأكل مالاً حراماً أو أن يعتدي على عرض لا يحل له أو أن يقتل نفساً ذكية بغير نفس ، هذا المسلم في بحبوحة من دينه .

يا أيها الإخوة الكرام ؛ من لوازم حق الكرامة ألاّ يؤذى إنسان في حضرته ، وألاّ يهان في غيبته ، سواء أكان هذا الإيذاء بالجسم ، أم بالقول فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط وبالسنان ، لقد حرم الإسلام أشد التحريم أن يضرب الإنسان بغير حق ، وأن يجلد ظهره بغير حد وأنذر باللعنة من ضرب إنساناً ظلماً ومن شهده يضرب ولن يدفع عنه كما حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان حرم الهمز ، وحرم اللمز ، والتنابز بالألقاب ، والسخرية ، والغيبة ، وسوء الظن بالناس ، وكفل الإسلام صون كرامة الإنسان بعد مماته ومن هنا جاء الأمر بتغسيل الميت ، وتكفينه ، و دفنه ، والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء عليه ، أو على جثته فقد جاء في الحديث النبوي .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا))

[أخرجه أبو داود وابن ماجه]

وكما حمى الإسلام جسم الميت حمى عرضه بعد الموت وسمعته لئلا تلوكها الأفواه .

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ :

((ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَالِكٌ بِسُوءٍ فَقَالَ : لا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلا بِخَيْرٍ))

[أخرجه البخاري]

والشيء الذي لا يصدق أن عكرمة بن أبي جهل عدو الإسلام الأول الذي ناصب النبي العداء عشرين عاماً أو أقل ، والذي نكل بأصحاب النبي ، والذي ائتمر على قتل النبي وإخراج النبي ، فلما جاء عكرمة مسلماً قال عليه الصلاة والسلام :

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : قال عليه الصلاة والسلام :

((إياكم أن تذكروا أباه بشر فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ، تَعْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ : لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ ، قَالَتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ : مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا ، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا))

[أبو داود ـ أحمد ـ الترمذي]

6 – أوجب حق الكفاية التامة لكل إنسان :

يا أيها الإخوة الكرام ؛ للإنسان حق ثالث هو حق الكفاية التامة ، فمن حق كل إنسان أن تهيئ له كفايته التامة من العيش بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية من مأكل ، وملبس ، ومسكن ، وعلاج ، هذا حق لكل إنسان ، والإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله ، ملعون من ابتز مال أخيه المسلم وغير المسلم ، ممنوع من ضيق على إنسان ، ملعون من ألقى الرعب في قلب الإنسان ، إنه بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله .

أيها الإخوة الكرام ، الأصل أن يكون للإنسان دخل كاف يحقق كفايته منه عن طريق مشروع من زراعة ، أو تجارة ، أو صناعة ، أو وظيفة ، أو حرفة فإن لم يكن للإنسان دخل يكفيه كان على أقاربه المسرين أن يحملوه لأنه جزء منهم ، قال تعالى :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

[سورة الأنفال]

فإن لم يكن له أقارب ميسورين يستطيعون حمله وجبت كفايته من الزكاة التي فرضها الله على المسلمين ، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ، والزكاة في الأصل فرضت لتحقيق تمام الكفاية للإنسان وذكر الفقهاء ، ودققوا أيها الإخوة : أن الزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية ، وهذه الكفاية التامة تجب للإنسان ، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية ، وأن كتب العلم من تمام الكفاية ، وهذه الكفاية تجب للإنسان الفقير تجب له ولأسرته مدة عام بأكمله على مذهب ، ومدة العمر كله على مذهب آخر ، والأكمل في الزكاة أن ينقلب آخذ الزكاة إلى دافع للزكاة ، هذه الزكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ليغدو الفقير دافعاً للزكاة ، يجب أن نغنيه عاماً بأكمله أو يجب أن نغنيه طول عمره ، فكتب العلم وآلات الحرفة والزوجة ، والمأوى من تمام الكفاية .

من ثمرات الإنسانية في الإسلام :

1 – مبدأ الإخاء البشري :

يا أيها الإخوة الكرام ؛ ومن ثمرات الإنسانية في الإسلام مبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام، وأساس هذا المبدأ أن البشر جميعاً أبناء رجل واحد وامرأة واحدة ، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة والرحم الواصلة ، قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)

[سورة النساء]

يا أيها الإخوة الكرام ؛ ربما فهمت كلمة الأرحام في هذه الآية بالمعنى الإنساني الواسع لتتسق مع بداية هذه الخطبة .

وقد روى الإمام أحمد عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ صَلاتِهِ :

((اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : مَرَّتَيْنِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ اجْعَلْنِي مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، ذَا الْجِلالِ وَالإِكْرَامِ اسْمَعْ وَاسْتَجِبِ ، اللَّهُ الأَكْبَرُ الأَكْبَرُ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، اللَّهُ الأَكْبَرُ الأَكْبَرُ ، حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، اللَّهُ الأَكْبَرُ الأَكْبَرُ))

[أبو داود ـ أحمد]

أيها الإخوة الكرام ؛ يزداد هذا الإخاء توثقاً إذا أضيف له عنصر الإيمان لقوله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

[سورة الحجرات]

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِي اللَّه عَنْهمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ))

[البخاري ـ مسلم ـ أحمد ـ الترمذي ـ أبو داود]

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))

[البخاري ـ مسلم ـ الترمذي ـ النسائي ـ ابن ماجة ـ أحمد ـ الدارمي]

لقد غسل الإسلام أرجاس الجاهلية وطهرها من الغل ، والحسد ونقاها من الأنانية ، والشح ، والبخل ، محا منها فوارق الجنس واللون والقبيلة والطبقة .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ما أشد حاجة العالم اليوم إلى هذه المعاني الإنسانية ، لقد انتهكت حقوق الإنسان وداس عليها الإنسان بحوافره .

2 – مبدأ المساواة :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ من ثمرات هذه الإنسانية في الإسلام مبدأ المساواة ، أساس هذا المبدأ أن يحترم الإنسان ، ويكرم من حيث هو إنسان ، ليس غير الإنسان من أية سلالة ، من أي لون ، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر ، وقوم وقوم ، ولون ولون ، يقول الله تبارك وتعالى :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

[سورة الحجرات]

صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى حينما فتح القدس جاءته امرأة من الفرنجة قد فقدت ابنها فوقف ولم يجلس حتى أعيد ابنها إليها هذه رحمة الإسلام ، بينما الفرنجة حينما فتحوا القدس ذبحوا سبعين ألف إنسان في ليلة واحدة ، الإسلام إنساني النزعة ، المسلم يعرف حق أخيه في الإنسانية .

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ينبغي أن نتمثل هذه المعاني وينبغي أن ننشرها كي يكون الإسلام هو ملاذ البشرية اليوم مما يتخبطون فيه من ظلم وجور .

إليكم هذا الفارق بين الصحابة وبين مسلمي هذا العصر :

أيها الإخوة الكرام ؛ تعامل الصحابة الكرام مع نصوص القرآن والسنة تعامل عجيب ، أيّ شيء يسمعوه من القرآن أو من كلام النبي عليه الصلاة والسلام يبادرون إلى تطبيقه ، لذلك تألقوا ، وكان الواحد منهم كألف ، والألف من الذين جاؤوا من بعدهم من الذين تزينوا بالإسلام ، وطبقوا تعاليمه الشعائرية ، ولم يكونوا في مستوى منهجه ولم يعملوا به كأفٍّ .

صحابي جليل سمع آية قرآنية ماذا فعل ؟

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه يَقُولُ :

((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ ـ هذا البستان مقابل مسجد النبي عليه الصلاة والسلام ـ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ ، قَالَ أَنَسٌ : فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا

صَدَقَةٌ لِلَّهِ ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ))

[البخاري ـ مسلم ـ الترمذي ـ النسائي ـ أبو داود ـ أحمد ـ مالك ـ الدارمي]

المسلمون اليوم لا يطالبون أن يقدموا أحب أموالهم إليهم ، يطالبون أن يطبقوا منهج الله فقط ، يطالبون أن يقفوا عند الحلال والحرام مطالبون أن يرعوا حرمة هذا الدين ، أن يطبقوا الإسلام في بيوتهم أن يطبقوه في تجارتهم ، في معاملاتهم ، هذا الذي فعله الصحابي الجليل ولكن المسلم حتى في أدنى تطبيقاته للدين مقصر جداً فقال عليه الصلاة والسلام :

((... بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ))

هؤلاء الصحابة الكرام بذلوا الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس ولكن المسلمين اليوم مطالبون بتطبيق أحكام الدين ، بأن يكون بيتهم إسلامياً ، عملهم إسلامياً ، أن لا يأكلوا المال الحرام ، أن لا يعتدوا على أعراض بعضهم بعضاً ، أن لا يأخذوا أموال بعضهم بعضاً إلا بحق ، لو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم .

أيها المسلم ارجع إلى الله :

أيها الإخوة الكرام ؛ الله جل جلاله هو وحده الفعال في الأرض ، ما من إله إلا الله والله عز وجل يعامل كلاً بما يستحق ، فإذا أردت ما عند الله ، إذا أردت رحمة الله ، إذا أردت إكرام الله لك فكن عند الأمر والنهي ، وليس الولي الذي يطير في الهواء ، ولا الذي يمشي على وجه الماء ، الولي كل الولي الذي تجده عند الحلال والحرام ، أن تجده حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك .

يا أيها الإخوة الكرام ؛ لابد من الصلح مع الله ، لابد من جرد لكل ما في حياة المسلم من مخالفات، لابد من توبة منها ، لابد من أن نفكر تفكيراً جدياً كيف يلقى الله عز وجل وقد تعلقت برقبته الحقوق؟ كيف يؤدي ما عليه كيف يلقى الله عز وجل وقد أكل مالاً حراماً ؟ كيف يلقى الله عز وجل، وقد غش المسلمين ؟ كيف يلقى الله عز وجل وقد أطلق لبناته العنان ؟ يخرجن كما يشأن بزينة فاضحة، بثياب فاضحة ، هؤلاء المسلمون ينبغي أن يكونوا على غير ما هم عليه .

04 – التوازن بين الذكور والإناث

فحوى هذه الكلمة :

أيها الأخوة الأكارم، لفتت نظري كلمةٌ قرأتها في بعض الكتب، من أنه في أعقاب الحرب العالمية الثانية، أصبحت نسب النساء إلى الرجال أربعة إلى واحد، أي كل أربعة نساء في مقابل رجلٍ واحد، ما هي إلا أعوامٌ قليلة حتى عادت النسبة إلى تلك التي صممها الله عزَّ وجلَّ، مئة وخمسة بالمئة ذكور، وخمسٌ وتسعون بالمئة إناث، هذه النسبة ثابتة في كل البلاد، في كل الأمصار، في كل القارات، في كل الأزمان .

أما الشيء الذي يلفت النظر، هو أن هذا الرجل عنده ثمانية بنات، وأن هذا الرجل عنده أربع بنات، وأربع ذكور، وهذا رجل عقيم، وهذا عنده سبعة عشر ذكراً، أعرف شخصاً هكذا، هذه النسب المتفاوتة في النهاية، في أية بلدة، في أي مصر، في أي عصر، في أي إقليم ، في أي بلد، في أي مكان، في أي زمان، هناك نسبٌ نظامية يعرفها علماء الجغرافيا البشرية.

ماذا تفعل وزارة المالية من أجل أن يكون الإنفاق وفق المقرر؟ كل قرار نفقةٍ يجب أن يذهب إلى الشطب، فإذا انتهى الاعتماد، يتوقفون عن الصرف، لا بدَّ من سجل، هذا عنده سبعة ذكور، هذا عنده ثمانية إناث، لا بدَّ من سجل عند الله عزَّ وجل بحيث أن مجموع هذه النسب تكون وفق النسبة المقررة .

يا أيها الأخوة الأكارم، هذه آية مبذولة بين أيدينا .

أين تتعلق سعادة الإنسان ؟

أيها الأخوة، لا يمكن أن تسعد إلا إذا عبدت الله، ولن تستطيع أن تعبده إلا إذا عرفته، ولن تعرفه إلا إذا فكرت في آياته، وآياته أنواعٌ ثلاثة؛ آياتٌ في قرآنه الكريم، وآياتٌ في كونه العظيم، وآياتٌ في أفعاله، فإذا تتبعت أفعال الله عزَّ وجل ترى يداً عليمةً حكيمةً رحيمةً قديرةً عادلةً بيدها كلُّ شيء، وإذا تتبعت خلقه ترى الإعجاز، والكمال، والقدرة، والغنى، والعلم، واللطف، والرحمة، وما إلى ذلك، وإذا قرأت قرآنه أيضاً تتعرف إلى صفاته المثلى، وإلى أسمائه الحسنى .

فيا أيها الأخوة المؤمنون، يكاد التفكر في آيات الله عزَّ وجل يكون عبادةً، بل هو من أرقى أنواع العبادة.

05 – التوازن في كل شيء

إليكم الحديث عن هذا النظام المتوازن في الأرض، علام يدل ؟

أيها الأخوة المؤمنون، من آيات الله الدالة على عظمته: أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيءٍ وجعله موزوناً، لئلا يطغى شيءٌ على شيء، فمن أغرب ما وقع في بعض البلدان: أنه زرع نوعٌ من الصبَّار في قارة أستراليا كسياج وقائي، لكن هذا النبات مضى في سبيله، حتى غطَّى مساحةً تزيد عن مساحة بريطانيا، وصار هذا النبات نباتاً وبائياً، زاحم أهل المدن والقرى، وأتلف مزارعهم، حتى أنه حال بينهم وبين زراعة أراضيهم، إلى أن توصَّل العلماء إلى حشرةٍ لا تعيش إلا على هذا الصبار، هذه الحشرة استطاعت أن تضع حداً لانتشاره، فكأن كلُّ شيءٍ خلقه الله سبحانه وتعالى فيه طبيعة النمو العشوائي، خلق له مضاداً يحول بينه وبين هذا النمو، هذا هو التوازن، وفق هذه القاعدة هناك أشياء كثيرة من هذا القبيل .

فربنا سبحانه وتعالى جعل الغدة النخامية تحثَّ الغدة الدرقية، لكن هرمون الغدة الدرقية يثبط الغدة النخامية، من أن هذا الهرمون يثبِّط هذه الغدة، وهرمون هذه الغدة يحثُّ هذه الغدة، يقوم التوازن بين الغدة النخامية وبين الغدة الدرقية .

هناك جهازٌ لضبط السوائل في الجسم، هو الذي خلقه موزوناً، هناك جهازٌ آخر لضبط السكر في الجسم، هناك جهازٌ ثالث لضبط الأملاح في الجسم، نسب الأملاح ثابتة، نسب السكر ثابتة، نسب الماء ثابتة، نسب الهرمونات ثابتة، هناك فيتامينات يصاب الإنسان بأمراض كثيرة إن لم يأخذها، سماها العلماء: أمراض نقص التغذية، أمراضٌ وبيلة .

كان بعض البحارة يموتون في أثناء رحلاتهم الطويلة من دون سبب، إلى أن عرفوا أن غذائهم تنقصه الفيتامينات .

فيا أيها الأخوة المؤمنون، هذا التوازن الذي حققه الله سبحانه وتعالى في الكون، شيءٌ يلفت النظر، ويدعو إلى الدهشة، فالأسماك لولا أن كبيرها يأكل صغيرها، لطغت الأسماك على مياه البحر، ولأصبح البحر بحراً من السمك، لا بحراً من الماء .

الحشرات: هذه الحشرات جعل الله تنفسها عن طريق أنابيب، لا عن طريق الرئات، ولأن تنفسها عن طريق الأنابيب لا تنمو أكثر من حجمها الذي ترونه، ولو أن لها رئاتٍ لأصبحت بحجمٍ كبيرٍ أهلكت الإنسان، فالحشرات لها حدٌ تقف عنده، والنباتات لها حدٌ تقف عنده، والحيوانات لها حدٌ تقف عنده،

والأسماك لها حدٌ تقف عنده، وبنية الجسم البشري فيه حدودٌ، وفيه سدودٌ، وفيه مقاييس، وفيه ضوابط، وفيه موازين .

الخاتمة :

يا أيها الأخوة المؤمنون، لو دققتم في خلق السموات والأرض، لرأيتم العجب العجاب ، يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)

[سورة الحجر الآية: ١٩]

يعني هذا النبات موزون، قيمه الغذائية موزونة، حجمه موزون، نموُّه موزون، تكاثره موزون، لولا هذا الشيء الموزون، لأهلك الله الإنسان بهذا النمو العشوائي، وحادثة هذا النوع من الصبار الذي استقدم وزُرِع في أستراليا، وكاد يقضي على الأراضي الزراعية كلها، شاهد على ذلك، لولا أن هذه الحشرة وقفت في وجهه، فكانت علاجاً له، والله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء .

أيها الأخوة المؤمنون، لا تكن هذه الآيات التي تسمعونها، أو التي ترونها، أو التي تقرؤون عنها، لا تجعلوا هذه الآيات تمرُّ هكذا مروراً عابراً دون أن تقفوا على حقيقتها، وأن تقفوا على عظمة خالقها، فالله سبحانه وتعالى يقول:

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

[سورة آل عمران الآية: ١٩٠-١٩١]

06 – عدد الخلايا

كلمة مختصرة عن موضوع الخلية :

أيها الأخوة الأكارم، قبل أسبوعين تحدثت عن الخلية، وقلت وقتها: إن عدد الخلايا في الجسم البشري، يزيد عن مئة ألف ألف مليون، أو يزيد عن مئة ألف بليون، أو يزيد عن مئة ترليون، أي يزيد عن مئة ألف ألف مليون، هذه الخلية لا يمكن أن تراها بالعين المجردة، إلا إذا كنت كبّرت مئةً وأربعين مرة، ووزن هذه الخلية واحد من ألف مليون من الغرام، أي ألف مليون خلية، إذا وضعت في ميزان تزن

واحد غرام، وأن الجسم يستهلك في كل ثانيةٍ، مئة وخمسة وعشرون خلية، هذا تحدثنا عنه قبل أسبوعين .

ولكن الشيء الذي يلفت النظر في هذه الخطبة: أن الخلية لها نواة، وتحدثنا عنها في خطبةٍ تابعة، عليها المورثات، خمسة آلاف مليون معلومة، اكتشف منها حتى الآن ثمانمئة العلم، توصل إلى اكتشاف ثمانمئة مورث أو معلومة على المورثات، من أصل خمسة آلاف مليون .

ونواة، ونوية، وهيولة، الهيولة جسم الخلية، وغشاء، وللغشاء حديثٌ آخر، أما الهيولة جسم الخلية، هو الذي حيَّر العلماء، حتى إنهم صاحوا: إن الخلية ليست وحدة بناء بل وحدة وظيفة، ليست أصغر جسمٍ يتألَّف منه الجسم، إنها ليست وحدة بناء، بل هي وحدة وظيفية متكاملة .

ماذا في الخلية ؟

الشيء الذي لا يصدق: أن في الخلية تصنع البروتينات، وفي الخلية مخازن تخزَّن بها بعض المواد، وفي الخلية أجهزة تنظيف، وفي الخلية أنابيب توصيل، وفي الخلية مولّدات طاقة، كل هذا في هيولة الخلية، إذن ليست وحدة بناء، بل هي وحدة وظيفية .

الشيء الذي لا يصدق: أن الخلية تتفاوت أعمارها بحسب طبيعتها، فخلايا البشرة لا تعيش أكثر من ثلاث ساعات، عمر خلية البشرة ساعات، كلما دخلت إلى الحمام، وأردت أن تنظف نفسك، شعرت أن شيئاً ينزاح عن جلدك، إنها الخلايا الميتة، لا تعيش أكثر من ساعات ، بينما خلايا الأمعاء الدقيقة الماصة، لا تعيش أكثر من ثمانيةٍ أربعين ساعة، أي يجب أن تعلم علم اليقين، أن كل ثمانيةٍ وأربعين ساعة، تتجدد أمعاؤك الدقيقة، وأن هناك من الخلايا ما يعيش سبعة أيام كخلايا التذُّوق، وأن الكريات الحمراء تعيش مئةً وخمسةٍ وعشرين يوماً .

لكنك إذا عشت خمس سنوات، يجب أن تعلم علم اليقين أن كلَّ شيءٍ فيك قد تجدد، إلا موضعين خلايا الدماغ والقلب، لو أن خلايا الدماغ تجددت لنسيت كل معلوماتك، تعلَّم الطب ثم نسيه، تعلم الهندسة ثم نسيها، تنسى كلَّ المعلومات، والخبرات، والذكريات .

إليكم تفسير هذه الآية :

الآن الآية الكريمة، يقول الله عزَّ وجل في بعض الأدعية القرآنية:

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

[سورة آل عمران الآية: ٢٧]

الحقيقة في شيء الذي يلفت النظر، ما العلاقة بين إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وبين إدخال الحي الميت، والميت في الحي؟ .

قال بعض المفسرين: الليل يزداد طوله في الصيف، ويقصر في الشتاء، فكأن النهار أخذ من الليل في الصيف، وكأن الليل أخذ من النهار في الشتاء، هذا معنى قول الله عزّ وجل:

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)

[سورة آل عمران الآية: ٢٧]

أي اختلاف أطوال الليل والنهار بحسب تتابع الفصول، هذا معنى .

المعنى الآخر: كيف أن الليل وهو الظلام الشديد، يبدأ الفجر ويتداخل من الشرق بضيائه شيئاً فشيئاً، حتى يعمَّ ضياء الأرض؟ هذا إيلاج، وكيف أن الليل بعد غروب الشمس يدخل شيئاً فشيئاً، حتى يزاح الضوء كله؟.

الآن من هو الشاب؟ الشاب فيه خلايا ميتة، ولكن عوامل الحياة أقوى من عوامل الموت، يدخل فيه الموت شيئاً فشيئاً، لكن عوامل الحياة أقوى منه، من هو الكهل؟ هو الذي تكافأت فيه عوامل الموت والحياة، من هو الشيخ؟ هو الذي غلبت عوامل الموت على عوامل الحياة، فالخلايا لها عمر، هناك حية ميتة، تدخل شيئاً فشيئاً، هذا معنى قول الله عزّ وجل:

(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ)

[سورة آل عمران الآية: ٢٧]

الخلايا الميتة، تتوالد خلايا حية، قال تعالى:

(وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

[سورة آل عمران الآية: ٢٧]

نهاية المطاف :

أيها الأخوة المؤمنون: العمر قصير، والمهمة خطيرة، والأبد طويل، فلا بدَّ من أن نستغل الوقت، لا بدَّ من أن نتعلم، لا بدَّ من أن نتعرف على الله عزّ وجل، الموضوع أخطر بكثير من أن تحضر خطبة جمعة، هذا موضوع مصيري يتعلّق بمصيرك بعد الموت، هذا موضوعٌ يتعلق بحياة الدنيا .

لذلك الدعاء الشريف: اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إلينا مردُّنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر، مولانا رب العالمين .

07 – أم خلقوا غير شيء ، أم هم الخالقون

قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

الجسم البشري يتكون من خلايا، والخلية هي الوحدة الأساسية التي يتشكَّل منها الكائن الحي، يوجد في جسم الإنسان مئة ترليون، والترليون ألف بليون، والبليون ألف مليون، أي مئة ألف ألف ألف مليون خلية في جسم الإنسان البالغ، والخلية وجودٌ حي لا تدركه حواسنا، لا تراها .

إنَّ الكريات التي توضع تحت المجهر، الكرية الحمراء تحتاج إلى عدسةٍ مجهريةٍ تكبِّر الشيء مئةً وأربعين ضعفاً حتى ترى بالعين، إذا كبرنا الكرية الحمراء مئة وأربعين مرة نراها بالعين، ووزنها واحد من مليار من الغرام، والجسم البشري يستهلكُ في كلِّ ثانيةٍ مئة وخمسة وعشرين مليون خلية، والخلايا تجدد شبابها كلَّ أسبوع، وأصل كلِّ هذه الخلايا المئة ترليون، هي خلية النطفة الأمشاج، قال تعالى:

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)

[سورة الإنسان الآية: ٢]

ماذا يوجد في الخلية، وكم تحوي المورثات من المعلومات ؟

هذه الخلية فيها نواة، هذه النواة، قالوا عنها: مركز الإدارة، والإشراف، والقيادة، وعلى هذه النواة ثلاثٌ وعشرون زوجاً من الكروموزمات، قال: هذه مادة الحياة، وبها أسرار الوجود، على هذه المورِّثات، أو العرى الملونة، أو الجينات معلومات، تزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة، قال: إن المعلومات التي هي على المورِّثات، لو أردنا أن نكتبها باللغة لاحتاجت إلى موسوعةٍ، تزيد عن مليون صفحة، وفي كلِّ صفحةٍ خمسة آلاف معلومة، أي خمسة ألف مليون معلومة متوضِّعة على هذه المورثات .

نحن لا ندري بحث المورثات، وبحث الجينات، وبحث الخلية، شيءٌ لا يصدق ويصعب عرضه على المنبر، ولكن من أجل أن نعرف عظمة الله عزَّ وجل، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

حينما يغتسل الإنسان، وينزل من جلده بعض ما يسميه الوسخ، إنها خلايا ميتة، إن الخلايا التي في الإنسان مئة ترليون، والترليون ألف بليون، والبليون ألف مليون، وكل خليةٍ لها نواة، ولها نوية، ولها هيلولة، ولها غشاء، وجود حيّ قائم بنفسه، وقد يدرسون في الجامعات سنواتٍ طويلة الخلية وحدها، صدق القائل:

أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

أهذا الخالق العظيم الذي خلقك ولم تكن شيئاً مذكوراً، ألا ينبغي أن تتعرف إليه؟ ألا ينبغي أن تطيعه.

08 – أجراس الإنذار

إليكم هذا الإبداع الذي توصل إليه الغربيون :

أيها الأخوة المؤمنون، في الجسم البشري آية عظمى دالة على عظمة الله سبحانه وتعالى، سمَّاها بعض العلماء: أجراس الإنذار المبكّر في الجسم البشري، بعض الدول المتقدمة في مقياس العصر، لا في مقياس الإسلام، تبتدع ما يسمى بأجهزة الإنذار المبكر، والله زُوَّد هذا الجسم الذي خلقه في أحسن تقويم بهذه الأجهزة، أجهزة الإنذار المبكر .

هذه الأجهزة متواجدةٌ إن صحَّ التعبير في الجلد، فالجلد هو سطحٌ يغطّي شبكة هائلة من الأعصاب، وانتشار الأعصاب تحت سطح الجلد شيءٌ لا يصدق، تنتهي هذه الأعصاب بجسيماتٍ خاصة، يختصُّ كلٌ منها بنقل حسٍ معين، هناك جسيماتٌ تنقل الحر والبرد، فأن تغسل يديك، وأن تضع الماء على وجهك شيءٌ مقبولٌ في الشتاء، أما أن تضع الماء على ظهرك، فهذا لا يحتمله معظم الناس، ذلك لأن عدد الأعصاب التي وزِّعت على ظهر الإنسان يفوق عددها في اليد والوجه، وهناك حكمةٌ بالغة: فأعصاب الإحساس بالبرودة ضعيف في الأعضاء التي يجب أن تغسلها كل يوم خمس مرات، ولكن الأماكن التي تضرر إذا صببت عليها الماء تكون أعصاب الإحساس بالبرودة فيها أكثر .

هناك جسيماتٌ تتحسس بالضغط واللمس، وحول الضغط موضوعٌ طويل، كيف أن الإنسان يتقلّب في الليلة الواحدة ما يزيد عن أربعين مرة؟ لأن الجسم إذا ضغط على جهةٍ معينة ضاقت الشرايين، فتعطّلت التروية، تنقل هذه الجسيمات الإحساس بالضغط إلى المخ وأنت نائم، ويصدر المخ أمراً بالحركة وأنت نائم، وهذا ورد في القرآن الكريم، وهو من إعجازه العلمي، قال تعالى:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية: ١٨]

ولو أن التقليب ذات اليمين فقط، لوقع الإنسان من على السرير، ولكن حكمة الله عزَّ وجل أن هذا التقليب ذات اليمين وذات الشمال، هذا هو الإحساس بالضغط، وهناك الإحساس بالألم، يقول العلماء:

هناك من ثلاثة إلى خمسة ملايين نهاية عصبية تختصُّ بالألم، وأما للحر والبرد، فالنهاياتُ العصبية تزيد عن مئتي ألف، وأما للإحساس بالضغط فهناك ما يزيد عن خمسمئة ألف أي نصف مليون .

أيها الأخوة الأكارم، ينقل هذه المعلوماتُ الهائلة من حرٍ، وبرد، من ألمٍ، من ضغطٍ ولمس، ستٌ وسبعون عصباً مركزياً إلى المخ، وأنت نائم، وأنت لا تدري، إذا لامست يدك شيئاً حاراً، فإن سرعة استجابة اليد عن طريق سحب اليد، تقلُّ عن واحد من مئة من الثانية، الشيء الخطر لا يستدعي أن يصل الإحساس إلى المخ، ولكن يكفي أن يصل إلى النخاع الشوكي، والنخاع الشوكي يصدر أمراً بسحب اليد، في أقلَّ من واحد في المئة من الثانية، وأنت لا تدري، لو أن يدك لامست شيئاً حاراً، وأنت غير منتبه، تسحبها في استجابةٍ مثالية .

يا أيها الأخوة المؤمنون، يحقق الإحساس بالتوازن، وهذا من وظائف بعض الأعصاب ، خمسون مفصلاً، ومئتا عظمٍ، ومئتا عضلة، تسهم كلها في أن تبقى واقفاً على قدميك، من دون خللٍ أو طيش.

إليكم هذه الآية للتذكرة :

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلت أذكر هذه الآية:

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

[سورة فصلت الآية: ٥٣]

وفي نفس كلٍ منكم آياتٌ لا تنتهي، لو أن الإنسان صرف عمره كله في التدقيق؛ بأجهزته، وأعضائه، وعضلاته، وأعصابه، لانقضى العمر، ولم تنقض هذه الآياتُ الدالة على عظمة الله .

وفي كل شيءٌ له آية تدل على أنه واحدٌ

09 – الثوابت والمتغيرات في جسم الإنسان

إليكم نظام الثوابت في جسم الإنسان:

١- القلب:

أيها الأخوة، من الآيات الدالة على إعجاز الله في خلقه، أن الله سبحانه وتعالى خلق قلب الإنسان، وجعله متبدِّل الاستطاعة، وهذا ما كان ولم يكن، ولن يكون ممكن التحقيق في المحركات التي يصنعها الإنسان، يعني المحرك له استطاعة، وهو يتحايل على استطاعته بعلبة التروس كما يقولون، لكن المحرك له استطاعة واحدة، أما القلب البشري فتتبدَّل استطاعته بحسب الظروف.

يدق القلب ثمانين دقةً في الدقيقة، وهذا هو الحد الأدنى الثابت، ولكنه حينما يواجه ظروفاً صعبة كصعود جبالٍ، أو صعود درجٍ، أو حينما يواجه مشكلة نفسية، أو حينما يخاف الإنسان، ترتفع دقاته إلى مئةٍ وثمانين ضربة، إن هناك عدداً ثابتاً، وإن هناك عدداً متبدلاً.

٢- العين:

ترى العين كل شيءٍ بوضوحٍ تام بعد ستين متراً، أما قبل الستين لا بدَّ من عمليةٍ هي غاية في الإعجاز، هي عملية المطابقة، فإذا أردت أن تنظر إلى كرةٍ، كأن جهة ثالثة تقيس المسافة بين العين وبين الكرة، وتضغط على الجسم البلوري، ضغطاً بمعشار الميكرون، بحيث يبقى خيال هذا الجسم على شبكية العين، وتفسيرات هذه المطابقة حتى هذه الساعة غير مقنعة، إنها عناية الله عزَّ وجل، بإمكانك أن ترى طريقاً مزدحماً بالمارة، كلما نظرت إلى إنسانٍ تبدل احتداب العدسة تبدلاً بحيث يجعل خياله على المحرق، أي على الشبكية، هذا لا يتم إلا بعضلاتٍ هدبيةٍ بالغة الدقة تضغط على الجسم البلوري، تزيد احتدابه، أو تخفف احتدابه بحسب بعد الجسم عن العين، هذه مطابقة.

٣- غدد التعرق:

أيها الأخوة، الإنسان من الكائنات ثابتة الحرارة، لكن كيف يواجه الإنسان الجو الحار ؟ يواجه الجو الحار بملايين الغدد العرقية، والغدد العرقية هي جهازٌ بالغ الدقة في تكييف الجسم، فحينما تفرز هذه الغدد العرق، وحينما يتم التبادل الحراري بين هذا الماء، وبين حرارة الجلد، يكسب الماء من الجلد حرارته، وتخف بذلك حرارة الجلد.

إذن: التعرق وسيلة بالغة الدقة والتعقيد، يتلافى بها الجسم ارتفاع الحرارة، فإذا انخفضت الحرارة عن الحد المعقول يأتي الرجفان ليحرك العضلات، وليولِّد حرارةً، ويقف شعر الجسم ليخزن كمية من الهواء الساخن، تعينه على تلافي الجو البارد، إذن القشعريرة والتعرُّق، بهاتين الطريقتين يتلافى الجسم مواجهة الجو الحار، والجو البارد.

٤- الدماغ:

الدماغ إذا أصاب الأعصاب الحسية مؤثرٌ خارجي؛ كالحر، أو البرد، أو الألم، أو الأثر الكيميائي، لا شك أن الإنسان يشعر بالألم، ولكن إذا بلغ الألم حداً لا يطاق، يفرز الدماغ مادةً تخدِّره، وهي من أرقى

المواد المخدرة، حتى يغيب عن الألم، وهذا هو الإغماء، يحدث الإغماء حين يفرز مادةً تخدِّره، وتبعده عن الإحساس بالألم.

الخلاصة:

أيها الأخوة، أرأيتم إلى هذا الإنسان المعجز في خلقه، تارةً لديه ثوابت، ضربات القلب ثابتة، ولكن تصل عند الضرورة إلى مئة وثمانين، ورؤية العين ثابتة، ولكن دون الستين متر، تجري مطابقةٌ من أدق العمليات في العين، وحرارة الجسم ثابتة، لكن القشعريرة والتعرُّق وسيلتان يتكيَّف بهما الجسم مع الجو الحار، والجو البارد، والدماغ يشعر بالألم بشكلٍ ثابت، لكن حينما يزداد الألم يتدخل الدماغ فيفرز مادةً تخدره، وهذا هي حالة الإغماء التي يعاني منها الإنسان أحياناً.

10 – الساعة البيولوجية

إليكم ما اكتشفه العلماء:

أيها الأخوة الكرام، اكتشف أحد العلماء الفرنسيين أن في مقدور النبات حساب الزمن، إذ أن بعض أوراق بعض النباتات تؤدي حركات معينة في وقت محدد من اليوم، إذاً: هذا النبات عنده ما يسميه العلماء: ساعة بيولوجية، تحسب له الزمن.

واكتشف العلماء أيضاً أن في الحيوان ما يشبه ما في النبات، فهناك حيوانات تعرف بدقة بالغة مرور الزمن، فتتجه إلى مكان سباتها في الشتاء، لو تأخرت قليلاً لماتت، لو بكرت أو تأخرت لماتت، بحساب دقيق تؤوي بعض الحيوانات إلى أوكارها، لترقد طيلة فصل الشتاء، ولولا أنها تعرف كيف يمر الزمن لما أمكنها ذلك، قال تعالى:

(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)

[سورة طه الآية: ٤٩-٥٠]

إليكم تفسير هذه الظاهرة العجيبة والغريبة في جسم الإنسان:

أيها الأخوة، لكن الحديث عن الإنسان، وفي الإنسان ساعة بيولوجية مدهشة، أنت بقواك الإدراكية تعرف أن اليوم نهار، والليل ليل، هذا في القوة الإدراكية، أما الأجهزة المعقدة في الجسم، والغدد الصماء كيف تعرف أن هذا الوقت نهار، من أجل أن تضع برنامج خاص للنهار؟ هذا ما يسميه العلماء: بالساعة البيولوجية.

في جسم الإنسان إحساس بالزمن غير القوة الإدراكية، غير العقل في جسم الإنسان، يعني في خلاياه، في أجهزته إحساس بالزمن، لأن خمسين وظيفة حيوية تتعاقب بحسب الليل والنهار.

يؤدي الضوء إلى انتقال السيالات العصبية من الشبكية عبر العصب البصري إلى الغدة النخامية و الغدة الصنوبرية التي تفرز الهرمونات الخاصة بالاستقلاب ، و تكون ذروة الإفراز بالصباح الباكر و أدناها خلال الليل

بعض العلماء فسر هذه الظاهرة بالشكل التالي: أن سقوط الضوء فوق الشبكية، ينتقل بوساطة سيالات عصبية عبر أعصاب البصر إلى الغدة النخامية، وهي ملكة الغدد، والتي تؤمن التكامل والتكيف بين وظائف الأجهزة الداخلية، والنشاط العام للجسم يرتبط بالغدة الدرقية، فالغدة الدرقية التي فيها الاستقلاب، تحول الغذاء إلى طاقة، فهذا الغذاء يتحول إلى طاقة عالية في النهار، وطاقة متدنية في الليل مع الغدة النخامية تتأثر بالزمن، بل هناك ساعة تحسب تعاقب الليل والنهار.

أوضح شيء في جسم الإنسان؛ أن كميات الهرمونات في الدم تتبدل من النور إلى الظلام، الهرمونات لها نسب في الليل، ولها نسب في النهار، لأن الله جعل النهار معاشاً وجعل الليل لباساً، هذا التبدل يحدد مستوى حيوية وظائف الجسم التي تزداد نهاراً، وتتدنى ليلاً، فالحرارة مثلاً تصل في الجسم الإنساني إلى أدنى مستوى خلال الليل، وتأخذ بالارتفاع إلى أقصى درجة في الساعة السادسة صباحاً، والنبض يتبدل، نبض القلب يتبدل من الليل إلى النهار، والضغط الشرياني يتبدل من الليل إلى النهار، والضغط التنفسي يتبدل من الليل إلى النهار.

جسم الإنسان مبرمج داخلياً ليميز الليل و النهار و هذا يدعى الساعة البيولوجية

قال العلماء: مع الاستيقاظ تتراكم في الدم مادة تؤدي إلى تسارع النبض، وارتفاع ضغط الدم، وهذا يؤدي إلى نشاط الجسم، لذلك هناك عند معظم الناس ذروتان للعمل؛ من التاسعة حتى الثانية عشرة ظهراً، ومن الرابعة حتى السادسة، في هذه الساعات التي هي ذروة النشاط تزداد قدرة الحواس الخمس، ويُنصح ببذل الجهد في هاتين الذروتين والخلود إلى الراحة في أوقات انخفاض مستوى النشاط البشري، لذلك قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا))

ما تفعله في النهار لن تستطيع أن تفعله في الليل.

قال بعض العلماء: هذا الذي يعمل ليلاً ونهاراً بنوبات سريعة، هذا تضطرب عنده الساعة البيولوجية في جسمه، والمعدة تكون قدراتها الإفرازية، وقدراتها على هضم الطعام قليلة أثناء الليل، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أذيبوا طعامكم بذكر الله، ولا تناموا عليه، فتقسو قلوبكم))

اكتشف العلماء مرضاً عند رجال الأعمال، هؤلاء الذين يتنقلون سريعاً من مدينة إلى أخرى، هؤلاء الذين يتنقلون بهذه السرعة تضطرب عندهم الساعة البيولوجية، هذا من أدق صنعة الله عز وجل:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)

[سورة النمل الآية: ٨٨]

عندك ساعة، تبرمج الهرمونات، والنبض، والضغط، والحرارة، والقدرة على الهضم، وهذه الساعة تدرك إذا كنت في النهار أم في الليل دون أن يكون لها علاقة بقوتك الإدراكية، هذا صنع الله الذي أتقن كل شيء، قال تعالى:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢٠-٢١]

11 – جهاز التكييف والتبريد في جسم الإنسان

ماذا عن هذا الجهاز عند الإنسان ؟

أيها الأخوة المؤمنون، من الآيات الدالة على عظمة الله عزَّ وجل الظاهرة في خلقه: أن في جسم الإنسان جهاز تكييفٍ وتبريدٍ، يعدُّ من أدق وأعقد الأجهزة، فالإنسان كائنٌ يتميزُ بحرارةٍ ثابتة، سبع وثلاثين، فكيف يصنع لو ارتفعت الحرارة أو انخفضت، وهو لا يموت إلا بحالتين: الحالة الأولى إذا ارتفعت حرارته إلى الخامسة والأربعين مع الرطوبة المطلقة، والثانية إذا ارتفعت إلى الدرجة ستين مع الجفاف المطلق فيما دون هاتين الحالتين، الإنسان مزود بجهاز بالغ التعقيد، يثبِّت حرارته في الدرجة السابعة والثلاثين، كيف؟.

قال العلماء: يوجد في الإنسان من ثلاثة إلى أربعة ملايين غدة عرقية موزعةً في الجلد توزيعاً حكيماً، ففي بعض الأمكنة في السنتيمتر مربع، أربعمئة وثمانين غدة عرقية، وهو في باطن اليد، لو وصلِت هذه الغدد العرقية بعضها ببعض، لصار طولها خمسة كيلو مترات، تفرز هذه الغدد العرقية في أيام الحر من: ٢٠٠ سم٣ ـ ١٥ سم٣ / س، يتبخر العرق بعد أن يفرز، و ينتشر على سطح الجلد الذي تزيد مساحته في الإنسان على: ١.٨ م٢، لو نشر جلد الإنسان لكانت مساحته في المتوسط: ١.٨ م٢، يتبخَّر هذا الماء الذي تفرزه خلايا التعرق، ومع التبخُّر يحصل ما يسمى: بالتبادل الحراري، فحينما يتبخَّر العرق، يمتص حرارةً من الجسم تعيده إلى الدرجة الثابتة .

أيها الأخوة الأكارم، حينما يبرد الإنسان تضيق الأوردة، لتخفف جولان الدم في السطح الخارجي، فيصفر لون الإنسان، لأن لمعات الأوردة والشرايين تضيق ليبقى الدم في الداخل، ليحافظ الدم على حرارته، وإذا شعر الإنسان بالحر، اتسعت الشرايين والأوردة، حتى ينتشر الدم في أوسع مساحةٍ في الجلد، أما حينما يرتجف الإنسان، فهذا الرجفان يولد طاقة حرارية، يعوّض بها عما فقده في المحيط الخارجي، وحينما يقف شعر الإنسان منتصباً ليحجز هواءً ساخناً بحجمٍ أكبر، فهناك آليةٌ معقدةٌ تتم إذا هبطت الحرارة على الحد المعقول، وهناك آليةٌ معقدةٌ تتم إذا ارتفعت الحرارة على الحد المعقول .

أيها الأخوة الأكارم، إذا خرج ١٠٠٠سم٣ من العرق من الإنسان، فإنه يفقد من الحرارة ما يساوي ألفاً وثلاثمئة سعر حراري، فجهاز التكييف عند الإنسان دقيق جداً، يواجه الحر، ويواجه البرد، هذه الأسرار كلها من آيات الله الدالة على عظمته، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

12 – جهاز التعرق عند الإنسان

ما اسم الجهاز الذي يقوم بوظيفة جهاز التبريد عند الإنسان ، ومم يتألف، وما خصيصة التعرق ؟

أيها الأخوة الأكارم، في الإنسان جهازٌ للتبريد يسميه العلماء: جهاز التعرُّق، هذا الجهاز، بمثابة جهاز التبريد، وجهاز التنظيم الحراري للإنسان، يتألف هذا الجهاز من مليون وحدة تبريد؛ أي من مليون غدة عرقية، وتتألف الغدة العرقية الواحدة من أنبوبٍ طوله مليمتران، وقطره عشر المليمتر، يلتف هذا الأنبوب على نفسه، ويتصل بالجلد، تتوزع هذه الأنابيب على سطح الجلد بشكلٍ غير متساوٍ، تكثر في الجبين، وفي أخمص القدم، وباطن الكف، وفي أماكن أخرى من الجسم، بمعدل ثلاثمئة غدةٍ عرقيةٍ في السنتيمتر الواحد، وكل غدةٍ عرقيةٍ جهاز تبريدٍ كامل، وهذه الأنابيب إذا وصلت ببعضها بعضاً، بلغ طولها خمسة كيلو مترات في كل جسم .

وفي كل مئة غرام من العرق، الذي تنضح به هذه الخلايا، تسع وتسعون غرام ماء من المواد المنحلة، نصفها من الملح، ونصفها من البولة، وبعض المواد الكيميائية الأخرى .

يفرز الإنسان من العرق، في الأربع والعشرين ساعة، من ستمئة غرام إلى ألف غرام، إلى ما يعادل كيلو من العرق، وإفراز العرق مستمر، ولا نشعر به إلا إذا كان غزيراً، والدليل على أن هناك إفرازاً مستمراً، ليونة الجلد ورطوبته، بسبب التعرُّق، ولولا العرق لما كان هناك ليونة، ولما كان هناك رطوبة.

والتعرق صمام أمامٍ لارتفاع حرارة الجسم، كيف أن بعض الأواني البخارية لها صمام أمان، وكذلك الجسم؟ لو أن الحرارة ارتفعت فوق معدّلها لمات الإنسان، لذلك هناك لها صمام أمان لئلا تنفجر، فإذا ارتفعت حرارة الجسم من الداخل، أو كان هناك حرارةٌ من الخارج، فإن هذه الأجهزة تفرز الماء الغزير، وهذا الماء الغزير، يمتص الحرارة الزائدة فيتبخر، وبهذه الطريقة يحافظ على حرارة الجسم المعتدلة .

من وظائف التعرق :

أيها الأخوة المؤمنون، من وظائف التعرق: طرح البولة، وتليين الجلد، وتنظيم حرارة البدن، لذلك يجب العناية بتنظيف الجسم، لإزالة آثار التعرق الكريهة، فيوجد عندنا ملح، ويوجد حمض بولة، تماماً كما في البول، فلذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((اغتسل ولو مداً بدينار))

غسل الجمعة لإزالة أسباب التعرّق، وكما ورد في الحديث عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَقٌّ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

النظافة من الإيمان، فبهذا التنظيف تزال رائحة التعرق الكريهة، وتزال رواسب التعرق بعد التبخر، وتفتح مسام الجلد، وتفتح فوهات، غدد التعرق .

13 – كيف تواجه العضوية البرد

إليكم وسائل التدفئة التي خصها الله في جسد الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، الموضوع العلمي لهذا اليوم موضوعٌ يتعلّق بالبرد، فهذا الكائن البشري، هذه العضوية التي خلقها الله في أحسن تقويم، ماذا تفعل، وبماذا جُهِّزت لو أصابها بردٌ شديد؟ كيف تدافع عن نفسها؟ ماذا أودع الله بها من أجهزة كي تواجه البرد؟ .

قال العلماء: يعدُّ الجلد في الإنسان بمثابة وزارة الخارجية، تنقل للإنسان كل التغيرات التي تصيب المحيط، هناك في الجلد مركزٌ لنقل المعلومات المتعلقة بانخفاض الحرارة وارتفاعها، فإذا برد الجو ولم يكن هناك شيءٌ يبدد البرد، ماذا تفعل العضوية؟ .

تضيق كل الأوردة والشرايين، ولا سيما الشرايين السطحية، فإذا ضاقت لمعتها قلت كمية الدماء التي تجول فيها، وإذا قلّت كمية الدماء التي تجول فيها، قلَّ الإشعاع الحراري، فاحتفظ الجسم بحرارته المختزنة من حرق المواد الغذائية .

فالذي يصيبه بردٌ شديد يصفرُّ لونه، ومعنى اصفرار اللون أن الشرايين المحيطية التي تمتلئ بالدم تضيق لمعتها، وإذا ضاقت لمعتها قلّت كمية الدم، وقلّت بالتالي الحرارة التي يخسرها الجسم من جرَّاء إشعاع ما في الدم من حرارة .

شيءٌ آخر، ترسل الغدة النخامية هرمونا إلى الغدة الدرقية، والغدة الدرقية تقوم بمهمةٍ معقدةٍ صعبة، ألا وهي الاستقلاب، أي تحويل الغذاء إلى طاقة، فالغدة النخامية ترسل أمراً هرمونيا إلى الغدة الدرقية، كي تزيد من الاستقلاب، أي من حرق المواد الغذائية ينتج عنها حرارةٌ تجول في البدن، لو فحصنا الهرمونات في الدم، لوجدنا نسبتها مرتفعة، ولا سيما التي هي صادرةٌ عن الغدة النخامية، والتي تأمر الغدة الدرقية برفع مستوى الاحتراق في الجسم .

شيءٌ آخر، يواجه الإنسان البرد بآلية أخرى، فهناك في رأس الإنسان ما يزيد عن مئتين وخمسين ألف شعرة، تزيد أو تنقص، لكلِّ شعرةٍ؛ وريدٌ، وشريانٌ، وعصبٌ، وعضلةٌ، وغدةٌ دهنية، وغدةٌ صبغية، فإذا برد الإنسان يأتي أمرٌ إلى الأشعار فتنتصب، وإذا انتصبت، حجزت كميةً من الهواء الساخن أكثر من ذي قبل .

هذا ما تفعله العضوية من دون أن تدري أيها الإنسان، من دون أن تدري تضيق الشرايين، من دون أن تدري تتحرَّك الغدة النخامية لتواجه البرد، من دون أن تدري ترفع الغدة الدرقية مستوى الاستقلاب، من دون أن تدري تزيد كميَّات السكر في الدم، ترتجف، تنتصب أشعارك، من أجل أن تواجه البرد، فتبارك الله أحسن الخالقين .

هناك موضوعٌ دقيقٌ، كيف يواجه الإنسان الحر؟ ففي الإنسان مليون غدة عرقية، تعدُّ من أرقى أجهزة التبريد في الكون ليواجه الإنسان الحر .

14 – بصمات الإنسان

إليك هذه الميزة التي أكرمك الله بها أيها الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم، لو أن توأمين تخلَّقا من بويضةٍ واحدة، هناك توأمان يتخلقان من بويضتين، فإن بصمة الأول تختلف عن بصمة الثاني، لأن الله سبحانه وتعالى يشير في كتابه العزيز إلى هذه الحقيقة، قال تعالى:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)

[سورة القيامة الآية: ٣-٤]

استطاع العلماء أن يكتشفوا في هذه البصمة مئة علامة، فلو أن اثنتا عشرة علامة توافقت في بصمتين لكانتا لشخصٍ واحد، واحتمال أن تتشابه البصمتان بواقع الصدفة، واحد من أربعة وستين مليار، أي إذا كان في الأرض أربعة وستين مليار إنسان، هناك احتمال واحد ، أن تأتي البصمتان متشابهتين، عدد سكان العالم ستة آلاف مليون، أي ستة مليارات فقط .

بعض أشكال البصمات و نسبها المئوية (حلزون ٢٨% ، حلقة يمينية أو يسارية ٦٥% ، قوس خيمة ٣% ، قوس منبسط ٤%)

البصمة لها شكلٌ خاص، أقواس، منحنيات، منحدرات، زوايا، تفرُّعات، خطوط، جزر، أخاديد، في بعض معاهد الطب عرضت بصمة، وعرض تحتها خمسة عشر ألف بصمة ، فلم تتشابه ولا اثنتان ولو في سبع نقاط .

متى تتكون البصمة، وهل تستطيع العمليات الجراحية أن تزيلها ؟

أيها الأخوة الأكارم، تتكون البصمة، والطفل في رحم أمه، في الشهر السادس من الحمل، وتبقى حتى الموت، وإذا أزيلت هذه القطعة من اللحم إزالةً كلية، نبت لحمٌ جديد عليه البصمة التي أزيلت، لو أن عملية جراحية أجريت لرجلٍ، وأزيلت بصمته كلياً، أزيل هذا الجلد ، وأخذ جلدٌ له من مكانٍ آخر، ترجع له ملامح البصمة مرةً ثانية، على هذا اللحم الجديد، الذي أخذ من مكانٍ آخر.

أيها الأخوة الأكارم، البصمة، سجلٌ، وهوية، وتوقيع، توقيعٌ من صنع الله عزَّ وجل، لا تستطيع قوى البشر أن تمحوه، ولا بالموت، ربنا عزَّ وجل قال:

(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)

[سورة القيامة الآية: ٣-٤]

أي حينما يبعثنا الله سبحانه وتعالى، يعود هذا التوقيع، هذه الخطوط، هذه الأخاديد، هذه الجزر، هذه التفرعات، هذه التشجيرات، تعود كما كانت، قال تعالى:

(بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)

[سورة القيامة الآية: ٣-٤]

أيها الأخوة المؤمنون، هذه آيةٌ من آيات الله سبحانه وتعالى، كيف تخلق هذه البصمة ، وأنت في رحم أمك؟ وكيف يعيد الله سبحانه وتعالى ملامحها حينما يبعثنا بعد الموت؟ .

الباب الثالث : علم النفس الإسلامي



01 – علم النفس الإسلامي

رمز الموضوع :

أيها الأخوة الأكارم، قد نقول: إن علم النفس علمٌ حديث، يتحدَّث عن طبيعة النفس، وعن قوانينها، وعن الهيجان، وعن الغضب، وعن الدوافع، وعن الحاجات، وعن أحوال النفس في قوتها، وضعفها، في سموها، وانحطاطها، ونغفل أو نتغافل عن أنَّ في القرآن الكريم علماً للنفس من عند الخالق جلَّ وعلا .
وقع قبل أيام تحت يدي كتاب اسمه: (علم النفس الإسلامي) تصفَّحته، فرأيت فيه العجب العجاب، رأيت أن كل مصطلحات علم النفس، وكلَّ قوانين علم النفس في الأعم الأغلب، قد وردت بشكلٍ أو بآخر في القرآن الكريم .
فمن هذه الأبواب التي وردت في هذا الكتاب؛ باب يتحدَّث عن أنواع النفس، هذا ما يعبَّر عنه بالنماذج البشرية، هناك نماذج متكررة وصفها ربنا عزَّ وجل، هناك النفس المطمئنة ، وهناك النفسُ اللوَّامة، وهناك النفسُ الذكية، وهناك آياتٌ كثيرةٌ تصف هذه النماذج، قال تعالى:

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي)

[سورة الفجر الآية: ٢٧-٣٠]

أنواع النفوس كما وردت في القرآن الكريم :

١- النفس المطمئنة :

النفس المطمئنة: هي التي عرفت ربها، واطمأنت إليه، اطمأنت إلى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، اطمأنت إلى وعده ووعيده، اطمأنت إلى جنته، اطمأنت إلى وحدانيته، اطمأنت إلى أنه لا إله إلا هو .

٢- النفس الزكية :

هناك نفسٌ تقع في الدرجة الثانية: هي النفس الزكية الطاهرة من كل دنس، من كل عيب، من كلِّ صفةٍ خسيسة، النفس الذكية التي تعطي ما عليها، وتأخذُ ما لها من دون أن تجحف، من دون أن تطغى، من دون أن تبغي، من دون أن تظلم، قال تعالى:

(أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً)

[سورة الكهف الآية: ٧٤]

(أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً)

[سورة الكهف الآية: ٧٤]

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)

[سورة الشمس الآية: ٩-١٠]

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)

[سورة الشمس الآية: ٧-٨]

٣- النفس اللوامة :

أما النفس التي أثنى الله عليها، فهي نفس عامة المؤمنين، هي النفس اللوَّامة، قال:

(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ)

[سورة القيامة الآية: ١-٢]

هذا الذي كلما تكلّم كلمةً فحصها، وحاسب نفسه عليها، أيجوز أن أقول هذه الكلمة؟ لعلها غيبةٌ، لعلها نميمة، لعلها تسخط الله عزَّ وجل، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

هذه النفس اللوامة، نفسٌ أثنى الله عليها، ويجب أن يكون المؤمن لوَّاماً، يسأل نفسه دائماً، يحاسبها في الدنيا حساباً عسيراً، حتى يكون حسابُها يوم القيامة يسيراً، يحاسب نفسه على الدرهم، فضلاً عن الدينار، يحاسب نفسه على النظرة، يحاسب نفسه على الكلمة، يحاسب نفسه على أي عدوانٍ معنويٍ أو ماديٍ على حقوق الإنسان، هذه النفس اللوامة نموذجٌ آخر ورد في القرآن الكريم .

٤- النفس الحاسدة :

هناك نفسٌ حاسدةٌ، قال تعالى:

(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)

[سورة البقرة الآية: ١٠٩]

النفس البعيدة عن الله عزَّ وجل تحسد الناس .

٥- النفس الآثمة والنفس الأمارة بالسوء والنفس الظالمة ....

هناك نفسٌ آثمةٌ، تقع فيما حرَّم الله، قال تعالى:

(وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ)

[سورة النساء الآية: ١١١]

نفسٌ آثمة، ونفسٌ أمارةٌ بالسوء، قال تعالى:

(إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي)

[سورة يوسف الآية: ٥٣]

نفسٌ ظالمة، ونفسٌ مخادعة، ونفسٌ شاذةٌ، ونفسٌ مستكبرةٌ عاتية، ونفسٌ بخيلة .

اسأل نفسك هذا السؤال :

فيا أيها الأخوة الأكارم، إذا قرأتم القرآن، وجاءت الأوصاف لهذه النفوس، اسأل نفسك هذا السؤال الخطير: من أي النماذج أنت؟ من المطمئنة، أم من الزكية، أم من اللوامة، أم لا سمح الله من الحاسدة، أم من الآثمة، أم من الأمَّارة بالسوء، أم من الظالمة، أم من الخادعة، أم من المستكبرة العاتية، أم من البخيلة؟ .

بابٌ من أبواب علم النفس يصف لك النموذج البشري، الذي يتكرر في كلِّ زمانٍ، وفي كلِّ مكان .

02 – اليأس والإنفاق والإحباط

كلمة موجزة عن علم النفس الإسلامي:

أيها الأخوة الأكارم، بدأنا نسمع بشيءٍ اسمه: علم النفس الإسلامي، علمٌ بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فهو يعني علاقات ثابتة، قواعد، قوانين، هذه التي بين جنبيك، هي ذاتك ، هي الخالدة التـي لا تموت، هي التي تسمو، وهي التي تفسد، علم النفس الإسـلامي، أي حقائق النفس المستنبطة من كتاب الله، وسنة رسوله، وما هذه الخطب الثلاث إلا من هذا القبيل.

أيها الأخوة الأكارم، إذا اتصل الإنسـان بالله عزَّ وجل حقق ذاته، وحقق فطرته، فإذا انقطع عنه أصيب بما يسميه علماء النفس، أو الأطباء النفسيين: بالاضطرابات نفسية.

من الاضطرابات النفسية في علم النفس الإسلامي:

١ - اليأس:

اليأس، قال تعالى:

(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)

[سورة هود الآية: ٩]

(وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً)

[سورة الإسراء الآية: ٨٣]

فاليأس اضطرابٌ نفسي، سببه؛ الانقطاع عن الله عزَّ وجل، يؤدي عدم الإيمان بالله أو الانقطاع عنه إلى هذا الاضطراب النفسي.

لكن المؤمن يغلب عليه التفاؤل، يغلب عليه الثقة بما عند الله عزَّ وجل، إذا أردت أن تكون أقوى الناس، فتوكل على الله، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس، فكن بما في يد الله أوثق مما بين يديك، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس، فاتق الله.

٢- النفاق:

يعدُّ علماء النفس الإسلامي النفاق اضطراباً نفسياً، سببه الشرك، إذا أشرك الإنسان بالله، ورأى مع الله آلهةً، بيدها أمره، وبيدها نفعه وضره، إن انطلق من هذه النظرة، من لوازم هذا الخطأ الإيماني: اضطراب نفسي، إنه النفاق، قال تعالى:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)

[سورة البقرة الآية: ٨-٩]

فالنفاق ظاهرةٌ مرضية، النفاق اضطرابٌ نفسي، سببه الشرك.

٣- الإحباط:

الإحباط، حينما يعلق الإنسان آماله بغير الله، ثم يجد أن هذا الشيء لا قيمة له، لم يحقق هدفه، يصاب بحالةٍ نفسيةٍ مؤلمةٍ جداً، إنها الإحباط، قال تعالى:

(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

[سورة الزمر الآية: ٦٥]

حالة الإحباط، أن تظن هذا الشيء عظيماً، تقبل عليه، تضيِّع من أجله شبابك وشيخوختك، ثم تكتشف بعد فوات الأوان، أنه لا شيء، وأنه ليس مسعداً.

٤- الصراع وأمرض أخرى عديدة:

يا أيها الأخوة الأكارم، من أنواع الاضطراب النفسي الناتج عن ضعف الإيمان، وعن ضعف الصلة بالله، ما يسمى: بالصراع المستمر، الصراع إذا استمر انقلب إلى لا مبالاة، وهذا مرضٌ من أمراض العصر، صراعٌ بين الحق والباطل، صراعٌ بين الحاجة والقيم، صراعٌ بين الدنيا والآخرة، صراعٌ بين العقل والشـهوة، عدم قوة الإيمان، يصبح الإنسان ضحية هذا الصراع، قال تعالى:

(مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)

[سورة النساء الآية: ١٤٣]

فالصراع، والإحباط، والنفاق، واليأس، وسوء الظن، يغلب على المنقطع عن الله سوء الظن بكل شيء، وسوء الظن، والبغضاء، والغضب، والسلبية، والاكتئاب، أمراض العصر، يبلغ مجموع اللذين يعالجون في العيادات النفسية، في مجتمعات الكفر، بالمئة مئة وخمسة وخمسين، أيْ بالمئة مئة نسبة مراجعي العيادات النفسية، وخمسة وخمسون بالمئة يعالجون مرتين، وبعض الأطباء النفسيين يعالجون عند زملائهم، فالاكتئاب مرض العصر، والاكتئاب لأن فطرتهم سليمة، فلما انحرفوا عذبتهم فطرتهم فاكتأبوا، هذا سماه العلماء: الشعور بالذنب، عقدة النقص أو الاكتئاب.

الخاتمة:

فيا أيها الأخوة الأكارم، إذا آمنا بالله عزَّ وجل، عشنا حالة اسمها: الصحة النفسية، نفسٌ رضية، نفسٌ مطمئنة، نفسٌ متفائلة، نفسٌ متوازنة، نفسٌ صادقة، نفسٌ صريحة، هذه الصفات الراقية هي من ثمار الإيمان، إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبدً منحه خلقاً حسناً.

03 – تأثير الفرح والحزن على النفس

ما تفسير هذه الآية ؟

أيها الأخوة الأكارم، مما يلفت النظر في قوله تعالى:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)

[سورة الحديد الآية: ٢٢-٢٣]

أشارت هذه الآية، ولا سيما في مقطعها الأخير: إلى أن الإنسان إذا ازداد حزنه أو ازداد فرحه لا يحتمل قلبه، لا هذا ولا ذاك، فمما يجعل حزنه مقبولاً وسليماً، ومما يجعل فرحه مقبولاً وسليماً، أن يرى الأمور من الله عز وجل، وأن يوحد، فإذا وحَّد خفَّت وطأة المصائب عليه، وإذا وحَّد خفَّت وطأة الأفراح عليه، للأفراح أحياناً صدمة نفسية كما للأحزان، كم من فقير ورث مالاً طائلاً فمات حتف أنفه؟ لأنه لم يحتمل الخبر، فربنا عز وجل يقول:

(لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)

[سورة الحديد الآية: ٢٣]

أي إذا وحدت ونظرت إلى الأمور أنها من الله عز وجل، فإن وطأة الأحزان تخف على قلبك، وشدة الأفراح تخف على قلبك، يقول عليه الصلاة والسلام:

((من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات، اللهم أنا عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، وأنا في قبضتك، وناصيتي في يدك، ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت نفسك به، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن نور صدري، وربيع قلبي، وجلاء حزني، وذهاب غمي))

[أخرجهما أبو داود والترمذي في سننهما]

كان عليه الصلاة والسلام يدعو بهذا الدعاء إذا أصابه هم أو حزن.

ويقول ابن عباس رضي الله عنه: ليس أحد منا إلا هو يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة جعلها صبراً، ومن أصابه خير جعلها شكراً.

ومن أغرب الإحصاءات: أنه مات من رعايا بعض البلدان الغربية في الحرب العالمية الثانية مليونين بسبب الشدة النفسية، وأما في ساحة المعركة فقد مات ثلث مليون، إذاً: الشدة النفسية من دون توحيد، من دون إيمان، تفعل فعلاً خطيراً في الإنسان، لذلك قال الله تعالى:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)

[سورة الحديد الآية: ٢٢]

من عرف الدنيا لم يفرح لرخاء، لأنه مؤقت، ولم يحزن لشقاء، لأنه مؤقت، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

04 – اللون الأخضر

لماذا خص القرآن اللون الأخضر في آيات عدة بالذكر، إليكم مقولة العلماء عن ذلك ؟

أيها الأخوة الكرام، مما يلفت النظر في القرآن الكريم، أن اللون الأخضر ورد في آياتٍ عدة، الأخضر بالذات، فقال تعالى:

(مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)

[سورة الرحمن الآية: ٧١-٧٧]

وفي آيةٍ أخرى:

(عاليهم ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ)

[سورة الإنسان الآية: ٢١]

وفي آيةٍ ثالثة:

(يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ)

[سورة الدخان الآية: ٥٣]

فماذا قال علماء النفس، حول علاقة الإنسان بالألوان؟ قالوا: إن تأثير اللون في الإنسان بعيد الغور، ربما يؤثر اللون في إقدامنا وإحجامنا، ربما أشعرنا بالحرارة، أو أشعرنا بالبرودة، ربما أشعرنا بالمسرة، أو أشعرنا بالكآبة، اللون له تأثيرٌ كبير، بل ربما أثر اللون في شخصية الإنسان، ونظرته إلى الحياة .

يقول العلماء: اللون الأصفر، لطول موجته، يبعث النشاط في الجهاز العصبي، فإذا أردت أن تعلن إعلاناً صارخاً في الطرقات العامة، فاللون الأصفر أطول أمواج الألوان، فينشط الجهاز العصبي، ويؤثر فيه أبلغ التأثير، ويدعو اللون الأرجواني إلى الاستقرار، ويشعر اللون الأزرق بالاتساع، ويشعر بالبرودة، ويشعر اللون الأحمر ومشتقاته بالدفء، لكن اللون الذي يبعث السرور داخل النفس البشرية، ويثير بواعث البهجة فيها، هو اللون الأخضر ، لذلك جعل الله النبات أخضر اللون، هذه المساحات الخضراء في الأرض تبعث في النفس البهجة، لذلك اختيرت ثياب الجرَّاحين من اللون الأخضر، لأن المريض وهو على وشك أن تجرى له العملية، هذا الثوب الأخضر، يبعث فيه البهجة .

أيها الأخوة الكرام، مما يلفت النظر، أن الله سبحانه وتعالى، ذكر أهل الجنة، وذكر ما في الجنة من نعيم، وورد اللون الأخضر في هذه الآيات، فالمؤمن حينما يختار بعض الألوان، يجب أن يختارها بشكلٍ يوحي بالبهجة والسعادة، فهذا مما يثير في النفس، كما قال علماء النفس: بواعث البهجة .

05 – علاقة الغضب بالصحة

الحالة التي يمر بها جسد الإنسان عندما يغضب:

أن الانفعالات الشديدة تحرض الغدة النخامية على إفراز هرمونها المحضر لغدة الكظر، غدة الكظر تعطي أمراً للقلب بالتسارع، فالغاضب نبضه مئة وستين، وتعطي أمراض للرئتين بسرعة الوجيب والغاضب يلهث، وتعطي أمراً برفع الضغط، الضغط يرتفع فجأة قد يصل إلى واحد وعشرين، ومع ارتفاع الضغط هناك خطر نزيف في الدماغ، خثرة في الدماغ يعني شلل، أو جلطة في القلب، أو عمى مفاجئ.

قال العلماء: معظم حالات الداء السكري تأتي عقب انفعال شديد، لأن الإنسان حينما يغضب، الغدة النخامية ملكة الغدد تأمر الكظر، فيعطي أمراً للقلب بالتسارع، وأمراً للرئتين بسرعة الوجيب، وأمراً للكبد بطرح كمية كبيرة من السكر، فالسكر يزداد فجأة في الدم، وإن السكر يعطي لزوجة في الدم، لذلك الداء السكري عقب انفعال شديد جداً.

شيء آخر: الغضب الشديد يؤدي إلى ارتفاع شحوم الدم، وهذه تؤدي إلى تصلب الشرايين، وهذا يؤدي إلى أمراض في القلب.

شيء آخر: الانفعالات الشديدة تثبط حركة الأمعاء، فالعصبي المزاج معه إمساك مزمن، ومع الإمساك المزمن إنتانات، وتقرحات، وقد تؤدي إلى سرطانات في الأمعاء.

أما أخطر خطر، هو أن الانفعال الشديد يضعف جهاز المناعة في الإنسان، ومع ضعف جهاز المناعة تقوى الجراثيم والأورام الخبيثة، لذلك جهاز المناعة المكتسب مسؤول عن الأمراض الجرثومية والسرطانية.

المقال طويل جداً، وتفصيلات مملة، لكن ذكرت لكم رؤوس هذه التفصيلات، هذا هو الغضب، لذلك كان الحلم سيد الأخلاق.

ثمرة التوحيد:

أيها الأخوة، الحلم خلق عالٍ جداً، لكن التوحيد يعينك على الحلم، إن رأيت الأمر كله بيد الله، وأفعال الله كلها حكيمة، وكل شيء أراده الله وقع، وكل شيء وقع أراده الله، وإرادته متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، انتهى الأمر، لا شيء يزعج، هذا الذي حصل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، هذا التوحيد هو برد وسلام، التوحيد راحة، التوحيد طمأنينة، التوحيد ثقة بالله.

سراقة يلحق النبي ليقتله، قال: كيف بك يا سراقة، إذا لبست سواري كسرى؟ إنسان سيقتلك ليأخذ مئة ناقة جزاء القتل، النبي عليه الصلاة والسلام واثق من أن الله لن يتخلى عنه، سيوصله إلى المدينة، وسيؤسس دولة فيها، وسيحارب الفرس، وسوف تأتيه كنوز كسرى، وسوف يلبس سراقة سواري كسرى، هذا المؤمن، واثق من نصر الله، واثق من أن الله لا يتخلى عن المؤمنين إطلاقاً، هذا شعور صحي، شعور مريح.

اسمعوا هذه الكلمة: التوحيد صحة، يعني إن أردت أن تعمل الأجهزة بانتظام، الضغط معتدل، والنبض معتدل، والكولسترول معتدل، كن مؤمناً، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)

[سور الشعراء الآية: ٧٨-٨٢]

كنت أنتظر أن يقول: والذي يمرضني ويشفيني، وإذا مرضت فهو يشفين، عُزي المرض إلى الإنسان، لضعف توحيده انفعل، لشركه حقد، الحقد والانفعال أسبابهما الشرك.

مرةً سمعت أن مريضاً أراد أن يجري عملية في بلد غربي، فهو نفسه حدثني، قال: جاءتني ممرضة أدارت ظهرها لي، ونسقت الأزهار، وسألتني عن الطبيب الذي سيجري العملية، سميت اسمه لها، قالت: مستحيل هذا ليس عنده وقت، قال: أنا جئت من الشام على هذا، قالت: لا، هذا ليس عنده وقت أبداً، هذا أجرى عشرة آلاف عملية لم تفشل واحدة، شعرت بنشوة، هذه الممرضة جاءت خصيصاً لرفع معنوياته كي تنجح العملية.

العلماء استنبطوا أن كلما كانت معنويات المريض عالية جداً الشفاء صار قريب جداً، فلذلك العضوية تضعف أمام النفس ذات الصلة بالله عز وجل، أما النفس المشركة الضعيفة البعيدة عن الله، قلبها هواء.

الباب الرابع : النوم



01 – النوم المبكر

الآيات والأحاديث اللتان تحضان على النوم المبكر :

أيها الأخوة المؤمنون، الذي يقرأ كلام الله، ويقرأ السنة النبوية المطهَّرة، يستنبط من خلال آياتٍ عدة، ومن خلال أحاديث عدة، أن الله عزَّ وجل، ونبيه الكريم، يرغِّبون بالنوم باكراً، والاستيقاظ باكراً، قال تعالى:

(وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً)

[سورة النبأ الآية: ٩]

وقال تعالى:

(وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)

[سورة الإسراء الآية: ٧٨]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((بورك لأمتي في بكورها))

[ورد في الأثر]

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:

((رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لا تجتمعوا بعد صلاة العشاء إلا لطلب العلم))

[ورد في الأثر]

ليس من السنة النبوية المطهرة أن تسهر لغير طلب العلم، قال عليه الصلاة والسلام:

((لا تجتمعوا بعد صلاة العشاء إلا لطلب العلم))

[ورد في الأثر]

كأن النبي عليه الصلاة والسلام يريدنا أن ننام باكراً، وأن نستيقظ باكراً .

ما تفسير هذه الآية، وما هي الحقائق التي نستنبطها منها ؟

يقول الله سبحانه وتعالى:

(وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ)

[سورة الإسراء الآية: ٧٨]

في بعض تفسيرات هذه الآية: أي القرآن الذي تتلوه في صلاة الفجر .

يؤكد العلماء إن أعلى نسبةٍ لغاز الأوزون، تكون عند الفجر، وهذه النسبة تقل تدريجياً، حتى تضمحل عند طلوع الشمس، أما تأثير هذا الغاز، فهو تأثيرٌ مفيدٌ جداً للجهاز العصبي، ومنشطٌ جداً للعمل الفكري والعضلي، فمن بقي في فراشه، واستيقظ بعد الشمس، شعر طوال اليوم بأنه منهار القوى، هذه الحقيقة الأولى .

شيءٌ آخر، تكون نسبة الأشعة فوق البنفسجية أكبر عند الشروق، منها حين ترتفع الشمس في كبد السماء، وهذه الأشعة فوق البنفسجية، هي التي تحرِّض الجلد على صنع الفيتامين (د)، والفيتامين (د) هو وحده الذي يثبت الكلس في العظام، فسبب هشاشة العظام ، وسرعة كسر العظام، وضعف البنية العظمية، النوم إلى بعد طلوع الشمس .

ثالثاً: الاستيقاظ الباكر يمنع النوم المديد، النوم المديد: سبع ساعات، ثماني ساعات متصلة يضعف نشاط الجسم إلى أدنى حد، والقلب تقلُّ عدد نبضاته إلى أدنى حد، ويجري الدم بطيئاً في الشرايين، عندئذٍ تترسب المواد الدهنية في جدران الشرايين، وهذا الذي يسبب ضيق الشرايين، والذبحة الصدرية، الاستيقاظ إلى صلاة الفجر يمنع النوم المديد، تنام على دفعتين قبل الصلاة، وبعد الصلاة، هكذا يقول العلماء .

شيءٌ آخر، في الجسم هناك مادةٌ تزيد الفعاليات كلها في الجسم، وترفع مستوى استقلاباته، وتزيد نسبة السكر في الدم، هذه المادة تبلغ أعلى درجة، والإنسان في وقتٍ باكر، هذه بعض الحقائق العلمية التي تدعم أن هذا الكتاب من عند الله، قال تعالى:

(وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)

[سورة الإسراء الآية: ٧٨]

اسم هذه المادة الكورتيزون، وهي مادة موجودة في الإنسان، ترفع مستوى الاستقلاب ، تزيد نسبة السكر في الدم، وفوق هذا وذلك، تزيد الفعالية العامة للأجهزة والأعضاء في الإنسان، وهي تبلغ نسبة اثنين وعشرين عند الفجر، وتقل إلى سبع درجات .

الخاتمة :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول تعالى:

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)

[سورة الإسراء الآية: ٧٨]

((رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

((بورك لأمتي في بكورها))

[ورد في الأثر]

((لا تجتمعوا بعد صلاة العشاء إلا لطلب العلم))

[ورد في الأثر]

02 – ومن آياته منامكم بالليل

آية النوم :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ يقول العلماء :

النوم أعظم نعمة أنعم الله بها علينا لاستعادة النشاط بعد التعب ، أعظم نعمة أنعم الله بها علينا لاستعادة النشاط بعد التعب ، لاستعادة النشاط للأجسام المنهكة ، التي أنهكها التعب ، ومن آياته الدالة على عظمته يقول الله عز وجل :

(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

[سورة الروم: ٢٣]

آلية النوم مادة كيميائية :

أحدث البحوث في موضوع النوم أن الإنسان إذا استيقظ وبدأ بالعمل يُفرز في دمه مادة أو مواد كيميائية بنسب ضئيلة جدا ، كلما مر الوقت ارتفعت هذه النسب ، فإذا بلغت حدا معينا ، هذه النسب التي بلغت حدا معينا في الدم إثر مرور الزمن على بذل الجهد أرسلت أمرا إلى الدماغ ، والدماغ بدوره يرسل أمرا عصبيا كهربائيا إلى مراكز النوم في الجسد ، مراكز النوم هي العُقد العصبية ، العقد العصبية إما أن تتباعد فتقطع السيالة الكهربائية ، وهذا هو النوم وإما أن تقترب من بعضها بعضا فتمر السيالة العصبية الكهربائية

آلية النوم مادة كيميائية ، أو مجموعة مواد تفرز في بدء اليوم بنسب ضئيلة جدا ، كلما مر الوقت ارتفعت هذه النسبة ، حتى إذا بلغت حدا معينا أرسل الجسم إلى الدماغ تبليغا عصبيا لاقتراب حالة الإعياء ، الدماغ يأمر مراكز النوم بالعمل ، تتباعد النهايات العصبية عن بعضها فيحدث النوم .

تدبير من ؟ ...

تنظيم من ؟ ...

خلق من ؟ ...

إبداع من ؟ ...

كيف تكون حياتنا بلا نوم ، لو أن الإنسان سهر ليلتين متتابعتين لاختل كيانه ، ولفقد توازنه ، فكيف لو حُرم النوم ، قال تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

[سورة الروم: ٢٣]

في الجسم مراكز للنوم الخفيف ومراكز للنوم العميق :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في الجسم مراكز للنوم الخفيف ، ومراكز للنوم العميق ، قد تستلقي على فراشك ثماني ساعات ، قد تنام منها ساعة أو ساعتين نوما عميقا ، والساعات الباقية تنام نوما خفيفا، بمعنى أنك على نوع من الاطلاع ، على ما يجري في البيت ، نوع من الاطلاع ، من تكلم ، من دخل ، من طرق الباب ، من خرج ، لكن النومة العميق لا تحس على شيء ، من جعل في الجسم مركزا للنوم العميق ومركزا للنوم الخفيف ومركزا لليقظة ؟

الطفل أيها الأخوة ينام ثمانية عشر ساعة من أربعة وعشرين ، كي ينمو جسمه ، والذي يبلغ عمره خمس سنين ينام اثنتي عشرة ساعة ، و المراهق ينام تسع ساعات ، والبالغ ينام من سبع إلى ثماني ساعات .

من نظم النوم ؟ ...

من نظم مدته ؟ ...

من نظم نوعيته ؟ ...

من جعله فترة استجمام وراحة للعضلات و الأجهزة ؟ ...

ربُّنا سبحانه و تعالى يقول :

(وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)

[سورة الروم: ٢٣]

03 – النوم على الشق الأيمن

ما هو النوم الصحيح ، وما هي الأضرار التي تنجم عن النوم غير الصحيح ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون، حينما يأوي الإنسان إلى فراشه ليراقب نفسه، كيف ينام؟ ينام بعض الناس على بطونهم، وينام بعض الناس على ظهورهم، وبعض الناس ينامون على شقِهم الأيمن، وبعض الناس

ينامون على شقهم الأيسر، فالذين ينامون على بطونهم، هؤلاء يشعرون بضيقٍ في التنفس، لأن ثقل كتلة الظهر، والهيكل العظمي تقع على رئتيه، فضلاً عن أن هذه النومة، نومة الشيطان .

بعض الناس ينامون على ظهورهم، كذلك التنفس من الفم ممكن، ولكنه غير طبيعي لماذا؟ لأنك إذا تنفست من فمك، عطلت جهازاً من أدق الأجهزة، جهاز التسخين والتصفية، فبالأنف، سطوحٌ متداخلة، فيها شرايين ذوات عضلات، إذا توسعت العضلات، جاءت كميةٌ كبيرة من الدم، فإذا سار الهواء في هذه السطوح المتداخلة، ولامس كميات الدم الكبيرة المتدفقة على الأنف بفعل عضلات الشرايين، عندئذٍ يسخن الهواء، ويصل إلى أول القصبة، في درجة ثمانيةٍ وثلاثين، قد يكون الهواء في درجة الصفر، فإذا دخل إلى الرئة، صار بفعل الأنف، جهاز التسخين العالي المستوى، في درجة ثمانية وثلاثين

فضلاً عن أن هذه السطوح العديدة المتداخلة التي يسير الهواء بشكل حلزوني، ليسخن هذه السطوح فيها مادة لزجة، يعلق بها أيُّ غبارٍ، أيُّ هبابٍ، أيُّ جسمٍ، أي شيءٍ يحويه الهواء .

لو تصورنا أن شيئاً استطاع أن يسير بين السطوح دون أن يلمسها، أو دون أن يعلق عليها، هناك الأشعار التي خلقها الله في الأنف، من أجل أن تصطاد هذه المواد الغريبة، وهذه الأشياء العالقة في الهواء، يعني أرقى جهاز تسخين، وأرقى جهاز تصفية، بحيث يصل الهواء إلى الرغامي، نقياً، دافئاً، نظيفاً، مصفى، فإذا نام الإنسان على ظهره، وتنفس من فمه، عطّل هذه الأجهزة بالغة التعقيد.

ماذا يحدث إذا تنفس الإنسان من فمه؟ هؤلاء أكثر تعرضاً للزكام من غيرهم، وهؤلاء تجف لثّتهم، وإذا جفت تراجعت، وتراجع اللثة عن الأسنان مرض العصر، وفضلاً عن هذا وذاك، فإن الشخير الذي لا يحتمل، سببه هو التنفس من الفم، إذن النوم على الظهر ليس صحياً، بقي النوم على الشق الأيسر .

إن الطعام يستغرق في الحالة الطبيعية، من ساعتين إلى أربع ساعات في المعدة، فإذا كان النائم على الشق الأيسر، استغرق هضم الطعام من خمس ساعاتٍ إلى ثمانية، لأن الرئة اليمنى، وهي الكبيرة تضغط على القلب، والكبد وهو أكبر الأعضاء، يبقى معلقاً قلقاً .

فإذا نام الإنسان على شقه الأيمن، الرئة اليسرى أصغر، وأخف، والكبد وهو أكبر أعضاء الجسم مستقرٌ في الجسد على جهة الأرض، والهضم يتم بسرعة .

إليكم هذا الحديث الذي يؤكد حقيقة النوم الصحيح :

أيها الأخوة، ماذا قال النبي العدنان؟ قال عليه الصلاة والسلام للصحابي الجليل البراء بن عاذب:

((إذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضّأْ وُضُوءَكَ لِلصّلاةِ، ثُمّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ،ثُمّ قُل: اللّهُمّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إلَيْكَ، وَفَوّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ))

قال بعضهم: النوم على الظهر؛ نومة الأمراء، والنوم على البطن؛ نومة الشياطين، والنوم على الشق الأيسر؛ نومة الأغنياء، لكثرة أكلهم، والنوم على الشق الأيمن نومة العلماء، والنبي عليه الصلاة والسلام فيما ثبت من حديثه الشريف، يقول:

((إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ))

04 – النوم المديد

ما هي الآفة المرضية التي تصيب من ينام أكثر من القدر المحدود، وما هي أعراضها ؟

أيها الأخوة الكرام، أثبتت الدراسات الطبية الحديثة: أن الإنسان الذي ينام ساعاتٍ طويلة، على وتيرة واحدة، يتعرض إلى الإصابة بأمراض القلب، بنسب عالية جداً، تعليل هذه الظاهرة: أن شحوم الدم تترسب على جدران الشرايين الإكليلية للقلب، بنسبة أكبر إذا طالت ساعات النوم، مما يؤدي إلى تعطيل عمل هذه الشرايين، وفقدها لمرونتها، فلا تصلح بعدئذ لضخ كميات الدم المناسبة لتغذية عضلة القلب .

كل شريان فيه مرونة، المرونة كالمطاط، فحين يأتيه نبض القلب، يتسع الشريان، بحكم مرونته يجب أن يعود إلى ما كان عليه، فإذا عاد إلى ما كان عليه، دفع الدم إلى القسم الآخر من الشريان، فكل شريانٍ يعاون القلب في ضخ الدم، هذه اسمها المرونة، حينما تترسب الشحوم على جدران الشرايين، تفقد الشرايين مرونتها، يضعف النوم المديد لساعاتٍ طويلة حركة القلب ويجعله بطيئاً، ومع بطء الدم، تترسب هذه الشحوم على جدران الشرايين، فيفقد الشريان مرونته، وهذه الترسبات الدهنية أيضاً، تضيق لمعة الشريان، أي قطره، وهذا يؤدي أيضاً إلى نقص تروية عضلة القلب، وهذا النقص في التروية، يؤدي إلى متاعب لا يعلمها إلا الله .

الآن استمعوا: هؤلاء العلماء الأجانب، البعيدون عن منهج الله، الذين لا يعرفون عن الإسلام شيئاً، يقولون: ينصح الباحثون، أن يقوم الإنسان من نومه بعد أربع أو خمس ساعات ، لإجراء بعض الحركات الرياضية، أو لمشي ربع ساعة، للحفاظ على مرونة الشرايين القلبية ، ووقايتها من الترسبات الدهنية، وبالتالي لتجنب الإصابة بأمراض القلب .

أي إذا نمت أربع أو خمس ساعات يجب أن تستيقظ وأن تجري بعض الحركات الرياضية، أي إذا نمت الساعة الحادية عشر، يجب أن تستيقظ الساعة الخامسة لصلاة الفجر، إما أن تمشي ربع ساعة إلى المسجد، وإما أن تمارس بعض الحركات الرياضية هي الصلاة.

شيءٌ دقيق عالمٌ غربي، قال: الوقاية من الإصابة بتصلب الشرايين، ولا سيما الإكليلية في القلب، أن تستيقظ بعد أربع أو خمس ساعات، وأن تجري بعض الحركات الرياضية، أو أن تمشي ربع ساعة.

إليكم هذه الأحاديث التي ترغب في الاستيقاظ لصلاة الفجر، والتي ترهب من لم يستيقظ :

أيها الأخوة، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ذكر عند النبي رجل، فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، وما قام إلى الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ))

وقد قال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه الإمام مسلم:

((وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ))

وفيما رواه الشيخان، قال عليه الصلاة والسلام:

((أثقل صلاةٍ عند المنافقين، صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما، لأتوهما ولو حبواً، من صلى الفجر في جماعة، فهو في ذمة الله حتى يمسي، ومن صلى العشاء في جماعة، فهو في ذمة الله حتى يصبح))

أرأيتم إلى أن قيامك لأداء صلاة الفجر، وقاية لقلبك من الاحتشاء، والذبحة، وما إلى ذلك، وقاية لشرايينك من التصلب، وقايةٌ لشرايينك من الانسداد، هذا يقوله علماء ما عرفوا الإسلام إطلاقا، فالصلاة صحة، هي فضلاً عن إنها عبادة، وقرب إلى الله، قال تعالى:

(إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)

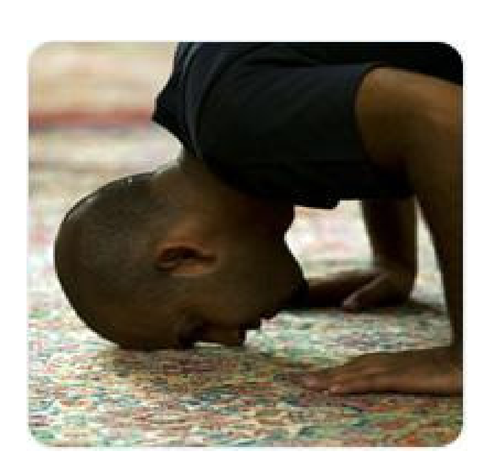
[سورة طه الآية: ١٤]

(كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)

[سورة العلق الآية: ١٩]

أيها الأخوة الكرام، هذا منهج الله، هذه تعليمات الصانع، هذا ليس من عند النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى .

الباب الخامس : الصلاة



01 – علاقة الصلاة بصحة الجسد

ما هي الأمراض التي تخففها الصلاة عن الإنسان ؟

أيها الأخوة الكرام، الموضوع العلمي في هذه الخطبة، بحثٌ دقيق وشيّقٌ عن علاقة الصلاة بصحة الجسد، لا مجال لبسطه من على هذا المنبر، ولكن أقتطف لكم من هذا البحث الدقيق بعض الملاحظات.
قال: ترفع الصلاة كفاءة القلب، والدورة الدموية، طبعاً فضلاً عن أنها عبادة، وفضلاً عن الحديث عن خشوعها، وعن فرضيّتها، نتحدث عن الصلاة من زاويةٍ ضيقةٍ جداً، ألا وهي علاقتها بصحة البدن .
قيل: يندر أن تجد أشخاصاً بين المصلين يعانون من أمراضٍ في العمود الفقري، طبيعة الركوع والسجود والقيام، هي صحة للعمود الفقري، وتندر التهابات المفاصل بين المصلّين بجميع أنواعها، ويندر مرض النقرس بين المصلين، ويندر بين المصلين حصول الدوالي، وجلطات الأوردة العميقة، ويندر بين المصلين الاحتقان الدموي في الحوض، الذي يسبب البواسير والنزوفات الرحمية، ويندر بين المصلين ضيق الصدر، الذي هو بسبب تراكم غاز ثاني أوكسيد الكربون في الرئتين، فالزفير القسري الذي يحدثه الركوع والسجود، ينشّط الرئتين، وينشط القلب مع الرئتين، ويندر بين المصلين التيه والخرف الشيخي، لأن السجود من شأنه أن يروّي الدماغ بالدم، والتيه والخرف الشيخي في بعض أسبابه، نقصٌ في تروية أوعية المخ، لذلك السجود يجعل الدم ينصبُّ على أوعية الرأس بشكلٍ قسري، بفعل الجاذبية، لذلك يندر التيه، والخرف الشيخي بين المصلين .

إليكم هذه الإشارة من النبي :

قد أشار النبي عليه الصلاة والسلام إشارةً موجزةً رائعةً، قال:

((قُمْ يَا بِلالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ))

ومن يدري؟ لعلَّ الراحة في الصلاة، الراحة نفسيةٌ وجسميةٌ في وقتٍ واحد .
أيها الأخوة الأكارم، أمر الله عزَّ وجل أعظم بكثير من أن يفسَّر بعلّةٍ واحدة، أو بحكمةٍ واحدة، أوامر الله عزَّ وجل، حكمها، وعللها، لا تعدُّ ولا تحصى .

02 – الصلاة والدعاء يخففان ألم المرض

إليكم مضمون هذه الدراسة :

أيها الأخوة الكرام، تنفيذا لأداء أمانة التبيين، قبل أسبوعين حدّثتكم عن معلومة وردت في أحد المواقع المعلوماتية، وهي أن دراسة قامت بها جامعة من الجامعات المحترمة تؤكد أن الصلاة والعلاج الروحاني يمكن أن يقللا من الألم الذي يشعر به المريض، وأن يعجلا بشفائه ، بعض الأخوة الكرام تمنى علي أن أوضِّح أن هذه الحالة النفسية العالية التي تعين على الشفاء وتعين على تخفيف الآلام، هذه الحالة النفسية هي حالتان؛ إما أن تكون حالة وهم، أو أن تكون حالة إيمان، قد تعطي إنسانا شيكا بمائة مليون، و لكنه مزوّر، ولا يدري أنه مزوّر ترتفع معنوياته، و يشعر أنه غني كبير، هذه حالة عالية، ولكنها ليست حالة واقعية صحيحة، فالدراسة أشارت إلى أن الحالة النفسية المرتفعة لها علاقة بتخفيف الآلام وتعجيل الشفاء، و لكن قد تكون هذه الحالة بسبب الإيمان بالله عزوجل، والاستسلام لأمره، والاتصال به، فهذه حالة طيبة هي التي قصدتها أنا في تعليقي السابق، أما قد تكون هذه الحالة موهومة أساسها غير صحيح، و لها نفس الأثر، لذلك قالوا: العلم حكَم على الحال، فكلما كان علمك متينا قيَّمت بعلمك المتين حالك، فهناك حال رحماني، وهناك حال شيطاني .

أيها الأخوة الكرام، أردت من هذا التعليق أن أبيِّن أن الدراسة متعلقة بحالة عالية، حالة عالية قد تكون بسبب الإيمان بالله عزوجل، والاستقامة على أمره، والاتصال به، وقد تكون بسبب آخر لا يعنينا .

أنا أردت من الذي ذكرته في الأسبوع الماضي الزاوية الثانية، الحالة المرتفعة بسبب الإيمان بالله، والاتصال به، والاستقامة على أمره، والعيش في كنفه .

03 – فيتامين (د)

الدور الخطير الذي يقوم به فيتامين (د) :

أيها الأخوة الأكارم، يقوم فيتامين دال بعملية الاستقلاب في الكبد والكليتين، ويساعد على امتصاص الكلس والفوسفور من الأمعاء، وترتيبها وترسيبها في العظام .

لهذا الفيتامين دورٌ خطير في إفراز الأنسولين من البنكرياس، ولهذا الفيتامين دورٌ خطير في نموِ خلايا النخاع الشوكي العظمي، ولهذا الفيتامين دورٌ خطير في نمو الخلايا خلايا البشرة، الطبقة العليا من الجلد، هذا معروفٌ عند الأطباء، ولا نضيف جديداً .

إليكم هذا الإصدار الجديد :

الجديد أيها الأخوة، أن أفضل وقتٍ للاستفادة من أشعة الشمس برأي الأطباء وقت البزوغ، ووقت الغروب، من هنا كانت صلاة الفجر، لها شأنٌ خطير في صحَّة الإنسان، لأن الشعوب التي لا تتعرض لأشعة الشمس، وتنام نوماً مديداً، تصاب بلين العظام، وكساح العظام ، وأمر الله عزوجل، ولو كان أمراً تعبدياً، ولو أنه عبادة، إلا أنه لا يمكن أن نُغفل فيه النواحيّ الصحية، وقد يستنبطُ هذا المعنى من قوله تعالى:

(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ)

[سورة الكهف الآية: ١٧]

وقد يقول العلماء: ليس المهم أن تتعرض للأشعة مباشرةً، بل إن الأشعة المنتثرة في هذين الوقتين، تفيد الجلد في تكوين الفيتامين دال الذي يسهم في نموِ العظام، وفي عمل البنكرياس، وفي نمو مخ العظام، وخلايا البشرة .

النتيجة التي نستثمرها من خلال العلاقة بين الطب والدين :

أيها الأخوة الأكارم، ما من أمرِ في الدين إلا وله فوائدُ عظيمة، أسوق لكم على سبيل المثال: أن الذي يصلي، ويحني رأسه في الركوع والسجود، في كل صلاةٍ خمس مراتٍ، في كل يوم، العلماء أجروا تجربة، على أن الرأس إذا انخفض، احتقن الدم فيه، فازداد ضغط الشرايين، وإذا رُفع الرأس فجأةً هبط الضغط فجأةً من ازدياد الضغط، ومن هبوطه ينشأ في الأوعية الدموية ما يسمى بمرونة الأوعية، هذه المرونة لو أن ضغط الإنسان ارتفع فجأةً إلى ثلاث وعشرين درجة زئبقية، هذه الأوعية المرنة تحتمل هذا الضغط المرتفع، بينما إنسان لا يصلي، لو ارتفع ضغطه حتى الثمانية عشر درجة، ربما تمزقت شرايين الدماغ، وأصيب بسكتةٍ دماغية، فهذه الصلاة من ركوعٍ وسجودٍ حتى إن بعض أمراض الشقيقة، سببها ضعف تروية المخ بالدماء، وإن السجود وحده هو الذي يزيد من تروية المخ بالدماء .

فيا أيها الأخوة الأكارم، الأوامر التي أمرنا بها من عند خالقنا، من عند صانع الإنسان من عند العليم، من عند الخبير، فأن يكون الإنسان يقظاً قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، وأن يتعرض إلى هذه الأشعة المفيدة، له عملٌ فيه مرضاةٌ لله عزَّ وجل، وفيه فائدةٌ للجسم، بل إن أحدث اكتشاف في الطب أن حتى الأورام السرطانية، سببها ضعف جهاز المناعة، وجهاز المناعة سببه الشدة النفسية، والتوحيد وحده يُعفي الإنسان من تلقي هذه الشدائد، بإمكانك أن تصيح و تقول: الإيمان صحة، إنك إذا رأيت أن الله وحده المتصرف، وأنه حكيمٌ، وأنه عليمٌ، وأنه رحيمٌ، وأنه قديرٌ، وحتى المصائب وراء حكم بالغة، إذا أيقنت هذا، ورأيت يداً واحدة، ارتاحت نفسك، فإذا ارتاحت نفسك، خفَّت عليها الشدة النفسية، قوي جهاز المناعة، لذلك ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، قال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[سورة الشعراء الآية: ٢١٣]

04 – العلاقة بين الوضوء ومرض التراخوما

إليكم مضمون هذه المقالة:

أيها الأخوة الأكارم، يعجبني من المؤمن أنه إذا درس وتعلم وظَّف هذا العلم لخدمة الحق، أخٌ كريم من أخوتنا المتخصصين بالفروع العلمية، أطلعني على موضوع جديرٍ أن أُطلعكم عليه، يتعلّق هذا الموضوع بمرضٍ يصيب العين اسمه التراخوما، هذا المرض هو التهاب يصيب ملتحمة وقرنية العين، وله أدوارٌ يمر بها، تخريشٌ، وحكة خفيفتان، وتنتهي بالعمى، ليس هذا يعنينا، هذا موضوعٌ مستنبط من كتب الطب البشري، لكن الذي يعنينا أن كاتبة متخصصة، كتبت مقالاً نشر لها في مجلةٍ علمية، يصدرها مكتب المعلومات التابع للأمم المتحدة، تقول هذه الكاتبة:

إن الاغتسال المنتظم، والوضوء للصلاة في المجتمعات الإسلامية، قد ساعد كثيراً في الحدِّ من انتشار مرض التراخوما، الذي يعدُّ السبب الرئيس للعمى، في بلدان العالم الثالث وأضافت الكاتبة: إن هناك ما يقرب من خمسمئة مليون شخص في جميع أنحاء العالم، يصابون بهذا المرض، ويمكنهم تجنُّب العمى إذا اتبعوا الطريقة الإسلامية في النظافة الواجبة على كل مسلمٍ قبل الصلاة. وقالت: لوحظ في المجتمعات الإسلامية الملتزمة انخفاض نسبة الإصابة بهذا المرض، بل إنَّه وصل إلى درجة الانعدام في المجتمعات الإسلامية الملتزمة التي تلتزم بالوضوء خمس مراتٍ في اليوم، نسبة وصلت الإصابة بهذا المرض إلى الصفر، إلى درجة الانعدام.

إليكم هذا القانون:

أيها الأخوة، يجب أن نؤمن أن هذه الأوامر والنواهي، هي من عند خالق البشر، من عند الصانع، من عند المصمم، من عند الخالق، ولذلك من السذاجة أن تظن أن لأمر الله فائدةً أو فائدتين فقط، إن له فوائد لا تعدُّ ولا تحصى، كاتبةٌ لا علاقة لها بأمر الدين إطلاقاً، من خلال دراساتها، وتحقيقاتها، والإحصاءات، تجد أن نسبة الإصابة بمرض التراخوما، الذي يصيب خمسمئة مليون شخص في العالم كل عام، بسبب قلّة النظافة، هو أقل في المجتمعات المتدينة بسبب الوضوء قبل الصلاة.

هذا شرع الله، لذلك قال بعض العلماء: إن العلاقة بين الطاعة ونتائجها علاقةٌ علمية، والعلاقة بين المعصية ونتائجها علاقةٌ علمية، انطلاقاً من أنّك مفطورٌ على حب وجودك، وعلى سلامة وجودك، وعلى كمال وجودك، وعلى استمرار وجودك، عليك بطاعة الله، عليك بتطبيق منهج الله، قال تعالى:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

[سورة الأحزاب الآية: ٧١]

(إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ)

[سورة الحجرات الآية: ١٣]

05 – الوضوء وفوائده

إليكم مضمون البحث الذي أجري حول موضوع الوضوء :

أيها الأخوة الكرام، في بحثٍ علمي أجراه عددٌ من أساتذة كلية الطب، في بلدٍ عربي مسلم، أكد هؤلاء الباحثون أن الإنسان يتوضأ في اليوم خمس مرات، ينظف أنفه من الجراثيم، والأتربة، والمعلقات، وقالوا: إن الذي لا يتوضأ، يتعرض أنفه لعددٍ من الجرثيم، قد يصل عددها إلى أحد عشر جرثوماً، وأن الوضوء يكفل للمتوضئ الوقاية من نمو الفطريات بين أصابع القدمين، كما يمنع إصابة الجلد من الالتهابات، والتقيُّحات، والتجمعات الصديدية، ويقلل من احتمال حدوث سرطانات الجلد، لأنه يزيل المواد الكيماوية قبل أن تتراكم، وقبل أن تتجمع على سطح الجلد .

لذلك حقيقةٌ ثابتة: تقل الإصابة بسرطان الجلد في البلاد الإسلامية، كذلك دلك الأعضاء، ينبه الدورة الدموية، فينشّط تغذية الأعضاء بالدم، وبذلك تزداد حركة الدماء إلى المخ والكليتين، ويخفف الوضوء من اختناق الجهاز العصبى المركزى فينشط الذاكرة .

إحصاء مرعب :

الإسلام كما تعلمون، اشترط لصحة الصلاة طهارة البدن، وطهارة الثوب، وطهارة المكان معاً، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))

في إحصاءٍ أجرته منظمة الصحة العالمية، كان الرقم مخيفاً، ثلاثمئة مليون إنسان مصاب بأمراض القذارة في العالم، والمسلمون بشكلٍ بسيطٍ وعفوي عن علمٍ أو عن غير علم ، ما داموا يتوضؤون، فهم ناجون من أمراض القذارة ، والوضوء يسبب الوقاية من هذه الأمراض .

أين تتعلق ثمرة الفلاح ؟

قالوا: الانتفاع بالشيء، ليس أحد فروع العلم به، أي أنه يمكن أن تتوضأ مؤدياً للطاعة، فتقطف كلَّ ثمار الوضوء التي تعلمها، والتي لا تعلمها، وأنت لا تعلم، يكفي أن تنصاع لأمر الله عزَّ وجلَّ، معتقداً أن الله سبحانه وتعالى أمره عدلٌ، أمره خيرٌ مطلقاً، عندئذٍ تقطف ثمار هذا الأمر .

أيها الأخوة الكرام، الإنسان حينما يطبِّق منهج الله عزَّ وجل فهو في خيرٍ ما بعده خير ، وهو في سعادةٍ ما بعدها سعادة، وهو في وقايةٍ ما بعدها وقاية، وهو في أمنٍ ما بعده أمن، إن الخير كلَّهَ، والفوز كله، والفلاح كله، والنجاح كله، والتفوق كله، والعقل كله، في طاعة الله عزَّ وجل، قال الله تعالى:

(وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

[سورة الأحزاب الآية: ٧١]

الباب السادس : الصوم



01 – الصوم أمر الله التعبدي وفوائده الصحية

02 – الصيام دورة وقائية وعلاجية

03 – الصيام و آلية الهضم

04 – بعض وصايا النبي الصحية السحور والإفطار

05 – العلاقة بين الأيام البيض وصيامها طبيا

01 – الصوم أمر الله التعبدي وفوائده الصحية

رأى العلماء أن في الصوم وقاية وعلاجاً من أمراض كثيرة ، فبعض الأمراض المستعصية قد يكون علاجها في الصوم ، كالتهاب المعدة الحادّ ، و إقياء الحمل العنيد ، و بعض أنواع داء السكري ، وارتفاع التوتر الشرياني ، و القصور الكلوي الحابس للملح ، و خنّاق الصدر ، و الالتهابات الهضمية المزمنة ، و حصيات المرارة ، وبعض الأمراض الجلدية .

الصوم علاج :

الصوم علاج لبعض الأمراض ، ولكنه إذا طبق كما شرعه النبي عليه الصلاة والسلام فهو وقاية من أمراض كثيرة .

الصيام صحة نفسية :

ثم إن في الصيام – كما يقرر الأطباء – صحة نفسية ، وإن في الصيام رفعاً لمستوى النفس ، وتعويداً لها على الحرية من كل قيد ، وكل عادة ، و أفضل عادة أن لا يتعود الإنسان أي عادة ، هذا الذي يدمن التدخين، كيف استطاع أن يقلع عنه في رمضان ، إذا في الإمكان أن يقلع عنه و أكبر شاهد على ذلك شهر الصيام .

الصيام يقوي إرادة الإنسان:

إذاً الإنسان يقوي إرادته بالصيام ، و الإنسان بالصيام ينمي إخلاصه ، إن الصيام عبادة الإخلاص، وإن الصيام أيضاً ينمي مشاعر الإنسان ، فقد يكون الطعام و الشراب متوفراً ، ولا يستطيع الإنسان أن يأكل أو يشرب منه شيئاً .

بعض الفوائد المادية للصوم:

من الفوائد المادية للصوم أن المعدة والجهاز الهضمي تأخذ إجازة في رمضان ، و يستريح جهاز الدوران والقلب ، والكليتان والتصفية ، هذه الأجهزة الخطيرة التي إذا أصابها العطب انقلبت حياة الإنسان إلى جحيم ، فإذا توقفت الكليتان توقفاً مفاجئاً ، فإنه شيء لا يحتمل ، وإذا أصيب القلب بالضعف ، وضاقت الشرايين ، وتصلبت ، واحتشى القلب فالأمر عسير ، هناك أمراض تصيب القلب لا تعد ولا تحصى ، هناك أمراض متفشية تصيب الأوعية ، هناك أمراض كثيرة تصيب

المعدة و الأمعاء ، وأمراض تصيب الكبد، و أمراض تصيب جهاز البول ، هذه الأجهزة الخطيرة من جهاز دوران و هضم ، وجهاز طرح الفضلات ، هذه الأجهزة يكون الصيام وقاية لها ، لا نقول : إن الصيام علاج وحسب ، ولكنه وقاية .

تقول مقالة عن أمراض القلب : ((إن عمل القلب وسلامته منوط بحجم الطعام في المعدة و نوعيته)) ، فالقلب ، و سلامته ، و انتظامه ، و الشرايين و مرونتها ، هذه الأشياء متعلقة بنوع الطعام ، وحجمه في المعدة ، لذلك أمرنا النبي عليه الصلاة و السلام بالاعتدال في الطعام و الشراب ، و الله سبحانه وتعالى أمرنا بذلك أيضاً فقال تعالى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأعراف : ٣١]

فمن تجاوز الحد في الطعام و الشراب أتاه شهر الصيام ليصلح ذلك الخطأ والاعوجاج ، و التعفنات التي في جهاز الهضم ، و ليصلح الوزن الذي زاد على حده الطبيعي ، و إن الأغلاط التي يرتكبها الإنسان في السنة يأتي الصيام ليضع لها حداً ، أما إذا كان الإنسان مطبقاً للسنة النبوية فشهر رمضان يزيده صحة و نشاطاً ، و في كتاب ((إحياء علوم الدين)) عقد الغزالي فصلاُ ، أو باباً كبيراً عن فضائل الجوع ، فقال : ((الخير كله مجموع في خزائن الجوع ، و ليس المقصود به الجوع الشديد ، و لكنه الاعتدال في الطعام والشراب ، لأن البطنة تذهب الفطنة ، و إن كثرة الطعام ، و إدخال الطعام على الطعام ، و إكثار الوجبات ، هذه تصيب الإنسان بالكسل ، و الخمول و الركود ، و الأمعاء بالتعفن ، و القلب بالإرهاق)) ، حينها يأتي شهر الصيام ليجدد الصحة ، فجسمك مطيتك في هذه الدنيا ، لنا عمر محدود ، و لكن إما أن نمضيه واقفين نشيطين، و إما نمضيه مستلقين على أسرتنا ، و شتان بين الحالتين ، و لا يتسع المقام للحديث عن فوائد الصيام .

و قد روي :

((صوموا تصحوا))

الفردوس بمأثور الخطاب (٣٧٤٥)

الصحة الوقائية:

و معنى الصحة هنا الوقاية من الأمراض ، إنك إذا أديت صيام هذا الشهر على التمام و الكمال فقد وقيت جسمك من الأمراض الوبيلة التي لا قبل لك بها ، و لكن هذا الذي يمتنع عن الطعام و

الشراب في النهار ، فإذا جلس إلى المائدة أكل أكل الجمال ، هذا لم يحقق الهدف من الصيام ، فلا بد من الاعتدال في الطعام و الشراب في الصيام ، أما إذا جعلت الوجبات الثلاث النهارية في رمضان ليلية !! فماذا حققت ؟ إن وجبة دسمة مع الإفطار تجعله يقعد فلا يقوم ، و عند منتصف الليل وجبة أخرى ، و عند السحور وجبة أخرى ، فهذا قلب وجبات النهار إلى وجبات ليلية ، و ما فقل شيئاً ، فقد بقيت الأمراض و الإرهاقات كما هي .

02 – الصيام دورة وقائية وعلاجية

إليكم الحديث عن فوائد الصيام من حيث الناحية الوقائية :

أيها الأخوة المؤمنون، الحديث عن عبادة الصيام، وما فيها من تقوى وإكرام، لا يعني أن الصيام ليس له فوائد صحية، إن في الصيام من الفوائد الصحية ما لا يصدِّقه عقلٌ، لأنَّ خالق الإنسان ومصممه، هو الذي فرض عليه الصيام، وأمر الله سبحانه وتعالى أجلُّ وأعظم من أن ينصرف إلى حكمةٍ واحدة، إن للصيام حكماً لا تعد ولا تحصى .

قال بعض العلماء: إن الصيام دورةٌ وقائيةٌ سنوية، تقي كثيراً من الأمراض، أسلوب وقائي، من أجل سلامة هذه العضوية، ودورةٌ علاجية بالنسبة لبعض الأمراض، دورةٌ وقائية لكثيرٍ من الأمراض، ودورةٌ علاجية لبعض الأمراض، والصيام يقي المسلم المتَّبع لسنته المعتدلة في تناول الطعام في أثناء الصيام، يقي المسلم من أمراض الشيخوخة .

أمراض الشيخوخة تظهر في الشيخوخة، ولكنَّ مسبباتها تبدأ في الشباب، والصيام يحدث توازناً بين استهلاك العضوية، وبين وقاية الأجهزة، إن معظم أمراض الشيخوخة تنجم عن الإفراط في إرهاق العضوية طوال الحياة، إرهاق العضوية؛ في الطعام، والشراب، في سائر الملذَّات، في العمل، في التعب، في بذل الجهد، يأتي الصيام ليريح هذه العضوية، وليصحح الأخطاء التي ارتكبت في بقية أشهر العام، إن الأخطاء التي يرتكبها الإنسان في أيام العام تتراكم، ويأتي هذا الشهر ليصحح هذه الأخطاء كلها، فيعود الجسد وكأن دورةً صانه بها صاحبها، وجدد نشاطه بها .

أيها الأخوة المؤمنون، يقول عليه الصلاة والسلام: ((صوموا تصحوا)) .

فالصيام كما يقول العلماء: إلى الطب الوقائي أقرب منه إلى الطب العلاجي، بدليل أن المريض يرخَّص له أي يفطر، بعض هذه الحكم أن الصيام يخفف العبء عن جهاز الدوران، حيث تهبط نسبة الدسم وحمض البول في هذا الشهر إلى أدنى درجة، ومع انخفاض هذه النسبة يقي الإنسان نفسه من مرضٍ خطير، هو تصلُّب الشرايين الذي يسبب إرهاق القلب، والذبحة الصدرية، ومع

انخفاض نسبة حمض البول في الدم، يقي الإنسان نفسه من مرضٍ آخر هو التهاب المفاصل، إن الصيام يخفف العبء عن جهاز الدوران، يريح الأوعية، والقلب، بانخفاض نسبة الدسم في الدم، وانخفاض نسبة حمض البول، إن الصيام يريح الكليتين، بإقلال فضلات الاستقلاب، والاستقلاب هو عملية تحوُّل الطعام إلى طاقة، ينخفض الاستقلاب في شهر الصيام إلى أدنى مستوى، هذا بشرط أن يصوم الإنسان كما أمرَّ النبي عليه الصلاة والسلام أن يأكل باعتدال، أما أن يجعل الطعام في الليل مكان النهار، فليس هذا هو الصيام، إن من يأكل، ويأكل، ويأكل، أي يأكل في الليل ما فاته في النهار، يضيع ثمرة الصيام الصحية.

قال العلماء: إن سكر الكبد يتحرك في الصيام المخزون السكري في الكبد، ومع تحرك هذا المخزون يتجدد نشاط الكبد، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش من دون كبدٍ أكثر من ثلاث ساعات.

إن الصيام يدعو سكّر الكبد إلى التحرك، ويتحرك معه الدهن المخزون تحت الجلد، وتتحرك معه البروتينات، والغدد، وخلايا الكبد، إن الصيام كما قال بعض الأطباء: يبدّل الأنسجة، وينظِّفها، وكأنه صيانةٌ سنويةٌ لأنسجة وأجهزة الجسم، هذا عن الناحية الوقائية .

ماذا عن فوائد الصيام من الناحية العلاجية ؟

أيها الأخوة، فماذا عن الناحية العلاجية؟ إن الصيام يعدُّ علاجاً لبعض الأمراض، كالتهاب المعدة الحاد، وإقياءات الحمل العنيدة، وارتفاع الضغط الشرياني، والداء السكري، وقصور الكلية المزمن، وبعض الأمراض الجلدية .

فيا أيها الأخوة المؤمنون، أمر الله مبارك، أمر الله يطهِّر النفس، وينير النفس، ويعطيك الرؤية الصحيحة، تعرف الحق من الباطل، والخير من الشر .

03 – الصيام و آلية الهضم

إليكم نص هذا الموضوع :

أيها الأخوة الكرام، كنتُ قد أعْدَدْتُ لكم خطبةً عن الصِّيام، ولكنّ الأنباء المؤسِفَة التي سَمِعتموها جميعًا اضطرّتني أن أُحَوِّل الموضوع إلى موضوع آخر، ولكنّ شطْر الخطبة الثاني هو هذا:

قال بعض العلماء المتخصِّصين في التَّغْذِيَة: ليس عِلمُ الإنسان بوَظائف الطَّعام هو الذي يدْفعُهُ إلى تناول الطَّعام، ولكنّ الإحْساس بالجوع الضاغط وشَهوة الطَّعام الباعثة هما اللَّذان يُحَرِّكان الإنسان إلى الطَّعام، أما حاسَّة الجوع فتَدْعو الإنسان إلى ما يسدّ حاجته من الطَّعام لِيَبقى حيًّا، وأما شَهوة الطَّعام الباعثة فهي وسيلة وليْسَت غاية، لأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان مِن أدْعِيَتِهِ: الحمد لله الذي أذاقني لذَّته، وأبقى فيَّ قوَّته، وأذْهَب عنِّي أذاه، فمِن نِعَم الله عز وجل أنَّ هذا الذي هو سبب في بقاء حياتك طيِّب المذاق، ولكنّ الله عز وجل تفضّل علينا فجَعَل هذا الطَّعام ذا طَعمٍ لذيذ، فشَهوة الطَّعام وسيلة، فإذا جعلها الإنسان غاية اضطرب الجِسم .

أُناس كثيرون عن سوء تقْديرٍ منهم، أو عن ضَعف في إرادتهم يَجعلون شَهوة الطَّعام غاية، وإذا أصبح الطعام غايةً يتعطَّل ما يُسَمِّيه العلماء بالجرس الخفي الذي يدقّ حين الجوع فقط، تتعطَّل وظيفة هذا الجرس، فالمعدة كما قال عنها العلماء: تتمدّد مراتٍ عديدة، فَمِن حجمٍ ابتِدائي مئتان وخمسون سنتيمتر مكعّب إلى ألفين وخمسمئة سنتيمتر مكعّب، فحينما تتمدّد المعدة يُصبحُ الطَّعام هدفًا؛ نعيشُ لِنَأكل .

المراحل التي يقوم بها جسد الإنسان في عملية تنظيم الطعام كما سخر له :

هناك حقيقة عجيبة جدًّا، ولكنَّها ثابتةٌ على نحْوٍ قاطِع، وهي أنَّ آليات تعامل الأبدان مع الطَّعام تسْتوْجِبُ الصِّيام، فقد صممَّ المولى جلّ وعلا الأبدان على نحْوٍ يهيئ التعامل مع مركبات الطعام وِفقًا لآليَةٍ تسير بانتظام، وتوافقٍ في ثلاث مراحل، وهذا بحثٌ مهمّ جدًّا .

المرحلة الأولى: مرحلة هضْم الطعام في المعدة والأمعاء، ثمّ الامتصاص والتَّمثيل، وتحويل الطعام إلى سكّر يسري في الدِّماء، وإلى مواد أخرى مُرَمِّمة يستخدمها الجسم لإطلاق الطاقة وبِناء الأنسِجَة .

المرحلة الثانية: مرحلة تخزين الفائض من الطاقة التي تزيدُ عن حاجة الجسم، فالسُّكَّر الفائض يُخَزَّن في الكبد والعضلات على نشاءٍ حيواني، ويُخَزَّن الفائض الدُّهني في معضم أنحاء الجسم .

المرحلة الثالثة: هي مرحلة فتْح مخازن الطاقة، وتحويل السكّر والدُّهون إلى سكّر وأحماض دُهْنيَّة، لإطلاق طاقتها في الجسم، المرحلة الثالثة لها ميزةٌ خاصَّة، وهي أنَّها لا تحدث مطلقًا إذا لم يمْتَنع الإنسان لِفتْرةٍ زمنيَّة محدَّدة عن تناول الطعام، فالمهمّة الثالثة معطَّلة ما لم يمْتَنِع الإنسان عن تناول الطَّعام .

أيها الأخوة الكرام، قال العلماء: يبدأ مستوى السكّر في الدم من الثمانين إلى المئة والعشرون ملي غرام في كلّ سنتيمتر مكعَّب، وبعد صِيام سِتِّ ساعات تنخفض هذه النِّسبة، وهنا تتجلَّى عجيبة من عجائب الجسم البشري؛ مركز بالدِّماغ يُرْسِل إلى الغدد الصماء بِرسائل عاجلة يطلب منها العَون والمدد، فالكظر يفرزُ هرموناً يحثّ على تَحويل النشاء الحيواني في العضلات والكبد إلى سكّر بِوَساطة هرمون، والغدَّة الدرقيَّة تفعل مثل ذلك عن طريق إفراز هرمونها، فهي تحُثّ سكَّر الدم المُخزَّن في العضلات والكبد على أن يُطْلَق ويُستَهلك لأنَّ نسبة السكَّر في الدم انْخفضَتْ بعد سِتِّ ساعات من الصِّيام، والغدّة الأخرى هي البنكرياس، تفعَل مثل ذلك عن طريق هرمون يحثّ هذه المخزونات على الانطلاق كي تُستَهلَكَ، فذا استَهلك الإنسان ما هو مخزون عنده من السُّكر في عضلاته وكبده، يتحوّل العمل إلى الدُّهون المخزَّنة فتَهْدِمها، وتحرِّر طاقتها، وقد أكدت الأبحاث العلميَّة ازدِياد احْتِراق الدُّهون طوال ساعات الصِّيام، واستهلاك الدهون المتراكمة في مناطق ترسُّبها على الجسم .

أيها الأخوة، حقيقة مذهلة، فكلّ كيلو غرام من الأنسجة الدهنيّة يحتاج إلى ثلاثة كيلو متر من الأوعيَّة الشَّعريَّة التي يسري خلالها الدم، وهذه عِبءٌ على القلب، فلو أنّ الإنسان زاد حجمه بِعشرة كيلو غرامات، فهذا دليل أنَّ به ثلاثمئة كيلو متر أوعيَة شَعْريَّة زائدة، وقال العلماء: إنَّ فيزيولوجيَّة خلق الأبدان تقتضي الامتِناع عن تناول الطَّعام، لماذا؟ لإراحة الوظيفة الأولى والثانية، ولإتاحة الفرصة لِعَمل الوظيفة الثالثة، فالصِّيام ترتاح به وظيفة هضم الطعام وامتصاصه، وترتاح الوظيفة الثانية وهي تخزينه، وتبقى الوظيفة الثالثة وهي هدم المُدَّخرات الدهنيَّة، وإحراقها، واستهلاك المُدَّخرات الدهنيَّة في العضلات والدم، فَلِكون الصِّيام ضروريّ لكلّ إنسان كانت هذه الفريضة على كلّ الأُمم والشُّعوب، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٨٣]

لكن هذا البحث العلمي يعني شيئاً دقيقاً، وهو أنَّ الصِّيام عِبادة، وقُرْبٌ من الله، ومزيدٌ من الاتِّصال بالله، فهذا البحث العلمي لا يخدش مهمَّة الصِّيام الأولى وهي العبادة والقرب، ولكنّ أمر الله متنوّع فهو عبادة، وهو قُرب، وهو تحجيم، وهو صِلَة وافتقار .

04 – بعض وصايا النبي الصحية السحور والإفطار

من وصايا النبي عليه الصلاة والسلام للصائمين :

١ – تأخير السحور :

أيها الأخوة المؤمنون، نذكر بعض الوصايا الصحية التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام الصائمين، قال عليه الصلاة والسلام:

((تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

فَسَّرَ علماء الحديث هذه البركة بمعنيين: إما أنها بركةٌ في الدنيا، وإما أنها بركةٌ في الآخرة، فهذا الذي يستيقظ ليتناول طعام السحور، ربما صلَّى الفجر في المسجد، ربما سمع آيةً بعد صلاة الفجر تركت أثراً بليغاً في نفسه، ربما ذكر الله خالياً ففاضت عيناه بالدموع، ربما تلى القرآن فكان ربيع قلبه، جاءه كل هذا الخير، جاءه من استيقاظه ليتناول طعام السحور، هذه بركة الآخرة .

أما بركة الدنيا؛ إذا تناول طعام السحور من له أعمالٌ شاقة أمكنه أن يتابع الصيام بالحد الأدنى من المشقةَّ، فهذا الجسد يحتاج إلى وقود، ووقوده الطعام، فتناول طعام السحور من السُنَّة .

ومن السُنَّة أيضاً تأخير السحور، هذا الذي يسهر إلى منتصف الليل، ويتناول السحور في الساعة الثانية عشر وينام، ضيَّع عليه صلاة الفجر، وضيَّع عليه سنة تأخير السحور، فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((لا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ))

[أخرجه أحمد في المسند]

الشيء الذي يجب أن يؤكَّد لكم، أن الإنسان إذا تناول طعام السحور، وآوى إلى فراشه مباشرةً، ربما ساء هضمه، وربما أصابته بعض الوعكات الصحية المتعلقة بغذائه، فلا بدَّ من وقتٍ كافٍ بين تناول طعام السحور وبين النوم، هذا الوقت يجب أن تمضيه في قراءة القرآن، وفي الصلاة، وفي الذكر، ينهى الأطباء عن أن تأوي إلى الفراش بعد تناول طعام السحور .

٢ – التعجيل بالفطور :

أيها الأخوة المؤمنون، يأمرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نعجّل بالفطر، بمجرَّد أن يدخل وقت المغرب فقد أفطر الصائم، تناولت الطعام أم لم تتناوله، لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يأكل بعض التمرات، أو أي شرابٍ حلوٍ ميسَّر، أو يشرب جرعةً من الماء، ثم يصلّي المغرب، وبعدها يتناول طعامه، وقد هدأ جوعه، وتوازنت أعضاؤه، وسكَّر التمر وصل إلى دمه، فخفف من حدة الجوع، وجعله يأكل أكلاً معتدلاً، كما لو أنه في الإفطار، وهذه أيضاً من السُنة، وذلك لمن تيسَّر له أن يصلِّي قبل أن يأكل، أما إذا أحرجت الناس بهذا، فأهون الشرّين أن تأكل مع المجموع في الوقت المناسب، ولكن إذا تيسَّر لك أن تأكل تمراتٍ ثلاث، وتصلِّي المغرب، وبعدها تأكل، فهذا من السُنة .

٣– الاستعانة بالقيلولة :

أيها الأخوة المؤمنون، سَنَّ النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً لنا أن نستعين بالقيلولة على القيام، وبالسحور على الصيام، وكان يقول عليه الصلاة والسلام:

((أقيلوا فإن الشياطين لا تقيل))

فإذا تمكَّن الإنسان في رمضان أن يستلقي، ولو ساعةً من الوقت، قبيل المغرب، أو في وقت القيلولة، فإنَّ في هذه القيلولة عوناً على أداء صلاة التراويح عشرين ركعة، الصيام كلُّه من أجل هذه الصلاة، من أجل أن تؤدّي هذه الصلاة وأنت نشيط، من أجل أن تقبض الثمرة في الصلاة، من أجل أن تفهم القرآن، من أجل أن يذوب قلبك حباً لله عزَّ وجل، إنَّ الصلاة هي المُناسبة، فإذا قمت للصلاة وأنت متعب، وأنت منهك، استعن على القيام بالقيلولة .

هذه بعض الوصايا الصحية التي وصَّى بها النبي عليه الصلاة والسلام .

05 – العلاقة بين الأيام البيض وصيامها طبيا

محتوى هذا الموضوع :

أيها الأخوة الكرام، عَنْ يَزِيدَ بْنِ القَاسِمِ، قَال: سَمِعْتُ مُعَاذَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:

((أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: مِنْ أَيِّهِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: كَانَ لَا يُبَالِي مِنْ أَيِّهِ صَامَ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

لكن ورد في وصية النبي عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه: صم ثلاث أيام من كل شهر، فلما سئل عن هذه الأيام الثلاث، قال: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ:

((أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَصُومَ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبِيضَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ))

[أخرجه النسائي في سننه]

سقت هذا الحديث لأربط ربطا محكما بينه، وبين حقيقة علمية، وهي أنه ثبت أن هناك علاقة بين حركة الإنسان في الحياة وبين دورة القمر، جاء باحث وأخذ ملفات دوائر الشرطة في الأيام التي تقابل الأيام البيض، فوجد أن نسب الحوادث أعلى بكثير من بقية الأيام ، ثم إنه في آخر ما قرأت عن علاقة الأحوال النفسية الصعبة بدورة القمر، وكأنما الإنسان حينما يصوم ثلاثة أيام من كــل شهر، الأيام الليالي البيض، أي الثالث عشر، والرابع عشر، و الخامس عشر، الذي يأتي به النبي عليه الصلاة والسلام كما تعلمون ليس من خبرته، ولا من اجتهاده، ولا من ثقافته، ولا من علمه الشخصي، إنما هو وحي من الله عزوجل، ربما كان هناك علاقة بين دورة القمر وبين اضطراب الإنسان، فالصيام قد يهدأ من اضطراب النفس، و من رعونتها .

الباب السابع : الحمل والجنين و الولادة



01 – علم الوراثة في السنة النبوية

مقدمة عامة :

أيها الأخوة الأكارم، موضوعٌ طويل لا حاجة لنا بتفصيلاته، قوانين الوراثة، قانون مندل في الوراثة، لكن الشيء لا أقول لا يصدق، ينبغي أن يصدق، لأن النبي عليه الصلاة والسلام، لا ينطق عن الهوى، ينطق عن وحي يوحى، لأن النبي عليه الصلاة والسلام في بضعٍ من الأحاديث الشريفة، قرر النتائج العملية لقوانين الوراثة .

فكلكم يعلم أن الحوين والبويضة خلية لها نوية، عليها مورِّثات، وقد ذكرت لكم من قبل، أن عدد هذه المعلومات التي تحتويها المورِّثات، يزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة حتى الآن، عُرف من هذه المورثات ثمانمئة مورث فقط، من خمسة آلاف مليون عرفت ثمانمئة، هذه المورثات في الحوين، تتفاعل مع المورثات في البويضة، وتنشأ البويضة الملقحة من مورثات الحوين، ومورثان البويضة، وهذا ما عناه ربنا سبحانه وتعالى، حينما قال:

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)

[سورة الإنسان الآية: ٢]

ما هي النتائج التي نحصل عليها من زواج الأقارب ؟

يقول علماء الوراثة: إن التزاوج بين الأقارب من الدرجة الأولى، الأخطاء في المورِّثات، أو الضعف، أو الأمراض، أو العاهات، تنتقل إلى الأجيال بنسبة خمسين في المئة من الدرجة الثانية، بنسبة اثنا عشر بالمئة، من الدرجة الثالثة ستة بالمئة، هذا التفسير العلمي وراء قوله تعالى :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ)

[سورة النساء الآية: ٢٣]

أما القرابة من الدرجة الثالثة التي يمكن أن ينحدر من خلالها العاهات والأمراض، فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام، بأن:

((اغتربوا لا تضووا))

كلما ابتعدت في اختيار الزوجة جاء النسل قوياً، ويقول عمر رضي الله عنه:

((لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يخلق ضاوياً))

أي ضعيفاً، هذه ستة بالمئة، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((تخيروا لنطفكم، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن))

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم ، فإن الرجل ربما أشبه أخواله))

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وانكحوا إِلَيْهِمْ))

وهذا الذي يعدُّ الآن من أرقى علوم الوراثة، تحسين النسل، أي أن يأتي جيلٌ يتمتع بقدرات عقلية عالية، وببنية جسمية فائقة، وبنفسية متفتحة، غير متشائمة، غير مريضة، هذا الذي عناه النبي عليه الصلاة والسلام .

كيف تختار زوجتك ؟

لذلك: ابنك لك عليه واجبات كثيرة جداً، وله عليك واجب، له عليك حق، هذا الحق أن تحسن اختيار أمه، أن تحسن اختيار أمه، هذا أول حقٍ من حقوق أولادك عليك قبل أن يأتوا إلى الدنيا، ويستطيع الأب الذي اختار زوجته اختيارا، أساسه التقوى، والصلاح، والعفة، والذكاء، والخلق، أن يقول لأبنائه: يا أبنائي، لقد أحسنت إليكم قبل أن تأتوا إلى الدنيا، حينما اخترت لكم أما صالحة، والنبي عليه الصلاة والسلام، يقول:

((إياكم وخضراء الدمن، قالوا: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء))

فالإنسان قبل أن يختار شريكة حياته، يجب أن يقف عند هذا الاختيار طويلاً، ليطبق السنة النبوية:

((من تزوج المرأة لجمالها أذله الله، ومن تزوجها لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، فعليك بذات الدين تربت يداك))

02 – علم الأجنة

إليكم هذه الصورة للجنين في أواخر عقده في عالم الرحم، وبين هذا الحديث ، ماذا تجد ؟

أيها الأخوة المؤمنون، علمٌ تاريخه حديث، اسمه علم الأجنة، وهو علم تشكُّل الجنين في رحم الأم، تقدم هذا العلم في السنوات الأخيرة تقدماً كبيراً، حتى أصبح بإمكان الأطباء والعلماء أن يصوروا الجنين وهو في الرحم، في مراحل نموه وتطوره، فهناك صورةٌ للجنين في الأسبوع الثالث، وصورةٌ في

الأسبوع الرابع، وصورةٌ في الأسبوع الخامس، وصورةٌ في الأسبوع السادس، يعنينا من كل هذه الصور، صورةٌ للجنين في رحم الأم، وهو في بداية الأسبوع السادس، ماذا نرى؟ .

نرى الأنف مختلطاً بالفم، متصلاً بالعين، نرى اليد كأنها مجدافٌ قصير، نرى الرأس ملتصقاً بالجذع، هذه صورة الجنين في بداية الأسبوع السادس، فإذا انتهى هذا الأسبوع ابتعد الرأس عن الجذع، وتوضَّحت معالم العينين، ومعالم الأنف، ومعالم الفم، وملامح اليدين والرجلين، هذه الملامح هي ملامح نهاية الأسبوع السادس، والأسبوع كما تعلمون سبعة أيام، فإذا ضربنا سبعة بستة، فالرقم اثنان وأربعون.

كيف ورد في الحديث الشريف الصحيح الذي رواه الإمام مسلم، والإمام أحمد، وخُرِّج هذا الحديث في كتبٍ كثيرة، يقول عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ))

(صحيح مسلم : رقم " ٤٧٨٣ ")

هذا حديثٌ صحيح ورد في صحيح مسلم، كيف جاء هذا الحديث متطابقاً تطابقاً دقيقاً جداً مع الصور التي تلتقط للجنين، وهو في نهاية الأسبوع السادس؟ حينما قال الله عزَّ وجل:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم الآية: ٣-٤]

ماذا قال سيدنا سعد؟: والله ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا علمت أنه حقٌ من الله تعالى .

03 – ما من كل الماء يكون الولد

ما اكتشفه العلم من هذا الحديث :

أيها الأخوة المؤمنون، من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام: أنه حدَّث عن أشياء اكتشفها العلم حديثاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام في حديثٍ صحيحٍ أخرجه الإمام مسلم، يقول:

((مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

ويقول العلم الآن: يزيد عدد الحوينات المنوية في اللقاء الزوجي عن ثلاثمئة مليون ، وكل حوينٍ له رأسٌ، وله عنقٌ، وله ذيل، ويسبح في سائلٍ يغذيه، ويسهِّل حركته، يتجه هذا العدد الكبير إلى البويضة التي تلقَّح بحيوانٍ واحد من ثلاثمئة مليون حوين، كيف عرف النبي ذلك؟ من أي مخبرٍ استقى

معلوماته؟ من أي بحثٍ علمي نشر في بعض المجلات أخذ هذه الحقيقة؟ كيف توصَّل إليها؟ كيف عد هذه الحوينات؟ .

يا أيها الأخوة الأكارم، يصل إلى البويضة بضع مئات، ويتم الاختيار من هذه الثلاثمئة مليون إلى الثلاثمئة، إلى أن تختار البويضة حويناً واحداً .

كيف يدخل هذا الحوين البويضة؟ شيءٌ لا يصدَّق ! إذا اصطدم هذا الحوين بجدار البويضة تمزَّق الغشاء، فخرجت مادةٌ نبيلة مركزةٌ في رأس الحوين، مغطاةٌ بغشاء من نوع قرنية العين، تتغذى بالحلول، فأذابت جدار البويضة فدخلت، وأُغْلِقَ الباب .

هذه البويضة هي خلية، وهذا الحوين هو خلية، فيه نوية، وفيه مادة، وفيه غشاء، وعلى نوية الحوين، وعلى نوية البويضة، معلومات سماها العلماء: المورثات، كروموزومات يزيد عددها عن خمسة آلاف مليون معلومة في الحوين، وفي البويضة، وهذه المعلومات مبرمجة .

فكل معلومة تتحرك في وقتٍ معين، ففي وقتٍ يخشن صوت الشاب، هذه المعلومة تحركت، في وقتٍ ينبت شعر لحيته، هذه المعلومة تحرَّكت، في وقتٍ ينمو صدر الفتاة، هذه المعلومة تحركت، خمسة آلاف مليون معلومة مكتوبة على نوية الحوين، وعلى نوية البويضة ، وبعد تلقيح البويضة بالحوين ينقسم هذا الهيكل أو هذه البويضة الملقَّحة، قال تعالى:

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً)

[سورة الإنسان الآية: ٢]

تنقسم البويضة الملقَّحة إلى عشرة آلاف قسم، وهي في طريقها إلى الرحم، فإذا وصلت إلى الرحم، هناك علمٌ خاص، اسمه علم الأجنة، لا تنقضي الأيام ولا الأسابيع ولا الشهور في دراسة تفصيلاته، قال تعالى:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)

[سورة القيامة الآية: ٣٦]

هكذا بلا حساب، بلا سؤال، يأخذ مال الناس بلا حساب، يستطيل عليهم بلا عقاب، يأخذ ما ليس له بلا تأنيب، قال تعالى:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى)

[سورة القيامة الآية: ٣٦-٣٧]

نطفة من مني، أي حوين سابح في سائل، قال تعالى:

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)

[سورة القيامة الآية: ٣٦-٤٠]

بلى الخلق الأول دليل اليوم الآخر .

العبثية تتناقض مع وحدة الكون :

يا أيها الأخوة الأكارم، يقول الله عزَّ وجل:

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)

[سورة المؤمنون الآية: ١١٥-١١٦]

هل من المعقول أن نُخلق عبثاً، أن نُخلق بلا هدف، أن نُخلق بلا تشريع، بلا أمر، بلا نهي، بلا معالجة؟

قال تعالى:

(فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)

[سورة المؤمنون الآية: ١١٦]

04 – ثم جعلناه نطفة في قرار مكين

من دلائل نبوة النبي :

يا أيها الأخوة الأكارم، في القرن الثامِنَ عشر حينما بدأ العالم الغربي يتلمَّسُ طريق العِلم، وبعد أن اكْتُشِفَ المِجْهَر، اسْتَقرَّ في أذهان العلماء أنّ الإنسان يُخْلَقُ من نطفة الرّجل فقط، ثمَّ نُقِضَتْ هذه النَّظريّة، واسْتَقرَّ في أذهانهم شيءٌ آخر، وهو أنَّ الطّفل يُخْلَقُ من نطفة المرأة فقط، وما النّطفة التي يُلقيها الذَّكَرُ إلا مُنَبِّهٌ لهذا، وظلّ العلماء في القرْنَيْن السابِعَ عشر والثامِنَ عشر يتخبَّطون في نظريّاتٍ . بينما سُئِلَ النبي عليه الصلاة والسلام قبل أربعة عشر قرْنًا، سألهُ رجلٌ ممَّ يخلقُ الإنسان؟ فقال عليه الصلاة والسلام، وهذا حديثٌ صحيح يُعَدُّ من دلائل نبوّة النبي عليه الصلاة والسلام، شُعوبٌ وأُمَم، بُحوثٌ ومقالات، أجهزةٌ وميكروسكوبات، اسْتَقرَّ في أذهان العلماء أنَّ الطّفْل يُخْلَقُ من نطفة الرّجل فقط، وما رَحِم الأمّ إلا مكانٌ تنبُت فيه هذه البِذْرة، ثمّ اسْتَقرَّ في أذهانهم شيءٌ آخر أنَّ الطّفْل يتخلَّق من نطفة المرأة، وما نطفةُ الرَّجل إلا منبِّهٌ لها، أجابَ عليه الصلاة والسلام مِنْ كُلٍّ يُخلَق .

فقد روى أحمد عن عبد الله، قال:

((مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي، فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، قال: فجاء حتى جلس، ثم قال: يا محمد، مم يخلق الإنسان؟ قال: يا يهودي، من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فأما نطفة الرجل

فنطفة غليظة منها العظم والعصب، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم، فقام اليهودي، فقال: هكذا كان يقول من قبلك))

هكذا أجاب النبي عليه الصلاة والسلام، وكلّكم يعلمُ أنّ العلوم الحديثة أشارَت إلى أنّ الرّجُل في اللّقاء الواحِد يخرجُ منه ما يزيدُ عن ثلاث مئة مليون حُوَين منوي، وأنَّ حُوَيْنًا واحدًا فقط يُلقِّحُ البيضَة، سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن هذا الموضوع فأجاب في حديثٍ صحيح، فعن أبي الوداك عن أبي سعيد، قال:

((سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال: ليس من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله أن يخلق منه شيئا لم يمنعه شيء))

أليس عليه الصلاة والسلام رسول الله؟ هل معطياتُ العصْر كانت كافيَة لمعرفة لهذه الحقائق؟ . ما هو القرار المكين، وأين يقع، وما علة تسميته، وماذا يحيط الجنين في رحم المرأة، وما وظيفته ؟ شيءٌ آخر: قال تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)

[سورة المؤمنون الآية: ١٢-١٣]

القرار المكين هو الرَّحِم، يقعُ في الوسَط الهندسي تمامًا من جِسم المرأة، فلو أُخِذَ خطٌ منصِّفٌ طولي، وخطٌ منصّف عرضي، لكان موقعُ الرَّحِم في تقاطُع الخطيين، هذا معنى والمعنى الثاني أنَّ هذا القرار المكين، لما سُمِّيَ الرَّحِمُ قرارًا؟ لأنَّه يفْرزُ مادَّة لاصقةً إذا جاءتْ البُوَيْضة الملقحة إلى الرَّحِم التصَقَتْ في جِداره، فهو قرارٌ لها، وليس ممرًّا، ثمّ إنّ في الرّحِم من الأوْعِيَة الدَّمَويّة بغزارة تفوق حدّة التصوُّر، كلُّ هذه هذه الأوعية تمدّ هذه البويْضة الملقحة بالدّم لِيَتَغَذّى، ولِيَنْمو في سرعةٍ، تُعدُّ أسْرعَ ما في جسم الإنسان من نسيجٍ في تكاثرُه وانقسامه.

شيءٌ آخر: هذا الجنين بغشاءٍ رقيق، وقد بدا هذا في الصُّوَر التي أُخِذَت من الجنين مغلّف بغِشاء رقيق، وهذا الغِشاء الرقيق معلّقٌ في أعلى الرّحِم، فهو لا يتأثّرُ بجُدُر الرَّحِم وفوق هذا وذاك أُحيط هذا الجنين بسائل، هذا السائل يمْتصّ كلّ الصدَمات، تصوَّر أنَّ الجنين مغلَّفٌ في غِشاءٍ رقيق، والغشاء معلّق في أعلاه بأعلى الرّحِم، وأنّ ما يُحيط بالرّحِم سائلٌ يمتصّ كلّ الصَّدمات، والأغْرَبُ من هذا أنَّ الرَّحِمَ كلّه معلّق في حَوْض المرأة، معلّقٌ بأربطَة إلى أقطار الحوض، فالرّحِم سائب، والجنين سائب، وبين الرِّحِم والجنين سائلٌ يمْتصّ كلّ الصَّدمات، كلّ هذا الشّرْح ينْطوي تحت قوله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ)

[سورة المؤمنون الآية: ١٢-١٣]

أيها الأخوة الأكارم، يقول بعض علماء العِظام: إنّ عظام الحوْض في المرأة هي أقسى عِظامٍ في النّوع البشري، مِن أجل ردّ الصَّدَمات .

أيها الأخوة الأكارم، قال تعالى:

(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

[سورة فصّلت الآية: ٥٣]

أيْ أنّ هذا القرآن كلام الله، وهي المعجزَة الخالدة، وكلّما تقدَّم العلم كشف عن جانبٍ من إعجازه العلمي.

05 – مراحل الحمل

لم قال الله في عدة المرأة المتوفى عنها زوجها: أربعة أشهر وعشرة ولم يزد على ذلك؟

أيها الأخوة المؤمنون، يقول الله عزَّ وجل في القرآن الكريم:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٣٤]

يعجب الإنسان لهذا الرقم المحدد، أربعة أشهرٍ وعشرة، لِمَ لَم يقل الله أربعة أشهر، أو خمسة أشهرٍ، أو ستة أشهرٍ، أو شهرين، أو ثلاثة أشهرٍ؟ .

قال علماء الطب: تمر المرأة الحامل بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى؛ هي مرحلة الشك، ينقطع دم الحيض في هذه المرحلة علامةٌ على أن المرأة حامل، ولكن هل هي علامةٌ قاطعة؟ لا، هناك أسبابٌ عدة؛ توقف هذه الدورة، اضطراباتٌ نفسية، أو اضطراباتٌ هرمونية، أو اختلالٌ في بنية الجهاز التناسلي في المرأة، هذا يستدعي أن تنقطع الدورة الشهرية، فهل انقطاع الدورة، يعد دليلاً يقينياً على الحمل؟ الجواب: لا .

المرحلة الثانية؛ مرحلة الظن، تأتيها أعراضٌ نفسيةٌ كالشعور بالكآبة، وأعراضٌ هضميةٌ كالإقياء والغثيان، والميل إلى العزلة، هذه الأعراض الهضمية والنفسية، اصطلح الناس على تسميتها، بالوحام، هذه المرحلة أغلب الظن أنها حامل، ولكن هل تعد هذه المرحلة دليلاً قاطعاً على الحمل؟ الجواب: لا .

هناك أعراضٌ اسمها أعراض الحمل الكاذب، تفاجأ المرأة بأن الدورة قد جاءتها، والتغى الحمل، ولكن في اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي في الأسبوع الثامن عشر، أي في اليوم العاشر بعد الأشهر الأربعة التي ذكرها القرآن الكريم .

رقم واحد، إما أن تقول: أربعة أشهرٍ وعشرة أيام، وإما أن تقول: ثمانية عشر أسبوعاً، وإما أن تقول: مئةً وستةً وعشرين يوماً، يتحرك الجنين، وتحسُّ المرأة أن الجنين الذي في بطنها بدأ يتحرك، عندها تدخل المرأة مرحلةً ثالثة، اسمها مرحلة اليقين، حركة الطفل في أحشاء أمه، دليلٌ قطعيٌ على الحمل، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٣٤]

هذا القرآن الكريم، من عند العليم الخبير، هذه المعلومات هي من كتبٍ طبيةٍ، لا يدري مؤلِّفوها بهذه الآية، ولا يعلمونها لأنهم ليسوا عرباً، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[سورة فصلت الآية: ٥٣]

هذه الحقائق الطبية المترجمة إلى اللغة العربية، كيف أنها تتطبق مع القرآن الكريم انطباقاً مذهلاً؟ .

06 – السائل الأمنيوسي

كيف فسر العلماء كلمة (الظلمات) في هذه الآية :

يا أيها الإخوة المؤمنون ... يقول الله تعالى في كتابه العزيز:

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)

(سورة الزمر: آية " ٦ ")

فسر العلماء هذه الظلمات تفسيراتٍ متباينة، منهم من قال: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة الأغشية التي تحيط بالجنين .

وقال بعضهم : إن الجنين محاطٌ بأغشيةٍ ثلاث، وربما كان هذا من إعجاز القرآن العلمي .

نقف في هذه الوقفة عند غشاءٍ واحد، هو الغشاء الأمينوسي، هذا الغشاء الأمينوسي، هو الغشاء الباطن، الذي من جهة الجنين، يحيط بالجنين من كل جانب، وهو كيسٌ غشائي، رقيق، ومقفل، يحيط بالجنين إحاطةً تامة، وفي هذا الغشاء المقفل، سائل، يزداد مع نمو الجنين، إسمه السائل الأمينوسي يصل حجمه إلى لترٍ ونصفٍ في الشهر السابع، ثم يعود إلى لترٍ قبيل الولادة .

يا أيها الإخوة الأكارم ... من منا يصدق أنه لولا هذا السائل لما نجا جنينٌ من الموت، قالوا: أولاً إن هذا السائل يغذِّي الجنين، ففيه مواد زلالية، ومواد سكرية، وأملاحٌ غير عضوية، وهذا السائل يحمي الجنين من الصدمات .

طبَّقت مركبة الفضاء التي حطَّت على القمر، هذا المبدأ بين كبسولة الروُّاد وبين جسم المركبة سائل من أجل امتصاص الصدمات، فحينما تأتي صدمةٌ من هذه الجهة، ولو فرضنا أن قوتها أربعة سانتي، فإن السائل يوزِّع هذه القوة على كل السطح، فيصبح هذا الضغط، نصف ميلي، إن أحدث طريقةٍ لامتصاص الصدمات، هي أن يكون بين الشيء الذي تخاف عليه، وبين المحيط الخارجي، سائل، وهذا السائل موجودٌ في الدماغ أيضاً .

إن المخ، محاطٌ بسائلٍ، يمنع تأذي المخ بالصدمات، بل إن هذا السائل، يمتصُّ، كل صدمةٍ مهما تكن كبيرة .

إن السائل الأمينوسي، هو الذي يحمي الجنين، من الصدمات، والسقطات، والحركات العنيفة، التي تصيب المرأة الحامل، إن أية ضربةٍ، أو أية صدمةٍ، يمتصها هذا السائل، ويوزِّعها على كل سطح الجنين، بحيث لا يتأثر الجنين .

شيء ثالث، هذا السائل، يسمح للجنين بحركة، حرةٍ، خفيفة، إن الأجسام وهي في السوائل، تبدو حركتها، أسهل بكثير، مما لو لم يكن هناك سائل، فالفائدة الثالثة، السماح للجنين، بحركةٍ، لطيفةٍ، خفيفةٍ، حرَّة .

والفائدة الرابعة، أن هذا السائل جهاز تكييف، له حرارةٌ ثابتة لا تزيد ولا تقل، إلا في أجزاء الدرجة، مهما كان الجو الخارجي، بارداً أو حاراً، فإن هذا السائل يؤمِّن للجنين حرارةً ثابتة، تعينه على النمو .

الفائدة الخامسة، يمنع هذا السائل التصاق الجنين، بالغشاء الأمينوسي، ولو أن هذا الالتصاق حصل، لكان هناك تشوهاتٌ في خلق الجنين .

الفائدة السادسة، أن هذا السائل نفسه يسهِّل الولادة، وهو الذي يعين على توسيع المجرى، وتوسيع الأماكن التي سوف يمر منها الجنين .

والفائدة السابعة، أن هذا السائل حينما يسبق الجنين إلى الخارج، يطهِّر ويعقم المجرى، لئلا يصاب الجنين بالإنتان، فمن تطهير المجرى، ومن تسهيل الولادة، ومن منع التصاق الجنين بالغشاء الأمينوسي، ومن تأمين الحرارة الثابتة، ومن تأمين الحركة الحرة الخفيفة، ومن حماية الجنين من الضربات واللكمات، ومن تغذية الجنين، إن هذا السائل الأمينوسي الذي جعله الله داخل الرحم، وداخل الغشاء الأول، يسبح فيه الجنين، لهو آيةٌ من أيات الله سبحانه وتعالى:

(يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ)

(سورة الزمر: من آية " ٦ ")

ذلكم الله ربُّ العالمين، ذلك عالم الغيب والشهادة، ذلك هو الخلاّق العليم، ذلك هو الربُّ الكريم، ذلك هو الرحمن الرحيم .

خاتمة الدرس :

أيها الإخوة المؤمنون ... والله الذي لا إله إلا هو، تمضي أعمارنا كلها في التفكُّر في خلق الإنسان فقط. بحثٌ لا يزيد عن صفحةٍ واحدة، في كتابٍ تزداد صفحاته عن ألف صفحة، صفحة واحدة مُفادها أنه لولا هذا السائل، لما نجا جنينٌ من الموت، هذه رحمة الله بالإنسان .

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢))

(سورة العنكبوت)

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى(٤٠))

(سورة القيامة)

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥))

(سورة المؤمنون)

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦))

(سورة القيامة)

(قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١))

(سورة عبس)

أيها الإخوة المؤمنون ... تفكّروا في خلق السماوات والأرض، تفكّروا في خلقكم، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١))

(الذاريات)

07 – المشيمة

الوظائف التي تقوم بها المشيمة أثناء أطوار الحمل عند المرأة :

أيها الأخوة المؤمنون، المشيمة هي قرصٌ كبير يرافق الجنين في رحم الأم، هذه المشيمة تلقى بعد الولادة .

في المشيمة دورتان دمويتان يفصل بينهما غشاءٌ رقيق، اسمه الغشاء المشيمي، الدورتان الدمويتان؛ دورة دم الأم، ودور دم الجنين، ومعلومٌ لديكم أن زمرة دم الأم غير زمرة دم الجنين، كل دمٍ زمرةٌ قائمة بذاتها، تتصل هاتان الدورتان في المشيمة، ويفصل بينهما غشاءٌ رقيق، هذا الغشاء الرقيق فيه معجزةٌ كاملة، إنه يفصل بين دم الجنين ودم الأم، ولكنه يسمح بمرور الغذاء المنتقى والمختار بعنايةٍ فائقة من دم الأم إلى دم الجنين، وكأنه غشاءٌ عاقل .

يحتاج الجنين إلى بوتاس، ويحتاج إلى كلس، ويحتاج إلى منغنيز، ويحتاج إلى كذا وكذا، يسمح هذا الغشاء بمرور ما يحتاجه الجنين من غذاءٌ منتقى بعنايةٍ فائقة ليلائم الجنين ويعين على نموه .

ويسمح هذا الغشاء أيضاً بمرور الأوكسجين من دم الأم، الأم تتنفس، وتأخذ من الهواء الأوكسجين، والأكسجين يعطى إلى دم الجنين عبر هذا الغشاء .

ويسمح هذا الغشاء أيضاً بمرور مواد المناعة للأمراض والأوبئة، مناعة الأم في دمها، المناعة تعني المصول المضادة في دم الأم، تمر عبر هذا الغشاء إلى دم الجنين .

ويسمح هذا الغشاء بأن تنتقل المواد السامة، ونتائج الاحتراق من دم الجنين إلى دم الأم، أي ثاني أوكسيد الكربون الناتج عن عمليات البناء والهدم، أي تنتقل فضلات الجنين الموجودة في الدم عبر هذا الغشاء إلى دم الأم، كي يطرح في أجهزتها هي .

لذلك أيها الأخوة المؤمنون، كل هذا يتم من دون أن يختلط دم الأم مع دم الجنين، دم الأم مستقل، ودم الجنين مستقل، وهذا الغشاء يفصل بينهما، انه آيةٌ من آيات الله الدالة على عظمته .

إليكم هذه النبذة المختصرة من العلماء عن وظيفة المشيمة :

أيها الأخوة المؤمنون، لخَّص بعض العلماء وظيفة هذا الغشاء: بأنه يعطي الأوكسجين، ويأخذ ثاني أكسيد الكربون، وكأنه يقوم بوظيفة الرئة، رئة الجنين في الخلاص، ويعطي الغذاء المهضوم بالقدر المعلوم، وقد تتبع العلماء هذا الغشاء عبر أشهر، فوجدوا أن هذه المشيمة، تعطي الجنين غذاءً معيَّراً تعييراً يومياً بحسب نموه، إذن تقوم هذه المشيمة بوظيفة جهاز الهضم، وهذه المشيمة أيضاً ترسل هورمونات تثبِّت الجنين في الرحم، وترسل هورمونات تنمِّي الثديين استعداداً لفرز الحليب .

هذا الذي يلقيه الناس في القمامة، أو في مكانٍ آخر، أو يدفنونه في التراب حسب السُنَّة، هذه المشيمة لو يعلم الإنسان ما فيها من أجهزة ومن دقائق لخرَّ لله ساجداً .

08 – الحمل وانقطاع الطمث

دراسة استقصيت :

أيها الأخوة الأكارم، بحث طبيبٌ مسلم مؤمن فترةٍ طويلة عن موضوع دقيق، هو أن يرافق الحمل في الأنثى انقطاع الطمث، أي الحيض، لأنه من المعروف لدى عامة الناس ولدى معظم المثقفين أنه لا حمل مع الطمث، ولا طمث مع الحمل، لكن القرآن الكريم، يقول:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٢٨]

إذ بهذا الطبيب يكتشف أن هناك حالاتٍ نادرة تحيض فيها المرأة مرةً أو مرتين في أول الحمل، وما دام الجنين في حوض المرأة، لا يظهر الحمل سريرياً، أما إذا خرج حجم الجنين عن حجم الحوض، فيظهر لدى الأم ولدى الطبيب ولدى الزوج، فما دامت هناك حالاتٌ نادرةٌ تحيض فيها المرأة مرةً، أو مرتين، أو ثلاث، وهذا هو الاستقصاء العلمي والميداني، لأسباب لا مجال إلى ذكرها من على المنبر، ما دامت هناك حالات تحيض فيها الحامل في أول الحمل مرةً، أو مرتين، أو ثلاثة، فجاءت الآية الكريمة لتعطي براءة الرحم الشكل القطعي ، إن انقطاع الدورة يعني الحمل في الأعم الأغلب، ولكن هل يعدُّ هذا دليلاً قطعياً؟ يرى معظم الأطباء من خلال دراساتهم، ومن خلال ممارساتهم، أن انقطاع الطمث لا يعدُّ دليلاً قطعياً .

إضافةً إلى أن المطلقة عندما تتربص ثلاثة قروءٍ، فلعل المشكلة كانت صغيرة، ولكنها بدت للزوج كبيرة، لعل المشكلة تزول مع الأيام ضماناً لرجوع هذه المرأة إلى زوجها وضماناً للتوفيق بين الزوجين، فضلاً عن كل ذلك، الموضوع من زاويةٍ علميةٍ بحتة، هناك حالاتٌ نادرة تحيض فيها المرأة لأسبابٍ كثيرة، مرةً، أو مرتين، أو ثلاث في بداية الحمل، لذلك لا يعدُّ انقطاع الدم لمرةٍ واحدة دليلاً قطعياً بل يعد دليلاً ظنياً، ولا يكون قطعياً إلا بعد الثلاثة قروء، لأنه بعد الثلاثة قروء يظهر الحمل فوق حيز الحوض، فيكتشفه الطبيب سريرياً والأم والزوج، لذلك قال تعالى:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٢٨]

لذلك من أجل أن نعلم أن هذا التشريع هو تشريع خالق الكون، من أجل أن نعلم أن هذه الحالات النادرة التي نجدها في مجموع النساء، ويعلمها علم اليقين الأطباء، ولا سيما من اختص بأمراض النساء، هذه الحالات النادرة تغطِّيها هذه الآية .

09 – الجنين ومشاعره

إليكم ما كتبه العلم حديثاً عن علاقة الجنين بأمه وتأثره بها في حالتي الرضا والغضب:

أيها الأخوة الأكارم، من البحوث العلمية الطبية التي تُعَدُّ آيةً من آيات الله الدالة على عظمته: أن الجنين كان في نظر الطب قديماً كائناً حياً في أدنى مستويات الحياة، كانت كتب الطب، تصف حياته كحياة حبة الفاصولياء في أصيص التراب، أي رشيمٌ، وجذيرٌ، وسويق، ومحفظة غذاء، جاءتها الرطوبة، وجاءها النور، فنما هذا الرشيم، وما حركات الجنين إلا ردود أفعال على المؤثِّرات التي تصل إليه، وهو في بطن أمه .

لكن الطب الحديث من خلال تطوِّر وسائل الملاحظة والمشاهدة، ووصول الطب إلى باطن الجسم الإنساني، واستخدام التنظير، والتصوير التلفزيوني، والتسجيل الضوئي والصوتي، سمحت هذه الوسائل المتقدمة جداً للطب، أن يصل إلى الجنين فيتطلع على حياته العضوية، وسلوكه النفسي، كشف الطب حقائق مذهلة .

أمٌ حاملٌ في الشهر السادس، معتادةٌ على التدخين، طلب منها الطبيب أن تمتنع عن التدخين مدةً جيدة، ثم قدَّم لها دخينة، وما إن أولعتها، حتى أشار المقياس إلى اضطراب قلب الجنين، قالوا: هذا منعكسٌ شرطي، وهو نوعٌ من أنواع التعلُّم، تأذى هذا الجنين وهو في الشهر السادس من أمه حينما استعملت الدخان .

إذا وقعت الأم في أزمةٍ نفسيةٍ كالغضب، فإن الجنين يتأثَّر لتأثر أمه، وتضطرب أعضاؤه وأجهزته. وإذا كانت الأم في سعادةٍ ويُسرٍ، وكانت تهدهد له ببعض التهويمات، فإن الجنين يهدأ، فينتظم قلبه وأعضاؤه ونفسيته، والأغرب من ذلك، أن الجنين ينتظم وهو في بطن أمه إلى صوت أبيه، ويقف موقف المأخوذ، ويتأكَّد هذا بعد الولادة .

يا أيها الأخوة الأكارم، في هذا الموضوع، موضوعٌ اسمه: الرباط، أي ارتباط الجنين بأمه، فإذا رغبت الأم بالحمل، وتولَّعت به، بادل الجنين أمه الابتهاج، وقدَّم مودته، وشكره على حسن لقائها، ويغتني شعوره بالسكينة، ويعبِّر عن امتنانه بحركاتٍ في بطن أمه، لا حدَّ لعذوبتها على قلب الأم .

أما الأم التي لا ترغب بالحمل، ويتمُّ الحمل وهي مكرهة، فإن التواصل أو الرباط ينقطع مع الجنين،

يحيا الجنين حياةً منفصلة عن أمه، فيها الوحشة، والانكماش، ويسلك سلوك البلبلة، والاضطراب، ويختل توازنه، وبعد إذٍ يشاكس أمه بركلاتٍ يرسلها بقدميه، وكأنَّه يعبر بها عن احتجاجه على كراهيتها له، وبعد الولادة، الجنين التي رفضت أمه حمله، لا يقبل ثديها، بل يقبل على أي ثديٍ آخر، فإذا عُصبت عيناه، وقدِّم له ثدي أمه رفضه، لأنها رفضته في الأصل .

قال بعضهم: قد تكون دورة النوم عند الأم ذات خصائص معيَّنة، فالأم التي تكثر السهر، يأتي وليدها مشابهاً لها، فهناك تأثرٌ، يتأثَّر به الجنين من أمه قبل أن يولد .

الأغرب من هذا كله، أن التي جاءها المخاض، إذا كان لها إنسانٌ قريبٌ ودود، يجلس إلى جانبها كأمها، فهذا الإنسان القريب الودود، يلعب دوراً أساسياً في تيسير الولادة، ويزداد صبيب الدم على الرحم والجنين مغذياً، فينتعش الجنين في أثناء المخاض، وتتضاءل عقابيل نقص الأوكسجين في أثناء المخاض، هذا النقص الذي ربما أصابه بتأخرٍ عقلي، واضطرابٍ نفسي .

العبرة من هذا الدرس:

فيا أيها الأخوة الأكارم، حينما نبتعد عن التصميم الإلهي، وعن البنية الإلهية التي بناها، ونأخذ أسلوباً آخر في الحياة، ينعكس هذا على صحة أولادنا، وعلى نمائهم، وعلى سلامة نفوسهم .

10 – الشدة النفسية في أثناء الحمل

إليكم أحد أسباب تشوه الأجنة في عالم الرحم ؟

أيها الأخوة الكرام، في موقع معلوماتي لفتت نظري هذه الحقيقة، قال: إن الضغوط العاطفية والنفسية الشديدة التي تتعرض لها المرأة خلال فترة الحمل، وحتى قبل فترة الحمل، يمكن أن تكون عاملاً في ظهور إصابة في الجنين تشويهاً واختلالاً، يعني أحد أسباب تشوه الأجنة اضطرابات عاطفية تعيشها المرأة .

أيها الأخوة، لا أبالغ إذا قلت: هناك مئات الموضوعات التي طرحتها من على هذا المنبر، والتي تؤكد أن الشدة النفسية سبب لأمراض لا حرص لها، والشدة النفسية دواؤها الإيمان بالله، ودواؤها طاعة الله، ودواؤها الصلح مع الله، ودواؤها ذكر الله، ودواؤها الإقبال على الله، ودواؤها الإخلاص لله، المؤمن معافاً من الشدة النفسية، المرأة المؤمنة الطاهرة العفيفة المطيعة لزوجها معافاة من هذه الشدة النفسية .

أيها الأخوة الكرام، يذكر العلماء أن الضغوط النفسية القوية من خلال الحمل، مثل فقدان الوظيفة، أو الطلاق، أو الافتراق بين الأزواج، أو الحزن على ميت، يمكن أن تؤدي إلى حالات غير طبيعية في الجنين، وتشوهات؛ كالشرم، وانشقاق الشفة، والحلق وغيرها .

ما تفسير ظاهرة الضغط النفسي، وما علاجه ؟

يقول العلماء مفسرين هذه الظاهرة: الضغط النفسي سبب في ارتفاع هرمون الكورتيزون الذي يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم، وتقلص نسبة الأوكسجين في الأنسجة، وهما عاملان يتسببان في تشوهات خلقية عند الجنين .

أيها الأخوة الكرام، ارتباط النفس في الجسد عجيب، فإذا صحت النفس صح الجسد، إذا صحت النفس استقام القلب، إذا صحت النفس، صح كل شيء .

فيا أيها الأخوة الكرام، علاجنا الوحيد؛ أن نصطلح مع الله، علاجنا الوحيد؛ أن نتوب إليه، علاجنا الوحيد؛ أن نطيعه فيما أمر، علاجنا الوحيد؛ أن نتبع سنة النبي عليه الصلاة والسلام .

11 – حنان الأم وحليبها

الخصائص التي تجتمع في حليب الأم :

أيها الأخوة الأكارم، إتماماً لبحث حليب الأم، الذي جعله الله عزّ وجل هبةً، ومنحةً لهذا الطفل الصغير .

وهب الله سبحانه وتعالى الصغار رحمةً أودعها في قلوب أمهاتهم، وفضلاً عن رحمة الأمهات بأبنائهن، التي هي في الحقيقة رحمة الله بهم، جعل المرأة يسيل ثدياها حليباً من نوعٍ خاص .

فلبن المرأة، كما يقول العلماء: مبهرٌ ومدهش، تعجز عن تركيبه، وخصائصه قوى البشر ولو اجتمعت، وتعجز عن صنعه أضخم المعامل ولو تظاهرت .

تركيبه: تركيبه في تبدلٍ مستمر بحسب حاجات الرضيع ومتطلباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه، وهو أكثر ملائمة، وأكثر تركيزاً، وأكثر احتمالاً، وأقلُّ ضرراً، وهو أأمن طرق التغذية، من حيث الطهارة والتعقيم، إذ يؤخذ من الحُلمة مباشرةً من دون التعرض للتلوث الجرثومي، وحرارته ثابتةٌ خلال الرضعة الواحدة، ويصعب توافر هذا الشرط في الإرضاع الصناعي، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة في الصيف، دافئ في الشتاء، وهو سهل الهضم، لا

تتجاوز فترة هضمه عن الساعة والنصف، بينما تزيد فترة هضم حليب القوارير عن ثلاث ساعات، والطفل الذي يرضع من ثدي أمه، يكتسب مناعةً ضد كلَّ الأمراض، لأنَّ في حليب الأم مواد مضادة للالتهابات المعوية والتنفسية .

وفي حليب الأم، مواد تمنع التصاق الجراثيم بجدار الأمعاء، وفي حليب الأم مواد حامضية لقتل الجراثيم، والإرضاع الطبيعي يقي من أمراض الكوليرا، والزحار، ومن أمراض شلل الأطفال، والكزاز، لأن مناعة الأم كلها في حليبها، وهو يقي المرضع من أورام الثدي الخبيثة، هذه الظاهرة المنتشرة في معظم أنحاء العالم، سرطان الثدي، وإرضاع الطفل من ثدي أمه، يقي الأم من أورام الثدي الخبيثة، ويقي الرضيع من الآفات القلبية، والوعائية، وأمراض التغذية، والاستقلاب، بل إن الفطام السريع، يحدث رضاً نفسياً، وانحرافاتٍ سلوكية .

وحليب الأم، سهل التحضير ليلاً ونهاراً، في السفر وفي الحضر، لأنه جاهزٌ دائماً بالحرارة المطلوبة، وبالتعقيم المثالي، والسهولة في الهضم، ولأن فيه المناعة التي تقي معظم الأمراض، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد الآية: ٤-١٠]

هدية من الله، قال تعالى:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد الآية: ١٠]

قال عكرمة وابن المسيِّب: النجدان هما الثديان، قال تعالى:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

[سورة البلد الآية: ١٠]

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾

[سورة البلد الآية: ١١]

ما جوابك عن هذا السؤال ؟

أيها الأخوة، ما الذي يمنع الإنسان من أن يطيع الله عزَّ وجل؟ ما الذي يمنعه من أن يكون مؤمناً؟ لذلك قال بعض العارفين:

يا رب تداركتنا بلطف في ظلمة الحشا

... وخير كفيلٍ في الحشا قد كفلتنا

وأسكنت قلب الأمهات تعطفاً علينا ..

.... وفي الثديين أجريت قوتنا

هذا موضوع الخطبة كلها، أسكن في قلب الأمهات رحمةً، وأجرى في صدورهن حليباً، رحمةً معنويةً، وغذاءً طبيعياً، تترجم بالإقرار أنك ربنا، وعرفتنا إياك، فالحمد دائماً لوجهك، إذ ألهمتنا منك رشدنا .

12 – يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب

يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب :

يقول تعالى في كتابه العزيز:

(حُرّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمّهَاتُكُمُ اللّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرّضَاعَةِ وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً)

[النساء:٢٣]

((عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : جاء عمي من الرضاعة ، فاستأذن عليّ فأبيت أن آذن له،حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم،فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال:

((إنه عمك فأذني له))

قالت : فقلت : يا رسول الله إنما أرضعتني المرأة ، ولم يرضعني الرجل ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إنه عمك فليلج عليك))

قالت عائشة : وذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب ، قالت عائشة :

((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب))

[البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ومالك]

إن هذين النصين – الآية والحديث – يدلان على أن الرضاعة بشروطها المعروفة تجعل الابن الرضيع ابناً للمرضع ، وأخاً لمن يشاركه في الرضاعة ، وإن القرابة من الرضاعة تثبت ، وتنتقل في النسل، في ضوء المعلومات الحديثة التي جاءت بها الهندسة الوراثية ، وهي أحدث بحوث الطب .

الهندسة الوارثية :

تؤكد الهندسة الوراثية أن الرضاعة تنقل بعض الجينات من المرضعة إلى الرضيع .
وهذه القرابة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة كقرابة النسب ، وجعلها القرآن أيضا كذلك، هذه القرابة سببها العلمي انتقال الجينات من حليب الأم المرضع إلى الرضيع ، وتندمج معها قي سلسلة الجينات التي عند الرضيع ، وتصل إلى مورثاته .

قول العلماء في الرضاعة :

وقال العلماء :

((إن الحليب يحتوي على أكثر من نوع من الخلايا ، وإن الجهاز الوراثي في الرضيع ينقل الجينات الغريبة ، ويقبلها ، لأنه غير ناضج ، فإذا أرضعت امرأة طفلا اخترقت الجينات التي في حليبها خلاياه ، واستقرت فيها ، ووصلت إلى جهازه الوراثي))

فلذلك قال صلى الله عليه وسلم :

((يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة))

إن النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فكل شيء في القرآن، والسنة الصحيحة له أصل علمي ، وقد عرف علماء الوراثة الآن أن هذا الحليب المؤلف من مجموع خلايا يخترق نسج الجنين إلى جيناته الأساسية ، ويندمج فيها ، وأن جهازه الوراثي يتقبل كل شيء غريب حتى يصبح كأنه منه .

فالنبي صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة))

لم ينطق إلا عن وحي أوحاه.

الباب الثامن : الهيكل العظمي



01 – وانظر إلى العظام

إليكم الحديث عن العظام: تركيبه، شكله، الفيتامين الذي يحتاجه :

أيها الأخوة الأكارم، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمّ نَكْسُوهَا لَحْماً)

[سورة البقرة الآية: ٢٥٩]

قال العلماء: العظام في مجملها مركبةٌ من مادةٍ أساسيةٍ هي الكالسيوم، ولكن توزيع هذه المادة مع متمماتها على شكلٍ آخر، فخمسة وثمانين بالمئة من العظام كالسيوم الفوسفات، وعشرة بالمئة كالسيوم الكربونات، وثلاثة بالألف كالسيوم الكلوريد، واثنان بالألف كالسيوم الفلوريد، وواحد بنصف بالمئة فوسفات المغنزيوم، هذه نسب الكالسيوم مع المتممات في العظام، وتسعة وتسعون بالمئة من كالسيوم الجسم متوضعٌ في العظام، لا يتم امتصاص الكالسيوم من الأمعاء إلا بوجود هرمون تفرزه غدةٌ صغيرةٌ جداً، توجد إلى جانب الغدة الدرقية، فلو تعطّلت هذه الغدة الصغيرة واسمها جوار الغدة الدرقية، لما أمكن امتصاص الكالسيوم من أمعاء المخلوق .

شيء آخر، يحتاج توضُع الكالسيوم في العظام إلى فيتامين (د)، فإذا لم يتوافر هذا الفيتامين أصيب الطفل بهشاشة في عظامه، أو بلين في عظامه، إن شكل هذه العظام هو على شكل شوكيّات، وتتداخل هذه الشوكيات، وإذا تتداخلت شكّلت جسماً متيناً بدرجةٍ متناهية، يتحمل عظم عمق الفخذ ضغط مئتين وخمسين كيلو تقريباً، في العظام شيءٍ لا يصدق، فيقول ربنا سبحانه وتعالى:

(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمّ نَكْسُوهَا لَحْماً)

[سورة البقرة الآية: ٢٥٩]

أي نجعلها على شكل شوكيات متداخلة، بحيث تبدو متينة جداً، وقاسية جداً، وقوية جداً .

أيها الأخوة المؤمنون، لا زلنا ننظر على أن في جسم كلٍ منا من الآيات الدالة على عظمة الله الشيء الكثير، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

02 – الهيكل العظمي للإنسان

إليكم الحديث عن بيت السر وهو الهيكل العظمي :

من آيات الله الدالة على عظمته، هذا الهيكل العظمي الذي هو قوام جسمنا، نسيج متين يقاوم قوى الشد، ونسيج قاسٍ يقاوم قوى الضغط، هذا النسيج المتين أحد وظائفه الكبرى أنه يحمي الأجهزة النبيلة، فالدماغ من أنبل الأجهزة موضوع في كرة عظمية، والنخاع الشوكي جهاز نبيل موضوع في العمود الفقري، والقلب أخطر أجهزة الجسم موضوع في القفص الصدري، والرحم موضوعة في عظم الحوض، ومعامل كريات الدم الحمراء موضوعة في داخل العظام، فلولا الجهاز العظمي لكان الإنسان كومة من الجلد واللحم لا شكل لها .

ما هي عدد قطع الهيكل العظمي، وكيف بنيتها ؟

هذا الجهاز مؤلف من مئتي قطعة، بنيتها قاسية ومحكمة من الخارج، ومسامية إسفنجية من الداخل، لو أن بنيتها من الداخل كما هي من الخارج، لكان وزن أحدنا أربعَ أمثال ، فإن كان وزن الرجل سبعين فسوف يكون مئتين وثمانين، وإن كان وزن الرجل مئة فسوف يكون وزنه أربعمئة.
يقول العلماء: في بنية العظم يتحقق حد أقصى من النتائج بحد أدنى من اللوازم، أي أن هناك توازن رائع بين البنية المقاومة، والوزن الخفيف .
فالطائرة التي نركبها تزن مئة وخمسون طناً، وقودها يزن مئة وخمسون طناً، يكفيها أربعة عشر ساعة، لو أنها صنعت من الحديد بوزن ثلاثمئة طناً، لاحتاجت إلى ثلاثمئة طناً من الوقود .
لو كان وزننا أربع أمثال ما نحن عليه، لكان هناك مشاكل جمالية، ولكان هناك هدر للطاقة بلا مبرر .

ما هي قصة عمليات الهدم والبناء في هذا الهيكل ؟

أما أغرب ما في هذا الجهاز: أن هناك عمليات هدم وبناء مستمرة، عمليات هدم لخلايا عظمية، وبناء لخلايا جديدة مستمرة، بحيث أن الإنسان يتجدد هيكله العظمي خمس مرات في عمر متوسط، فكل خمس أو ست سنوات يتشكل لك هيكل عظمي جديد كلياً بفعل عملية الهدم والبناء .
الهدم والبناء المستمر هو الذي يعين على التئام الكسور، وهذه من نعمة الله الكبرى، والهدم والبناء المستمر هو الذي يجعل العظم مخزناً للكلس، فإذا احتاجت الأم لتشكيل عظم وليدها إلى كلس، ولم يكن غذاؤها كافياً من هذه المادة، يأخذ الجنين من عظم أمه ما يشكل به عظمه .
فعملية الهدم والبناء المستمرة من أجل أن يكون العظم مخزناً للكلس احتياطي .

ما هو العامل المساعد لنمو العظام وتوقفه عند قدر محدود، وكيف يكون هيكل العظم عند الطفل في عالم الأجنة، وما هي وظيفة السائل عند المفاصل ؟

قال العلماء: إن هناك هرمونات تنظم نمو العظم وتنظم إيقافه عند حد معين، فلولا هذه الهرمونات لكان الإنسان قزماً أو كان عملاقاً، أقصر إنسان طوله خمسٌ وخمسين سم، يزن خمسة كيلو غرام، عمره ثلاثةً وعشرين عاماً، وأطول إنسان طوله مئتين وأربعين سم، العملقة والقزمية لها علاقة بهرمون النمو، وهذا شيء دقيق .

الشيء الآخر: إن هيكل العظم عند الجنين غضروفي، فإذا خرج إلى الدنيا بدأت خلايا العظم تحل محل خلايا الغضروف من المنتصف إلى الأطراف، ويبقى في أطراف العظام طبقة غضروفية هي عند علماء الميكانيك ماصة للصدمات أطراف مشاشات العظام كلها غضروفية القوام، وهي مادة لامتصاص الصدمات كقطع الكوتشوك بين قطع الحديد وبين كل فقرتين من فقرات الظهر، قرص غضروفي ليعمل على امتصاص الصدمات، وكسب الإنسان حياةً مريحة .

شيء آخر، أنه عند المفاصل هناك سائل لزج ينزلق عليه سطح لزج من أجل راحة حركة المفاصل، وهذا السائل يتجدد تلقائياً من حين إلى آخر .

هذا الهيكل العظمي آية دالة على عظمة الله تعالى، قال جل جلاله :

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: ٣٥]

03 – العظام والسلاميات في يد الإنسان

كم هو عدد السلاميات في إصبع الإبهام ، وما وظيفتهما في هذا الإصبع ؟

من الآيات المدهشة التي تلفت النظر، وتعظم خالق الإنسان هذه اليد التي نملكها، قال العلماء: في اليد خمسة أصابع، وفي كل إصبع ثلاث سلاميات إلا الإبهام فهو مكون من سلاميتين وهما السر، قد لا تصدق أن حضارة الإنسان التي يجري بها متعلقة بهذا الإبهام، الإبهام مما يتفرد به الإنسان على بقية المخلوقات .

على السُلامة الثانية في الإبهام يرتكز وترٍ مع عضلةٍ قابضٍ طويلٍ يطوي السُلامة الثانية، فيعطي الإبهام رشاقته ودقته التي يتفوق بها الإنسان على سائر المخلوقات، بسبب دقة بناء اليد، انطلقت هذه اليد لتؤديَ مهمات لا حصر لها

هذا مفصل دقيق جداً، لولا هذا الإبهام وحده لما كان لهذه الأصابع من قيمة، نجرب أن تكتب من دون إبهام، أو أن تخيط من دون إبهام، أو أن ترتديَ ثيابك من دون إبهام، أو أن تعمل على آلة من دون إبهام، جرب إنك لن تستطيع شيئاً، هذه صنعة الله التي أتقنها، قال تعالى:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: ٨٨]

فقد لعب الإبهام الدور الرئيسي للتحرك في كل الاتجاهات، مفصله الكروي يعطيه المرونة الفائقة والسُلاميتان الاثنتان مزودتان بما لا يقل عن خمسة أوتار يمنحه الحركة برشاقة في كل من البسط والقبض والتبعيد والتقريب والدوران والإمساك والمقابلة .

لو أن ضارباً على جهاز الكمبيوتر جلس ست ساعات على هذا الجهاز يضرب على أزراره، لبذل هذا الإبهام جهداً يساوي أن يمشي على قدميه أربعين كيلومتر وهو لا يدري .

ما قيل عن يد الإنسان :

أحد العلماء الغربيين، قال: هذا الإبهام العجيب هو الذي فتح لنا هذا العالم العجيب، فزاد معرفتنا بالله عز وجل، وبعظمته، وبوحدانيته، إن هذه الأداة المذهلة (اليد) فيها مجموعة من العظام والأوتار والعضلات والأعصاب والشرايين والأوردة والعروق اللمفاوية .

في اليد سبعة وعشرون عظماً، وثمانية وعشرون مفصلاً، وثلاث وثلاثون عضلةً، عظام الرسغ سبعة، وهذا الرسغ يعطي اليد الحركة في كل الاتجاهات، ولولا هذا الرسغ لما كان لهذه اليد من معنى، لو أنها باتجاه واحد لفقدت معظم خصائصها .

تمر شبكة سقي وتروية دموية من أبدع ما خلق الله عز وجل، تصب هذه الشبكة في نهرين عظيمين على حافتي الرسغ في شلالين متعانقين متضافرين وريد وشريان، يتوزع عنهما شبكة دقيقة جداً في اليد، ففي أي مكان أدخلت رأس إبرة يخرج دم .

أما المنظم فهو شبكة عصبية محكمة متدفقة من ثلاث كبلات، أعصاب المتوسط والزندي والعكبري، تستقبل الحس، وتوجه الحركة

وهناك نظام إرادي، ونظام لا إرادي مرتبط بالفعل المنعكس الشرطي، لو درسنا هذه اليد لوجدناها آيةً من آيات الله عز وجل، فهذه الحضارة، وهذه الأبنية، وهذه المصانع، وهذه الآلات لا معنى لها من دون اليد، الله جل جلاله كرم الإنسان بهذه، وهذه أقرب الآيات إلينا، قال تعالى:

(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢٠-٢١]

04 – ارتباط عظم الفخذ بعظم الحوض

إليك ما تشير إليه الآية :

أيها الأخوة الأكارم، مرَّت آيةٌ في هذه السورة، وهي قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾

[سورة الإنسان الآية: ٢٨]

الأسرُ هو الرباط، ويسمى الأسير أسيراً، لأنه يُربط ويقيَّد، ومعنى شددنا أسرهم، أي أحكمنا خلقهم.

وقد مرَّ في بعض كتب الطب: أنَّ عظم الفخذ له عنق، وهذا العنق كما تعلمون يتحمَّل من قوى الضغط ما يزيد عن مئتين وخمسين كيلو غراماً، أي أنَّ الإنسان بعظمي الفخذ ولا سيما عنق الفخذ الموصول بالحوض يتحمل ضغطاً يقارب الخمسمئة كيلو غرام، هذا القسم من العظم يعدُّ أمتن قسمٍ في الجهاز العظمي في الإنسان، أما طريقة ارتباط هذا العظم عظم الفخذ بعظم الحوض، فشيءٌ لا يصدق .

أيها الأخوة الأكارم، لو جئنا بكرةٍ نحاسية وقسمناها أو شطرناها شطرين، ثم أحكمنا إغلاقها، وفرَّغنا الهواء من داخلها، إن ثمانية أحصنةٍ يتحركون بجهتين متعاكستين، لا يستطيعون فصل جزئها الأول عن جزئها الثاني، لماذا؟ لأنها فرِّغت من الهواء، ولأن الضغط الخارجي يضغط عليها، وبهذه الطريقة البديعة أُحكم عظم الفخذ بعظم الحوض، فلو نزعت العضلات، ولو نزعت الأربطة، ولو أُلغيت الأوتار، ولو أُلغي الجلد، ولم يبقَ إلا هذا العظم بمشاشته الكروية، وهذا الحوض بتجويفه الكروي، فإن هذا العظم لا ينخلع من الحوض بسبب أنه مفرغٌ من الهواء في داخله، لقد رُبِطَ عظم الحوض بعظم الفخذ بطريقةٍ محكمةٍ، ولا سيما تلك المشاشة التي تدخل في هذا التجويف، هذه النقطة العلمية تشير إلى قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾

[سورة الإنسان الآية: ٢٨]

قال بعض الأطباء: تعد ميناء الأسنان من القساوة بمكان، فهي بقساوتها تقترب من الألماس، وفيها تحملٌ عجيب لقوى الضغط، وارتباط العظام بعضها ببعض، شيءٌ يلفت النظر إذاً: هذا معنى قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾

[سورة الإنسان الآية: ٢٨]

05 – العضلات

ما اسم المقود الذي يحرك الإنسان، وكيف تتم حركته ؟

أيها الأخوة المؤمنون، حينما يتحرك الإنسان من مكان إلى مكان، حينما يرفع ثقلاً، حينما يؤدّي عملاً، ما سرُّ هذه الحركة؟ أو ما سرُّ هذا العمل؟ إنه كامنٌ في العضلات، حينما تقف عند القصَّاب، وتشتري هذا اللحم، فهذا اللحم الذي تشتريه، ويقطِّعه لك هو العضلات، والله سبحانه وتعالى لحكمةٍ بالغة جعل هذه العضلة مؤلفةً من ملايين الألياف .

لو سلقت اللحم، لوجدته مؤلَّفاً من خيوط، كل خيط ليف، كل ليف ينتهي بعصب، فإذا جاء الأمر من المخ، أو من الجهاز العصبي إلى هذا الليف، فإنه ينقبض، ومعنى ينقبض، أي يتقلَّص إلى ستين في المئة من طوله، أي يبقى أربعين، إذا كان طول الليف عشرة سانتي، يصبح أربعة سانتي عندما تتقلص العضلة، والعضلة مربوطة بالعظم، يتحرك العظم، فلولا هذه الخاصة التي أودعها الله في العضلات، لكان الإنسان كقطعة الخشب الملقاة على الأرض لا حركة ولا سكنة، أما التحرك؛ حركة الأمعاء، حركة القلب، حركة الرئتين، حركة العضلات الملساء، حركة العضلات الإرادية، حركة الأطراف، أن تدير رأسك، أن تحرك يديك، أساس هذه الحركة أن الجهاز العظمي كل عظمةٍ مرتبطٌ فيها عضلتان، عضلةٌ تحركها نحو اليمين مثلاً، وعضلة نحو اليسار، عضلةٌ قابضة، وعضلةٌ باسطة، ما هذا السر؟ .

كيف يتحوّل الغذاء الموجود في الخلايا العضلية إلى عمل، أو إلى حركة؟ هذا سرٌ لم يكشف عنه بعد حتى هذه الأيام، تنتهي العضلة بعصب، فإذا جاء الأمر العصبي إلى هذه العضلة بالتحرُّك، فإنها تنقبض، فإذا انقبضت، تحرَّك معها العظم، وتحرك الإنسان .

قد تكون جالساً فترى ابنك يقترب من المدفأة، فتقوم إليه، أدركت الخطر، جاء أمرٌ من المخ إلى العضلات، تحرّكت العضلات، فسرت إليه، ثم حملته بيدك، وأبعدته عن المدفأة، هذا الشيء الذي نفعله ولا نفكر فيه، عمليةٌ معقدةٌ جداً .

كم عدد العضلات في جسم الإنسان، وما هي فروعها ؟

قال العلماء: في كل عضلة متوسطة عشرة ملايين ليف، وفي الإنسان ستمئة عضلة، خمسمئةٍ منها إرادية، أي تعمل بإرادتك، ومئةٌ منها لا إرادية، إذا كنت في غرفةٍ مظلمة، ثم أُشعل المصباح، ونظرت إلى عينك بالمرآة، ترى حدقة العين تضيق وتضيق، هل بإمكانك أن تبقيها واسعة؟ هل بإمكانك أن تمنع تضيُّقها؟ لا، فقزحية العين عضلةٌ، ولكن ليست بإرادتك، حركة القلب ليست بإرادتك، حركة الرئتين ليست بإرادتك، حركة الأمعاء ليست بإرادتك، ضيق الشرايين والأوردة ليست بإرادتك، جعل الله سبحانه وتعالى من هذه الستمئة عضلة خمسمئة عضلة إرادية، ومئةٌ منها تعمل وفق مصلحتك، لا بإرادتك .

شيءٌ آخر أيها الأخوة، تأتمر العضلات الملساء بنظامٍ عصبيٍ آخر، إنك تأكل وتنام والمعدة تتحرك، والأمعاء تتحرك، والأجهزة تتحرك، والرئتين تتحرك، وأنت لا تدري، هذا الخلق المتقن: صنع الله الذي أتقن كل شيء، ألا يستحق العبادة؟ ألا يستحق الطاعة؟ .

الإنسان يمشي إذا صعد الإنسان من طابقٍ إلى طابق، أي رفع جسمه البالغ سبعين كيلو غرام إلى ثلاث أمتار، هذا يساوي في القوة المحركة حصان ونصف تقريباً، أي بذل جهداً مقياسه هذا الرقم، فالإنسان حينما يتحرّك، حينما يأكل، حينما يستلقي، حينما يمشي، حينما يحمل، يجب أن يفكر، قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

[سورة الطارق الآية: ٥-٧]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين الآية: ٤-٥]

الخاتمة :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع العضلات وحده يكفي أن تؤمن بالله عزَّ وجل، لولا العضلة لما كان لصاحب الحرفة حرفة، لولا العضلة لما أنشئ هذا البناء، لما وجدت على وجه الأرض شيئاً من صنع البشر، جعل الله سبحانه وتعالى الحركة والعمل منوطةً بهذا الجهاز العضلي الذي يتقلص بتأثيرٍ عصبي، أما كيف يتحول الغذاءٌ إلى طاقة تحدث العمل؟ فهذا ما لم يعرف حتى الآن.

الباب التاسع : الدماغ



01 – الدماغ ونعمة الإنتباه والإعتياد

ما هي الخصائص الموجودة في الدماغ ؟

١ – خاصة الانتباه :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية: ٣٤]

لم يقل: وإن تعدوا نعم الله، وإنما قال: نعمة الله، نعمةٌ واحدة، لو ذهبتم طوال عمركم إلى تعداد خيراتها لا تحصون ذلك، إذا كنتم عاجزين عن إحصاء خيراتِ نعمةٍ واحدة، فأنتم عن شكرها أعجز .

من منا يصدق، أن في الدماغ البشري خصائص، لو فقدت إحداها لكانت حياتنا جحيماً، من هذه الخصائص: خاصة الانتباه، وخاصة الاعتياد، خاصتان متناقضتان .

قالوا: الانتباه، يركِّز الإنسان انتباهه على مفهومٍ واحد، في وقتٍ واحد، يعني تجربة بسيطة، ضع آلة تسجيل على النافذة، واجلس مع أخٍ، وتحدَّث معه في موضوعٍ دقيقٍ مهم نصف ساعةٍ من الزمن، وبعدها قل له: ما الذي جرى في الطريق؟ يقول: ما سمعت شيئاً، افتح المسجلة، تسمع أصواتاً، وباعةً، وحوادث، وصياح، كلُّ هذه الأصوات ما سمعها، ما تفسير ذلك؟ دخل الصوت إلى الغرفة، ولامس غشاء الطبل، واهتزَّ غشاء الطبل، ونقل الصوت إلى الدماغ، وهو لم يسمعه .

قال: هذه الظاهرة اسمها: الانتباه، أي أنَّ الإنسان يركز انتباهه على مفهومٍ واحد في وقتٍ واحد، سمّى العلماء هذه الظاهرة: الوعي الانتقائي .

فالدماغ، هكذا قال العلماء: يغلق جميع منافذ المعلومات التي لا علاقةَّ لها بالموضوع المعني، هناك منفذ السمع، منفذ البصر، منفذ الإحساس، كلُّ هذه المنافذ تغلق، ويبقى الموضوع المعني مفتوحاً، ويسمح الدماغ للذكريات فقط ذات العلاقة بالموضوع المعني بالدخول .

وردت هذه المعلومات في كتاب مطبوع، عام ستة وثمانين، لا نعرف حتى الآن كيف يسدُّ الدماغ كل منافذ المعلومات، ويسمح فقط للمعلومات التي لها علاقةٌ بهذا الموضوع؟ هذا ما يسمى الوعي الانتقائي .

وقال العلماء: هناك حالةٌ أعقد من ذلك، هناك تركيزٌ دائم، قال: إن هذه الأم المرضع تنتبه لصوت بكاء ابنها الرضيع، من بين أشد الأصوات صخباً لا يوقظها إلا صوت ابنها الرضيع، قد يغلق بابٌ، وقد يحدث ضجيجٌ وهي نائمة، لا تستيقظ، فإذا سمعت صوت ابنها الرضيع يبكي، تهبُّ واقفةً، ما تفسير ذلك؟ .

قال: هذه حالةٌ أخرى، اسمها: التركيز الدائم، كل إنسان بحسب معلوماته، السائق أحياناً عنده حساسية للصوت الطارئ بسيارته، ما هذه الحساسية؟ يعني هناك تركيز دائم على بعض المعلومات، هذه الظاهرة اسمها الانتباه، لولاها لما أمكننا أن نفكر تفكيراً صحيحاً سليماً.

ينصرف الطلاب في الصف إلى أستاذهم، والأصوات خارج الصف لا تحتمل، بفضل خاصة الانتباه أنتم تركزون على ما أقول، وهناك أصواتٌ أخرى لا تلقون إليها بالاً، هذه الظاهرة، ظاهرةٌ تأخذ بالألباب .

على عكس ذلك، لو أن إنساناً يعمل في معمل، وهذه الأصوات تحدث فيه تنبيهات مستمرة، لأصبحت حياته جحيماً لا يطاق، لذلك يعتاد صاحب الطاحون متى يستيقظ؟ إذا توقَّفت الطاحون عن الصوت، يستيقظ عند وقوفها، لا عند صوتها .

٢- خاصة الاعتياد :

قالوا: هناك ظاهرةٌ معاكسة هي: الاعتياد، وحتى هذه الساعة لا يعرف العلماء كيفية تثبيط هذه التنبيهات الصوتية، وإخمادها دون أن تصل إلى الدماغ، لا أحد يعرف، هؤلاء الذين يعملون في معامل ذات ضجيج عالٍ، هؤلاء الذين يعملون في المطارات، أو يعملون في الطواحين، أو لهم بيوت على شوارع مزدحمة، كيف ينامون؟ هناك خاصةٌ في الدماغ ثانية تثبط هذه التنبيهات وتخمدها، ولا توصلها إلى الدماغ مركز التنبُّه، وهذه الظاهرة اسمها: **الاعتياد**، تجاهل المنبه بعد مرور فترةٍ معينة على الرغم من استمراره .

كيف تكون الحياة إذا خلت من تلك الخاصتين الموجودتين في الدماغ ؟

أيها الأخوة، لولا هاتان الظاهرتان في الدماغ، لأصبحت حياتنا جحيماً، فإذا قال الله عزَّ وجل:

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾

[سورة إبراهيم الآية: ٣٤]

نعمة الدماغ، نعمة التفكير، نعمة التخيُّل، نعمة التصوّر، نعمة المحاكمة، نعمة التذكُّر، نعمة الإدراك، نعمة الإحساس، نعمة الانتباه، نعمة الاعتياد، هاتان النعمتان من فضل الله علينا أودعهما فينا، ولولاهما لأصبحت حياتنا جحيماً .

02 – المخيخ

إليكم هذه الأعمال التي يقوم بها المخيخ :

أيها الأخوة المؤمنون، موضوعٌ قلما يخطر في بال إنسان، موضوع المخيخ، نسمع من خلال دراستنا، أن هناك مخاً، ومخيخاً، وجذعاً، وعموداً فقارياً .

لو نظرتم إلى المخيخ، لرأيتم كومة من الخيطان، لا يزيد وزنها عن مئة وخمسين غراماً، ولكن لها دوراً خطيراً في حياتنا، إلى درجةٍ تفوق حد التخيل، عرف العلماء وظيفته من خلال بعض التجارب، فسموه: مركز توافق وانسجام حركات البدن، ولا يتداخل المخيخ في الأعمال الذهنية، لأن هذا من اختصاص قشرة المخ .

لو أن الدماغ أعطى أمراً بإدارة قرص الهاتف، أو أعطى أمراً بفتح باب السيارة، أقل من فتح باب السيارة بأربعمئة مرة أعطى الدماغ أمراً بفتح باب السيارة، أو أعطى أمراً بإدارة قرص الهاتف، من الذي يحدد مقدار الجهد الذي يحتاجه هذا العمل؟ إنه المخيخ، كيف أن المهندس المعماري يرسم البناء، وكيف أن المهندس المدني يجرى الحسابات الدقيقة؛ حسابات الإسمنت، وحسابات الحديد، وقطر الدعائم، كذلك المخيخ جهازٌ معقدٌ جداً، يحسب للدماغ أو للمخ الحسابات الدقيقة، لتنفيذ الأعمال التي يأمر بها؟ كما قلت قبل قليل: إن المخيخ هو مركز توافق وانسجام حركات البدن، فأن تقف على قدميك، هذه نعمة .

قال بعض العلماء: إن الوقوف على القدمين حركةٌ بهلوانيةٌ عجيبة، كيف؟ هناك جهازٌ في باطن الأذن، اسمه جهاز التوازن، قنواتٌ ثلاث نصف دائرية، تمثِّل اتجاهات الفراغات، فيها سائل، وفيها جسيمات، تتحسس بحركة السائل، إن الأذن الباطنية فيها جهاز التوازن، وجهاز التوازن يعطي المخيخ وضع الجسم، أهو قائم، أهو مائل، أهو جالس، أهو نائم، من الذي يخبر المخ وضع حالة الجسم؟ إن هذا الجهاز الدقيق، جهاز التوازن في الأذن، يعطي هذا الجهاز المعلومات، وكذلك الأعصاب، والعضلات، والمفاصل، والعظام، تخبر المخيخ بأحوالها وأوضاعها، يأتي المخيخ فيجعل من هذه المعلومات، ومن هذه الحركات كلاً منسجماً، لذلك قال العلماء: إن الوقوف البسيط يعدُّ حركةً بهلوانيةً عجيبة، بدليل أن الميت لا يمكن أن يقف على قدميه، سرعان ما يقع، وقوف الإنسان تسهم فيه مجموعةٌ عجيبةٌ من

الأجهزة، أن تقف على قدميك، وأن تسير، وأن تنحني، وأن تقعد، وأن تقف، وأن تجلس، وأن تميل يمنةً أو يسرةً، هذه أعمالٌ بالغة التعقيد .

كيف يكتشف الطبيب أن هذا المريض مصاب بخلل في المخيخ ؟

أيها الأخوة المؤمنون، لو أننا خربنا جزءاً من المخيخ، لا يزيد عن حبة عدس، في طائر، لسقط الطائر، ولما استطاع أن يطير، لو خربنا جزءاً من المخيخ، لا يزيد عن حبة عدس، لما استطاع الإنسان أن يقف على قدمين، لذلك يعرف الأطباء أن هناك خللا في المخيخ، من طريقة مشي المريض، إنه يباعد بين رجليه، ليوسّع سطح استناده، إن مشية المريض تنبئ بخلل في المخيخ، يقال للمريض في مخيخه: ضع رأس أصبعك على أنفك، لا يستطيع، قال العلماء: هذا اسمه رجفانٌ قصدي، مرضٌ يصيب الإنسان، بسبب خللٍ في مخيخه ، تعطيه فنجان القهوة، فترجف يده باستلامه، إن هناك خللاً في مركز تنسيق التوازن، في حركات الجسم .

يا أيها الأخوة المؤمنون، لو أننا خربنا جزءاً من المخيخ، لاضطربت الرؤية، ولما استطاع الإنسان أن يركز بؤبؤ عينه على سطرٍ يقرؤه، هذا مرضٌ سماه العلماء: الرأرأة، ولو أننا خربنا جزءً من المخيخ، لا يزيد عن حبة عدس، لاضطرب مشي الإنسان، ولأصيب بحالةٍ اسمها الترنُح، يمشي كما يمشي السكران، لو خربنا جزءاً يسيراً من المخيخ، لاضطرب جهاز النطق، ولأصيب المتكلم بالفأفأة، والتأتأة، والحبسة، وما إلى ذلك .

أهمية المخيخ عند الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، آياتٌ كبيرة في داخل الإنسان، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

أن تمشي في الطريق، هل تعرف أن هذه نعمة؟ لو فقدتها لعرفت قيمتها، أن تمشي على قدميك، أن تقف، أن تجلس، أن تنحني، أن تصلي، أن تركع، أن تسجد، أن تقعد القعود الأخير، إن هذه الحركات، حركاتٌ بالغة التعقيد، ولولا المخيخ لما أمكنك أن تقف، ولا أن تجلس، ولا أن تميل، ولا أن تقعد، ولا تضطجع، ولا أن تتكلم، ولا أن تنظر، كل هذه النشاطات الحركية تفقدها، لأن المخيخ مركز تنسيق، وانسجام حركات البدن بشتّى أنواعها، قال تعالى :

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

يا أيها الأخوة المؤمنون، وقد قال بعض العلماء: إن الدماغ أعظم كائن على وجه الأرض، الدماغ مسؤولٌ عن الحركات الذهنية، وعن التفكير، وعن المحاكمة، وأما المخيخ فمسؤولٌ عن الحركات العضلية .

03 – ثبات خلايا الدماغ

ما هي الحكمة الربانية في عدم تبدل خلايا الدماغ في الجسم ؟

أيها الأخوة الكرام، ثبات الشخصية نعمة لا تُقدّر بثمن، وقل من ينتبه إليها، ذلك أن خلايا الجسم، الخلايا العظمية، والنسج، والعضلات، والأجهزة، حتى الشعر، وأيّة خلية في الجسم تتبدل من خمس إلى سبع سنوات، أنت بعد سبع سنوات إنسان آخر، ليس في جسمك خلية واحدة قديمة، كل شيء في الإنسان يتبدّل في سبع سنوات، ليس في جسمك خلية واحدة إلا وهي جديدة، حتى خلايا العظام، عظمك يتبدل، وجلدك يتبدل، شعرك يتبدل، هناك خلايا تتبدل في ثمان وأربعين ساعة، فإذا تبدل دماغك نسيت اختصاصك، ونسيت حرفك، ونسيت معارفك، ونسيت أولادك، ونسيت خبراتك، ونسيت ذكرياتك، ونسيت سبب رزقك، ولا تعرف من هي زوجتك، ولا من هم أولادك؟ فلحكمة بالغة بالغة خلايا الدماغ لا تتبدل، لأنها لو تبدلت لكانت طامة كبرى .

ما الغاية من هذه النعم ؟

أيها الأخوة، هناك نَعمٌ قد نغفل عنها، وهناك نَعمٌ لا تعدُّ ولا تُحصى، نحن عنها غافلون، قال تعالى:

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آَيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾

[سورة يوسف الآية: ١٠٥]

وقال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[سورة يوسف الآية: ١٠٦]

أيها الأخوة الكرام، كلما تفكرت في نِعم الله ازددت حبًّا له، يا رب، أيُّ عبادك أحب إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحبُّ العباد إلي؛ نقي القلب، تقي اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني وأحب من أحبني، وحبَّبني إلي خلقي، قال: يا رب، إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبّبك

إلى خلقك؟ قال: ذكِّرهم بآلائي، ونعمائي، وبلائي، ذكِّرهم بآلائي كي يعظِّموني، وذكِّرهم بنعمائي حتى يحبوني، ذكِّرهم ببلائي كي يخافوني .

أنا أتمنى عليك أن تسعى إلى أن يجتمع في قلبك تعظيم لله، من خلال النظر في آياته، ومحبته من خلال النعم الظاهرة و الباطنة، وخوف منه، من خلال رؤية المصائب التي تصيب الناس، فالمصيبة تجعلك تخاف، والنعمة تجعلك تحب، والآية تجعلك تعظِّم، ولا بد من أنْ تعظِّم، وأن تخاف، وأن تحبَّ .

04 – القشرة المخية

محتويات هذا الموضوع :

أيها الأخوة الأكارم، في الدماغ شيءٌ يسمى: القشرة المخية، سمِّيت كذلك لأنها قشرة فعلاً، لا يزيد سمكها عن مليمترين، هذه القشرة المخية فيها أربعة عشر مليار خلية مرتبةٌ في ستِّ طبقات متواليةٍ، لا يزيد وزنها الكلِّي عن مئة غرام،

أيها الأخوة الأكارم، مما يلفت النظر أن في هذه القشرة أليافاً عصبيةً، طولها يزيد عن ألف كيلو متر، تتحكم هذه الطبقة الرقيقة جداً في أخطر الوظائف، بل هي تحدد سلوك الفرد وميوله، تعينه على النطق والبيان، تعينه على التعلُّم، والحفظ، والتذكُّر، والإبداع، والاختراع، والتدبير، تعينه على الإحساس، والتحرُّك، والسمع، والبصر .

يقدِّر العلماء في هذه القشرة أن فيها من خمسين إلى مئة مركز، هذا الذي عرف حتى الآن؛ مركز السمع، مركز البصر، مركز التذكر، مركز المحاكمة، مركز الحركة .

أيها الأخوة الأكارم، صدق القائل:

أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولخطورة الدماغ، وضع الله بينه وبين الجمجمة سائلاً ليمتصَّ الصدمات

ولخطورة الجمجمة ركِّبت عظامها على شكل مفاصل ثابتة لتمتص الصدمات، الجمجمة لها مفاصل ثابتة على شكل متعرج

وسائلٌ بين الدماغ وبين الجمجمة، وقشرةُ الدماغ يزيد عدد خلاياها عن أربعة عشر مليار، وتزيد خلايا الدماغ عن مئةٍ وأربعين مليار خلية استنادية، لم تعرف وظيفتها بعد .

ما قيل عن الدماغ :

ربما نقول: إن الدماغ هو أعقد ما في الإنسان، بل هو أعقد ما في الكون، وقد قيل: إن الدماغ بإمكانه أن يستوعب من المعلومات بعدد ذرات الكون، وإن أكبر العباقرة، وأكبر المخترعين لم يستخدم من دماغه إلا الجزء اليسير، كم تكون الخسارة عظيمة إذا عطّلنا هذا الدماغ، وأسأنا استخدامه، أو ركضنا وراء شهواتنا؟ فهو أداة معرفة الله عزّ وجل، وهو أداةٌ توصلنا إلى السلامة في الدنيا، والسعادة في الآخرة .

05 – مادة يفرزها الدماغ تعطل الألم

إليكم ما كشفه العلماء حديثاً في الدماغ :

أيها الأخوة المؤمنون، اكتشف العلماء أن في دماغ الإنسان مادةً مخدرة، إذا بلغ الألم حداً لا يطاق، أفرز الدماغ نفسه هذه المادة، فعطلت الإحساس بالألم، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى.
اكتشفوا أيضاً؛ أن هناك بواباتٍ على مجرى الجهاز العصبي تمنع ورود الألم إلى الدماغ، هذه البوابات تتحكم فيها العوامل النفسية، فلو أن إنساناً كان يسعى في مرضات الله، وهو سعيدٌ بهذا السعي، إن الإحساس بالألم لن يصل إلى الدماغ .
هناك حالاتٌ كثيرة وردت في التاريخ، كيف أن صحابياً تقطع يده اليمنى، فيمسك الراية باليسرى، تقطع اليسرى فيمسكها بعضديه، أين الألم؟ .
هذا ما كشفه العلماء حديثاً، أن على طريق الآلام، على طريق السيالة العصبية التي هي من النهايات العصبية إلى النخاع الشوكي، إلى الجسم تحت السرير البصري، إلى قشرة الدماغ، هذا طريق الآلام، هناك بواباتٌ على مداخل هذه الطرق، أحياناً تغلق، فتمنع إيصال الألم إلى الدماغ، وهذه البوابات تتحكم فيها العوامل النفسية، يعني الثقة بالله سبحانه وتعالى، الثقة بالفوز، قد يعطل الإحساس بالألم، وفوق هذا وذاك، إن كان الألم لا يطاق، أفرز الدماغ مادةً مخدرةً تعطل الإحساس بالألم .
أيها الأخوة المؤمنون، يقول تعالى:

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

[سورة يس الآية : ٣٨]

06 – الذاكرة

إليكم حديث الساعة :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا عزَّ وجل:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

ما منا واحدٌ إلا وعنده ذاكرة، والذاكرة لها دورٌ خطيرٌ جداً في حياتنا، واستنبط بعض العلماء من قوله تعالى:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ)

[سورة يس الآية: ٦٧]

كيف ترجع إلى بيتك؟ إنك تعرف مكانه، وكيف عرفت مكانه؟ إن مكانه قد أودع في ذاكرتك، وأنت في محلّك التجاري كيف تأخذ من هذا المكان هذه القطعة، ومن هذا المكان هذه القطعة؟ لأن هذه القطع كلّها مودعةٌ في ذاكرتك، وأنت في مدرستك، حينما تقرأ بعض الكتب ، وتؤدِّي الامتحان، كيف يؤدى هذا الامتحان؟ إن هذه المعلومات قد أودعت في الذاكرة .

تصور أن الإنسان بلا ذاكرة، انتهى وجوده، يستحيل التعلُّم، يستحيل التعليم، يستحيل أن تتكون الخبرات، يستحيل التخيّل، لو أن الإنسان كان بدون ذاكرة، يدخل على المريض ابنه ، لا يعرفه من هو، يجهل مكان بيته، أين البيت؟ قال تعالى:

(وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلَا يَرْجِعُونَ)

[سورة يس الآية: ٦٧]

ما قيل عن الذاكرة :

تقول بعض المقالات العلمية التي تتحدث عن الذاكرة : إن ذاكرة الإنسان إذا عاش ستين عاماً، تختزن من الصور ما يزيد عن مليون مليار معلومة، لو أردنا أن نكتب هذه المعلومات في كتب لاحتاجت إلى تسعين مليون مجلد، تسعين مليون مجلد تختزن المعلومات التي لا نعرف حتى الآن، أين مكانها في الدماغ؟ .

هناك نظرياتٌ جديدة، أن الذاكرة ليس لها مكانٌ في الدماغ، إنها مرتبطة بالحياة النفسية، هذه المعلومات التي تأتي إلى الإنسان، بعضها يخزَّن في مكانٍ قريب يسهل استرجاعه، وبعضها يخزَّن في مكانٍ متوسط، وبعضها يخزَّن في مكانٍ بعيد، وبعضها لا يخزَّن إطلاقاً، فإذا خُزِّنت تتوزَّع بحسب

نوعها؛ هناك ذاكرةٌ للمشمومات، ذاكرةٌ للمبصرات، ذاكرةٌ للوجوه، ذاكرةٌ للألوان، ذاكرةٌ للعطور، ذاكرةٌ للأسماء، هذا شيءٌ دقيقٌ دقيق .

أما إذا أردنا استدعاء شيءٍ، أو أردنا التعرُّف على شيءٍ، فيقول العلماء: إن الذاكرة تسلك طريقة الترميز بوقتٍ لا يصدَّق، أي إذا قدِّم لك عطرٌ تشمه، أنت قد خزِّن في ذاكرتك سبعةٌ وتسعون نوعاً من العطور، إن هذا العطر الذي شممته الآن يمرُّ على هذه الأنواع كلها، إلى أن يأتي التطابق، تقول: هذا العطر اسمه كذا، هذا في المشمومات، وهذا في المطعومات، وهذا في المبصرات، وهذا في الوجوه، وهذا في الأسماء، وفي الأرقام، وفي كل شيء، المعلومات عن الذاكرة متواضعة جداً، ومع ذلك ففيها معلوماتٌ يحتار لها أصحاب العقول .

أيها الأخوة المؤمنون، قال بعض العلماء: الذاكرة قاموسٌ، ومترجمٌ فوري، والشيء الذي يدهش أن الخلية العصبية لا تنقسم ولا تموت، لو أنها انقسمت أو ماتت لفقد الإنسان خبراته كلّها، يقول لك: أنا خبرتي أربعون عاماً في الطب، وأنا خبرتي خمسون عاماً في القانون، وهذا خبرته في الصناعة كذا عام، كل هذه الخبرات تتراكم مع نمو الإنسان، ولو فقد ذاكرته لفقد كل خبراته دفعةً واحدة .

أيها الأخوة المؤمنون، هذه الذاكرة وحدها هي آيةٌ كبرى من آيات الله الدالة على عظمته .

الباب العاشر : الحواس الخمس



01 – غض البصر

02 – غشاء الطبل في الأذن

03 – السمع والبصر والفؤاد

04 – وظيفة العينين والأذنين

05 – حاسة الشم

06 – مركز التذوق في الدماغ

01 – غض البصر

غض البصر :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .
أيها الإخوة ؛ شيءٌ واضحٌ جداً أن ترى أن الذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن ، وكمثلٍ صارخ هذا الغشاء الذي تعرف به الفتاة ما إذا كانت طاهرةً عفيفة ، أو ما إذا كانت زانية ، ليس له أية وظيفةٍ فيزيولوجية إطلاقاً ، إن مهمته اجتماعية ، فالذي حرم الزنا هو الذي خلق هذا الغشاء ، هذه واحدة .
بعض الغدد تلتهب ، وتتضخم عند عدم الزواج ، فكأن الذي خلق هذه الغدة وصممها تصميماً دقيقاً، هو الذي أمر بالزواج ، هذه مقدمات .
الإنسان يأكل في اليوم ثلاث وجبات أو وجبتين فقط ، أما هذا الذي يأكل باستمرار هذا نشأ عنده أمراضٌ لا حصر لها ، لأن أصل هذا الجسم مصمم على أكل وجبتين أو ثلاث ، فمَن أكل أكثر من ذلك تحمل من متاعب مرضية ما لا يعد ولا يحصى ، هذه تمهيدات إلى موضوع الجنس .

أثر النظرة على تبدلات الجسم .

الإنسان حينما ينظر إلى امرأةٍ ، ويعيد النظر ، هذه النظرة شبهها بعض الأطباء كالضغط على زناد السلاح ، ضُغِطَ على الزناد ، الآن ستجري مجموعة أعمال ، من هذه التبدلات سوف تنطلق هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم ، هذه الهرمونات الجنسية تبدِّل ضربات القلب ، وتوسِّع الأوردة المُحيطية ، وتضيِّق الشرايين المتوسطة والصغيرة ، وترفع ضغط الدم ، هذه الهرمونات الجنسية تصل إلى البروستاتة ، فيغلق طريق البول ، ويفتح طريق الخصيتين ، وتنطلق مادةٌ مطهّرة ، ومادةٌ معطرة ، ومادةٌ مغذّية هذا هو المذي ، ثم يجري في تبدلٌ في كيمياء الدم ، وهناك تغيرات لا مجال إلى ذكرها على هذا المنبر ، يعني حينما يطلق الإنسان بصره النظرة تلو النظرة ، تجري في جسمه تفاعلاتٌ معقدةٌ جداً ، أحدها تبدُّل ضربات القلب ، ثانيها ارتفاع الضغط
ثالثها توسع الأوردة المحيطية ، رابعها تضيّق الشرايين المتوسطة والصغيرة ، خامسها تبدل في كيمياء الدم ، سادسها شيء متعلق بالبروستاتة ، من أجل أن تتم هذه العملية ويتم اللقاء الزوجي ، ويحافَظ على النوع البشري ، هذا أصل التصميم .
إلى هنا الأمر طبيعي جداً .

أما حينما يطلق الإنسان بصره طول النهار، ما الذي يحصل ؟ قال : يحصل أن هناك هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم باستمرار ، كمن يأكل باستمرار ، فالذي يطلق بصره باستمرار عنده هرموناتٌ تجوب أنحاء جسمه عبر الأوعية الدموية .

الآن يقول الله عزَّ وجل :

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ)

[سورة النور الآية : ٣٠]

ماذا يفعل السهم المسموم في الجسم :

العلماء قالوا : أزكى أي أطهر ، ويمكن أن يكون المعنى أنفع وأطيب ، إما أن يكون أزكى لهم الطهر من الذنوب ، أو الوقاية من الأمراض والعيوب . فعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام :

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس ، من تركها من خوف الله تعالى، أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

وفي روايةٍ أخرى :

((النظر سهمٌ مسمومٌ من سهام الشيطان ، من تركها مخافتي ، أعقبته عليها إيماناً يجد حلاوته في قلبه))

أيها الإخوة ؛ السهم إذا دخل في الجسم خطرٌ جداً ، أما إذا كان مسموماً خطرٌ جداً ، فهذا السم يسري إلى كل أنحاء الجسم ، أما إذا كان سهماً فقط قد يتلف مكاناً معيَّناً ، أما حينما يكون السهم مسموماً يسري السم إلى كل أنحاء الجسم .

النبي قبل أربعة عشر قرناً عليه الصلاة والسلام بين مخاطر النظرة التي تتبع النظرة ، فالنظرة بمثابة ضغطٍ على الزناد ، الذي تبدأ بسببه سلسلةٌ من التفاعُلات ، والإفرازات الهرمونية الجنسية المعقدة ، التي لها تأثيراتها على كل عضوٍ بل على كل خلية ، والتي تهيئ الجسم لعملية الاتصال الجنسي ، لتؤدي مهمتها في استمرار النسل ، كل هذا يجب أن يتم في وقتٍ محددٍ ، أما إذا استمر انطلاق هذه الهرمونات في الجسم من دون تفريغٍ لهذه الشحنة ، هذه تؤدي إلى مضاعفاتٍ خطيرةٍ في الجسم .

علاقة النظر بالهرمونات :

أيها الإخوة الكرام ؛ عثرت في موقعٍ معلوماتي على موقعٍ علمي يعبِّر عن خلاصة بحثٍ مضى على البدء به عشرون عاماً ، وتوصَّل هذا البحث إلى هذه النتائج :

هذه الهرمونات التي تجري وتجول في جسم الإنسان طول النهار ، لأن طول النهار يطلق بصره في الحرام ، حتى إذا كان في مكتبٍ هناك امرأةٌ تعمل في المكتب ، وهناك عريٌ ، وهناك تفلتٌ ، وهناك إبراز مفاتن ، وهناك خلوةٌ ، وهناك حديثٌ جنسيٌ ، وهناك مجلةٌ .. إلخ .

أيها الإخوة ؛ النبي الكريم لا ينطق عن الهوى ، نهى عن إتباع النظرة النظرةَ ، نهى عن تبرُّج النساء، نهى عن تعطُّر المرأة إذا خرجت من بيتها ، نهى عن الخلوة بالأجنبية ، نهى عن المصافحة ، نهى أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها ، هذا كله من أجل الوقاية من أمراض لا تعد ولا تحصى .

الهرمونات سموم :

الآن إلى التفصيلات :

أيها الإخوة ؛ كيف أن الأفعى إذا لدغت إنسان قد تميته ، السبب العلمي أن هذا السم يوسع الأوعية إلى درجة غير مقبولة ، فيهبط الضغط ، فيموت الإنسان ، الآن يؤخذ من سم الأفعى دواء فعَّال جداً لتوسيع الشرايين والأوردة ، إذاً حينما تتوسع الأوردة والشرايين توسُّعاً غير مقبول هذا قد يؤدي إلى الموت ، هذه الهرمونات سمَّاها الباحث (سموماً) ، السم بقدرٍ محدودٍ منه جيد ، أما بقدرٍ واسع خطير .

ما الذي يحدث ؟ أول ظاهرة أنه تظهر رائحةٌ كريهةٌ جداً في الإبطين والقدمين ، من أثر دورة هذه السموم طول النهار ، الأصل وجبة طعام ، لها وقت محدد ، أما مادام في إطلاق بصر ، ومجلاَّت ، ومشاهد ، وأفلام ، وسكيرتيرات ، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات ، وخلوةٌ بالأجنبيات ، وحديثٌ جنسي ، هذا يؤدِّي إلى دورة هذه الهرمونات التي هي سموم طوال النهار .

نتائج الإدمان على النظر :

أعراض مرضية

أول ظاهرة : ظهور رائحةٍ كريهةٍ في الإبطين والقدمين ، توسع فتحات الغدد العرقية والدهنية في الكعبين وأسفل القدمين وفي المؤخرة ، وهذا يسبب بعض البواسير ، توسع الفتحتات الدهنية في الوجه ، وهذا يسبب حَب الشباب من دورة الهرمونات ، دوران هذه الهرمونات الجنسية ، وهي بمثابة السموم ، ولا سيما عند تهيجها لحدٍ أكثر من المتوسط يسبب داء الشقيقة ، أو الصداع النصفي الذي لم تعرف له أسبابٌ حتى اليوم فيما غير هذه الدراسة .

١- آلام المفاصل .

أما الشيء الكبير آلامٌ في المفاصل عامة ً، وفي المفاصل الكبيرة خاصةً ، مفصل الركبة ومفصل الورك ، يبدو أن هذه الهرمونات تقلل من لزوجة السائل الذي بين العظام ، وهذا يدعو إلى جفاف هذا السائل ، ثم إلى احتكاك العظام ، ثم إلى آلامٍ مفصليةٍ لا تحتمل .

مفصل الركبة مثلاً ، ومفصل الورك بسبب جفاف السائل ، وفي المجتمعات الغربية ، وفي سنٍ مبكرة يعانون من هذه الظاهرة ، بسبب دوران هذه السموم في الجسم طوال النهار ، هناك موظفان في سيرك في بريطانيا ، في الثلاثين أصيبا بحالاتٍ حادةٍ في مفاصلهما ، وليس هناك سبب مقنع إلا الإثارة الجنسية المستمرة .

٢- آثار النظر على القلب والأوعية .

أما في مجال القلب والأوعية : هبوطٌ في ضربات القلب أو تسرعٌ بها، بطءٌ في الدوران ، جلطةٌ وريدية محتملة ، وهذا منتشر في المجتمعات المتفلتة ، في الشرايين ؛ تتوسع الشرايين توسعاً مستمراً ، مما يفقدها مرونتها ، وعندئذٍ ومع تبدُّل كيمياء الدم يؤدي هذا إلى تصلب الشرايين ، وهو مرض العصر الأول ، المرض المميت الأول تصلب الشرايين .

٣- خطر الجلطة الدهنية .

أيها الإخوة الكرام ؛ ثم إن هذه السموم التي تجوب في أنحاء الجسم ، تسبب جلطة دهنية ، إذا ترسَّبت في مكان معين أورثت عمىً ، أو كساحاً ، أو شللاً ، أو جنوناً ، أو فقد ذاكرةٍ إلى ما هنالك، وهذه السموم إذا دارت طوال النهار في الجسم ، تسبب ثقلاً في اللسان ، وصعوبة في حركة اللسان داخل الفم ، كما إنها تسبب إمساكاً ، وهناك خمسون مرضا ينتج عن الإمساك من دورة هذه السموم طوال النهار . هذا الذي يطلق بصره طوال النهار في الحسناوات ، وفي الغاديات الرائحات ، ويتابع المسلسلات ، ويقرأ المجلات ، ويجلس جلساتٍ لا ترضي الله ، هذه كلها أعراضٌ تصيبه .

٤- حصى المرارة .

ثم إن هناك بعض النتائج في حصى المرارة ، هذا أيضاً من نتائج دورة هذه السموم ، وأيضاً في بعض الحالات التي تزداد عن الحد المعقول يكون هناك تضخم للبروستاتة كبير جداً .

أيها الإخوة الكرام ؛ هذه نتائج بحث طبيبٍ في مؤسسةٍ علميةٍ في دولةٍ عربيةٍ ، وجدتها في موقع معلوماتي ، ولكن هذا مصداق قول النبي عليه الصلاة والسلام :

((النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس ، فمن تركها مخافة الله عز وجل أورثه الله حلاوته في قلبه إلى يوم يلقاه))

[من الجامع لأحكام القرآن]

إن توجيه النبي عليه الصلاة والسلام ليس من عنده ..

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

[سورة النجم الآية : ٣-٤]

إنّ ربّك حكيم عليم

أيها الإخوة ؛ مستحيل أن يشرِّع الله شيئاً أو أن يحرم شيئاً إلا وله نتائج مذهلة ، عرفها من عرفها ، وجهلها مَن جهلها ، نحن كمؤمنين نطبق أمر الله من دون أن نعلق التطبيق على فهم الحكمة ، لكن حينما تكشف لنا الحكمة يزداد إيماننا بعظمة هذا التشريع ، قال تعالى :

(لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ)

[سورة الفتح الآية : ٤]

ماذا عن غشاء الطبل ؟

١- الوصف الدقيق لهذا الغشاء وأهميته للإنسان :

يا أيها الأخوة الأكارم، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

هناك آياتٌ لا تعدُّ ولا تحصى بين جوانح الإنسان منها: غشاء الطبل، وكلُّ واحدٌ منكم يستمع لهذه الخطبة لأن غشاء طبله يعمل بانتظام .

غشاء الطبل غشاءٌ رقيق، لا يزيد سماكته عن نصف ميليمتر، ولا يزيد قطره عن تسع ميليمترات، أي أقل من سنتيمتر، متينٌ كالصُلب، مرنٌ كالمطاط، حيويٌ جداً لنقل الأصوات .

لو تعطَّل هذا الغشاء فَقَدَ الإنسان سمعه، لذلك جهَّزه الله عزَّ وجل بما يحفظه من التلف ، جعله في آخر قناةٍ منحنيةٍ، أضيق من خنصر الإنسان، لئلا يعبث به الصغير فيخرقه .

جعل الله الأذن الوسطى موصولةً بقناةٍ إلى البلعوم، فإذا جاء ضغطٌ كبيرٌ كافٍ لخرقه، جاء الضغط المقابل من الفم، فتوازن الضغطان، وسلم غشاء الطبل من التمزُّق، لأن الأصوات الشديدة من شأنها أن تمزق غشاء الطبل .

٢- طريقة صيانته :

طريقة صيانته طريقةٌ عجيبة: أن هذا الغشاء مفتوحٌ على الأذن، ومفتوحٌ من الطرف المقابل على البلعوم، فإذا جاء الضغط ، فالهواء من الجهتين ضغط على الغشاء ضغطاً متكافئاً ، فسلَّمه من العطب .

٣- وظيفة العظيمات الموجودة في هذا الغشاء :

هذا الغشاء مربوط بأربع عظيمات لا يزيد وزنها عن خمسة وخمسين ميلي غرام، ولا يزيد طولها مجتمعةً عن تسعة عشر ميليمتراً، هذه العظيمات لها وظيفةٌ رائعةٌ جداً، إنَّها تكبِّر الأصوات الضعيفة إلى عشرة أمثال، بل إلى عشرين مثل، تخفِّض الأصوات الضخمة المؤذية ، إنها جهازٌ واحد يعمل على تكبير الصوت، وعلى خفض الصوت، وهذا فوق طاقة البشر، جهازٌ واحد يعمل على رفع مستوى الصوت، وعلى خفضه، هذا من الآيات الدّالّة على عظمة الله .

٤- قياس وحدة الأصوات:

إن قياس وحدة الأصوات هي الديسبل، وهناك آليةٌ عصبيةٌ معقدةٌ جداً تخفض الأصوات التي تزيد عن ديسبل، والتي من شأنها أن تؤذي الأذن، وإذا كان الصوت ضعيفاً جداً، وقلت للمتحدِّث: أعد ما سمعت، فإن بعض حركات الوجه تؤثِّر على عصبٍ مشتركٍ بين الوجه وبين عضلةٍ متعلقةٍ بعظم الركاب، من شأنها أن تزيد حساسية الأذن، فحينما تتغيَّر ملامح وجهك، حينما لا تسمع الكلام، هناك آليةٌ معقدةٌ جداً تنقل الصوت عبر العصب السمعي إلى عضلةٍ تضاعف حساسية الأذن، حينما تفعل هكذا، أو تحرك عضلات وجهك حركةً تدلُّ على أنك لم تسمع، عندئذٍ تزداد حساسية الأذن .

٥- ميزة الصوت :

أيها الأخوة الأكارم، الصوت اهتزازٌ ينتقل عبر وسطٍ مرن، والوسط المرن هو الهواء لكنَّ الوسط المرن القاسي الصُلب، ينقل الصوت بسرعةٍ أشد، والوسط السائل ينقله بسرعةٍ أشد، لذلك ينتقل الصوت إلى غشاء الطبل عبر الهواء من غشاء الطبل، وثم ينتقل الصوت من غشاء الطبل عبر أربع عظام، ثم في قناةٍ قوامها سائل، فالصوت ينتقل عبر الهواء تارةً، وبعد غشاء الطبل عبر أجسامٍ صلبة، وبعد الأجسام الصلبة عبر قناةٍ فيها سائل .

هناك خمسةٌ وعشرون ألف خلية سمعية تلتقط السمع إلى الدماغ، كي تدرك، وحتى هذه الساعة لم يستطع العلماء أن يكتشفوا، كيف لم يستطع تفريق الأذن بين النغم وبين الضجيج؟.

لماذا حينما تنسحق قطعة زجاج تحت الباب، تشعر أنك تحب أن تخرج من جلدك، ولماذا إذا وقفت أمام شلالٍ ذي صوتٍ صاخب تأنس به؟ هذا ضجيج، وهذا نغم، كيف تفرِّق بين النغم والضجيج؟ وكيف أن هذه الأذن تلتقط مئات ألوف الأصوات، ولكل صوتٍ نبرةٌ خاصّة تسجَّل في الذاكرة؟ كيف تقول لفلان: أنت فلان عبر الهاتف؟ ما هذه الحساسية في الأذن التي تخزن لك في الذاكرة مئات بل ألوف الأصوات الخاصة؟ ما زالت الأذن سراً من أسرار الله عزَّ وجل .

أيها الأخوة، الذي أقوله من على هذا المنبر، أشياء بسيطة جداً مختصرة، لأن المنبر لا يحتمل تفصيلات دقيقة، لكن لو اطلعتم على ما في هذه الأذن من عجائب لسجدتم لله عزَّ وجل تعظيماً له.

03 – السمع والبصر والفؤاد

لم قدم السمع في الآية على البصر ؟

أيها الأخوة المؤمنون، إن الذي يؤكد لك أن هذا القرآن من عند الله، هو أن هناك تطابقاً عجيباً، وأبدياً، وسرمدياً، بين ما جاء في القرآن، وبين ما جاء في معطيات العلم، فمن آيات الله الدالة على عظمته، ومن تطابق القرآن مع خلق الإنسان، قوله سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾

[سورة الإنسان الآية: ٢]

في كلام الله، دقةٌ بالغةٌ في الصياغة، ما دام سميعاً بصيراً، لِمَ قدَّم السمع على البصر؟، قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾

[سورة الأنعام الآية: ٤٦]

هناك حكمتان، قال بعض العلماء: السمع أخطر لحياة الإنسان من البصر، لأن الإنسان بالسمع، يتلقَّى الأصوات من الجهات الست؛ عن يمينه، وعن شماله، ومن أمامه، ومن ورائه، ومن فوقه، ومن تحته، في الظلام والنور، في الليل والنهار، على الرغم من الحواجز الكتيمة يصل السمع إلى أذنه، فكأن السمع يغطي البيت كله، إن كنت نائماً تسمع حركةً في غرفة الضيوف تنتقل إليها، أما عينك لا تريك إلا أطراف غرفة النوم، إذا كنت تقود سيارةً، لا ترى إلا الذي أمامك، أما إذا كان هناك خللٌ في المحرك، أو خللٌ في العجلات، يصل الصوت إلى أذنك، فتقف في الوقت المناسب، هذا بعض توجيهات العلماء، في أن السمع أخطر للإنسان من البصر.

لم اختير السمع وحده في هذه الآية، وما هي وظيفتا السمع والبصر ؟

أيها الأخوة، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك الآية: ١٠]

لماذا اختار الله سبحانه وتعالى السمع وحده؟ لأنه من كان أصماً، كان أبكماً، هذه حقيقة، الذي لا يسمع، لا ينطق، والذي لا يسمع ولا ينطق متخلفٌ عقلياً، يصنف مع المعوقين عقلياً مع البله، كم

من الذين فقدوا بصرهم، كانوا قمةً في العلم والأدب، كانوا أعلاماً؟ ولكن الذي لا يسمع لا ينطق ولا يفهم، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

[سورة الملك الآية: ١٠]

هذه بعض التوجيهات، مع أن دقة خلق السمع، كدقة خلق البصر، لقوله تعالى:

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

[سورة الملك الآية: ٣]

تنتج بعض الشركات بضاعةً من الدرجة الثانية، يقال لها: بضاعةٌ تجارية، وقد تنتج بضاعةً من الدرجة الأولى، هذه لها أسعار خاصة، لكن صنع الله سبحانه وتعالى لا تفاوت فيه، كله متقنٌ، كله متقنٌ إلى درجةٍ مطلقة، لكن للسمع وظائف، وللبصر وظائف، بالسمع؛ تسمع الحق، وتعقل الحقائق، وبالبصر؛ تشاهد الجماليات، تشاهد الأشياء، تشاهد أشكالها، ألوانها، حجومها، صفاتها، لكنك بالسمع تدرك حقائقها .

في أي شهر يبصر الجنين ، وفي أي شهر يسمع ؟

اكتشف العلماء أن الجنين في بطن أمه، في اليوم الثاني والعشرين، من تلقيح البويضة، تتوضَّح أماكن السمع والبصر، ولكن الطفل لا يرى إلا بعد الشهر الثالث منذ الولادة، وإلى الشهر الثالث لا يتأثر إلا بالضوء فقط، ولكن لا يرى الشيء فيسعى إليه إلا بعد الشهر الثالث، ولا يرى الأشياء ملونةً إلا بعد الشهر الرابع من ولادته، ولكنه في الأسبوع السادس والعشرين من الحياة الجنينية، أي في الشهر السادس والنصف، وهو في الرحم، يستمع إلى الأصوات، وهو في بطن أمه، وهو في الرحم، يسمع دقات قلب الأم، ويسمع حفيف المشيمة، ويسمع قرقرة الأمعاء، وقد أجرى بعض العلماء تجارب، سجلوا أصوات ضربات القلب، وحفيف المشيمة، وقرقرات الأمعاء ، وأسمعوها للطفل بعد الولادة، كان يبكي فسكت لمجرد سماعها .

ما هي الآية التي استثناها العلماء في تقديم البصر على السمع ، ولماذا ؟

هذا الذي ذكره العلماء، من أن الله قدم السمع على البصر في سبعة عشر آيةً في كتاب الله تقديم أهميةٍ، وتقديم سبقٍ في الخلق، إلا في آية واحدة، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾

[سورة السجدة الآية: ١٢]

قال العلماء: لأن سرعة انتقال الصورة، تزيد عن سرعة انتقال الصوت، فالصورة تنتقل بسرعة ثلاثمئة ألف كيلو متر في الثانية، أما الصوت، لا ينتقل إلا بسرعة ثلاثمئة وثلاثين متراً في الثانية.

ما دام الإنشاء، أنشأ لكم السمع والأبصار، ما دام الفعل إنشاء، أما ما دام الفعل إبصاراً ، فالصور تراها العين قبل الصوت، وأصدق شاهدٍ على ذلك، هزيم الرعد، ترى البرق، وبعد حينٍ تستمع إلى الرعد، لو رأيت حجاراً من بعيد ينحت حجراً، تراه قد هوى بالمطرقة على الحجر، وبعد حينٍ تسمع صوت وقع المطرقة على الحجر إلا في آيةٍ واحدة، قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾

[سورة السجدة الآية: ١٢]

04 – وظيفة العينين والأذنين

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ* قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

أيها الإخوة الكرام ... الله جلَّ جلاله هو الذي خلقنا ، إذاً هو الذي يستحق أن نعبده وأن لا نعبد سواه ..

" إني والإنس والجن في نبأ عظيم ، أخلق ويُعْبَدُ غيري ، أرزق ويُشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل وشرُّهم إليّ صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغّضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيءٍ إليّ، من أقبل عليَّ منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودَّتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أُقَنِّطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأَطِّهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد والسيِّئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدِها "..

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾

إذاً هو الذي يستحق أن تعبدوه و تحبوه و تخلِصوا له و تطيعوه ، و هو الذي يستحق أن تعلقــوا عليه الآمال ، و هو الذي يستحق أن تتوكلوا عليه ..

أنشأكم وشَقَّ لكم الطريق إليه بأن أعطاكم قدرةً تَعَرُّفية (إدراكيّة) من أجل أن تعرفوه و هـــذه القوة الإدراكية هي السمع والبصر والفكر .

الأذن :

أيها الإخوة الكرام ... إن حاسة السمع من أدقِّ الحواس ، وحتى هذه اللحظة لا نعرف كيف يستطيع الإنسان أن يفرق بين النغم والضجيج ، فكلاهما صوت ، و كلاهما موجاتٌ صوتية و تبدلاتٌ في الوسط المَرِن الذي هو الهواء ، فلولا الهواء لما كان هناك صوت .. و روّاد الفضاء وهم على سطح القمر يتخاطبون باللاسلكي ، فليس هناك صوت بسبب عدم وجود الهواء على سطح القمر ، فمن خلق الهواء ؟ إن هذا الوسط المرن إذا أحدثت فيه اضطراباً انتقل هذا الاضطراب إلى أذنك ؟ ومن نعم الله علينا أن هذا الاضطراب يتخامَد ، ولولا أنه يتخامد لسمعت هنا في الشام كل أصوات الأرض ، كل هَيَجان البحار ، كل ضجيج المعامل ، كل أصوات الرعود في الأرض ، فلولا أنَّ الموجة الصوتية تتخامد لكانت حياتنا جحيماً لا يطاق ، وقد جعل الله الصوت ينشأ عن إحداث اضطراب في هذا الوسط المرن ، فإنك إذا ألقيت حجراً في ماءٍ راكد رأيت أنَّ حلقاتٍ تتباعد ، فقد حدث اضطراباً في هذا الوسط المرن فانتقلت أمواج الماء متنامية .. كذلك الصوت في الهواء ، فمن الذي خلق هذين الصيوانين بتعاريجهما واتجاه سطوحهما ، واختلاف أشكالهما ، إنهما المسؤولان عن التقاط الصوت من كل الجهات ، و هذا الصيوان من أبدع ما صنع الله عزَّ وجل ، فحينما يلتقط هذا الصيوان الأصوات من كل الجهات يسوقها إلى قناة الأذن حيث تصطدم بغشاء الطبل و هذا الغشاء المرن –غشاء الطبل – ترتبطٌ به عُظيمات السمع ، و عظيمات السمع تكبِّر الصوت عشرين مرَّة ، فإذا كان الصوت فوق الحد المعقول تخفَّضه عشرين مرَّة و نحن لا نعلم في عالم الآلات آلةً واحدة تكبّر وتخفّض في آنٍ واحد ، ثم ينتقل هذا الصوت في دهاليز حلزونية فيها أربعون ألف قوس سمعي ، هذه الأقواس مرتبطة بالعصب السمعي ، إلى أن تصل إلى القنوات وإلى الأذن الداخلية وعندئذٍ يقف العلم عاجزاً عن فهم كيف أننا نَطْرَبُ للنغم ونضجر من الضجيج وكلاهما صوت .

ثمَّ إنّ هذه الأذن تنقل هذا الإدراك إلى الدماغ ، والدماغ يفسِّر ويدرك ، و هناك ذاكرةً سمعية ، فهذه الأذن هي الحاسَّة الأولى التي نعتمد عليها في الليل، فالإنسان يرى بعينه إلى أن يأتي حاجز يمنع الرؤية ، فإذا كنت في غرفة فإنك ترى ما في الغرفة ، و إذا كنت قابعاً في البيت فإن أذنك تُغَطِّي كل البيت ، فأي حركةٍ وقعت في غرفةٍ أخرى أو خارج البيت تصل إلى أذنك ، فأنت

بالعين تغطي المكان الذي أنت فيه ، و بالأذن تغطي المكان الأوسع ولو كان هناك حواجز تمنع وصل الصورة ..

أيها الإخوة الكرام ...

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾

(سورة القصص)

جعل الله السمع الحاسَّة الأولى في الليل ..

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

(سورة القصص)

فهذه الأذن تتلقف فيها الأصوات ، فلو فرضنا إنساناً يقبع في بيت و عينه تغطِّي غرفة الجلوس ، وأذنه تغطي كل البيت بالأصوات ، فلو أنَّ حشرةً ماتت وتفسَّخت لما كشفتها العين ولا سمعتها الأذن فما الذي يكشفها ؟ إنها حاسَّة الشم ، فأنت بهذه الحواس تتصل مع العالم الخارجي ، و من أجل التوافق والتكيّف مع المحيط جعل الله لك السمع والبصر ، ولكن السمع له هدف أكبر وأجلّ و هو أن تستمع إلى الحق ، فاللغة أرقى أداة اتصال بين أفراد النوع ، فإذا كان هناك إنسان يتكلَّم ومجموعٌ كبير يُصغي ، فهناك اتصال بينه وبينهم وهذا الاتصال أداته اللغة ، واللغة مقاطع صوتية يعبَّر بمقتضاها عن الفكر وعن الشعور ، قال ربنا عزَّ وجل عن اللغة :

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

(الرحمن سورة)

فالبيان من أخصِّ خصائص الإنسان ، فبالبيان تفهم الكلام المسموع، وبالكلام تفهم النصَّ المقروء، وبالكلام تعبِّر عن أفكارك وعن مشاعرك مشافهةً ، وبالبيان تعبَّر عن أفكارك ومشاعرك كتابةً ، فهناك أربعة نشاطات ؛ قراءةٌ وسماع ، وكتابةٌ ونُطْق ، أما بالكتابة تنتقل المعارف من جيلٍ إلى جيل ، وبالترجمة من أمةٍ إلى أمة ، فمعارف البشر متراكمة ، لذلك قال بعضهم: " ثقافة أية أمّة هي بمثابة عسلٍ استخلِص من زهرات مختلف الشعوب على مرِّ الأجيال " . فبالترجمة و اللغة تنتقل المعارف من جيل إلى جيل ومن أمَّة إلى أمّة فإذا معارف البشر متراكمة .

إذاً هذه الأذن أداة السمع ، أداة سماع الحق ، أداة سماع الخبر الصادق ، أداة سماع الوحي ..

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾

(سورة الملك)

العين :

أما العين فقد حارَ فيها الأطباء ، فالعين فيها قرنية ، والقرنية غلاف شفاف سَمَّاه الأطباء (غلافاً نبيلاً) ، بمعنى أن الغلاف النبيل لا تعترضه أوعيةٌ دموية ، فلو أن القرنية تتغذى كبقية خلايا الجسم لرأيت الأشياء من وراء شبكة ولكانت الرؤية غير صحيحة (مغبَّشة) ، فلا بدَّ من شبكة أوعيةٍ تغذي القرنية ، لكن و لأن القرنية يجب أن تكون شفافةً مائة في المائة فإن الله قد جعل خلايا القرنية من النوع النبيل ، فكل خليةٍ تأخذ الغذاء إلى أختها دون أن تُمَدد أوعيةٌ بين الخلايا ، هذا بالنسبة للقرنية ، بعدئذٍ تأتي القُزحية ، وتأتي العدسة المرنة التي حار فيها الأطباء ، لأن الشبكية هي المِحرق (محرق العدسة) ، والشبكية ثابتة والمسافة ثابتة فكيف تقع الأشياء بحركتها العشوائية على الشبكية ؟ فلا بدَّ من تحريك المِحرق أو لا بدَّ من تغيير شكل العدسة ، ففي العين العدسة يتغير شكلها من احتدابٍ شديد إلى احتدابٍ قليل ، فمن الذي يُعطي الأمر أن يزداد الاحتداب واحد بالألف من المكرون كي يقع الخيال على الشبكية أثناء مشاهدتك لكرة تتحرّك في ملعب أو سيارةً تنتطق من مكانٍ إلى آخر؟ وهذا ما يسميه العلماء (المطابقة) وهي شيءٌ تُحار به العقول ، فشبكية العين مؤلفةٌ من عشر طبقات : الطبقة الأخيرة فيها مائة وثلاثين مليون مخروط وعُصيّة ، هذه المخاريط والعصيّات تنتهي إلى العصب البصري الذي هو تسعمائة ألف عصب ينتقل إلى الدماغ كي تُقْرأ الصورة .

أيها الإخوة الكرام ... العين من آيات الله الدالة على عظمته ، فبالعين ترى الشيء بحجمه الحقيقي، وبألوانه الطبيعية ، وأوضح دليل على ذلك : أنك إذا نظرت إلى مائة رجل ترى كل واحدٍ بلون ، أما لو صوَّرتهم بأرقى الأفلام تراهم جميعاً بلونٍ واحد ، فالعين البشرية عندها القدرة على التمييز بين درجتين من ثمانمائة ألف درجة للون الواحد ، العين السليمة تميز بين درجتين من ثمانمائة ألف درجة للون الواحد ، فترى الأشياء بحجمها الحقيقي وبألوانها الدقيقة ، وتراها مباشرةً من دون وقتٍ لإظهار الصورة .

أيها الإخوة الكرام ... هذه آيةٌ من آيات الله الدالة على عظمته ، فالعين تميز بين درجتين من ثمانمائة ألف درجة للون الواحد ، والشيء الذي يُحير العقول هو : لماذا جعل الله للإنسان عينين وجعل له أذنين ؟ لأن الله عزَّ وجل لو خلق لك أذناً واحدة لما عرفت جهة الصوت ، فلو كنت بأذن واحدة و سمعت بوق سيارة من خلف فتقترب منها وأنت تحاول الابتعاد عنها فتدهسك ، لكن هناك جهازاً في الدماغ يحسب تفاضل وصول الصوتين إلى الأذنين والتفاضل بين الصوتين يقدَّر بواحد على ألف وستمائة وعشرين جزء من الثانية ، والدماغ يعرف عن طريق التفاضل

جهة الصوت فيعطي أمراً إلى العضلات للتحرك بعكس جهة الصوت ، فأنت بالأذنين تعرف مصدر الصوت ، وبالعينين تدرك البعد الثالث ، وبعينٍ واحدة ترى الأشياء مُسَطَّحة ، و إنك لن تستطيع بعينٍ واحدة أن تضع الخيط في الإبرة (في سمِّ الخِياط) ، قد تحاول هذا ولكنك لن تستطيع بسبب وجود عشرة سانتي بينهما، أما بالعينين فإنك ترى العمق ، ترى البعد الثالث ، فإن الصورة التي تراها العين الأولى تنطبع في مكان في الدماغ ، وصورة العين الثانية تنطبع في مكان منزلق عنه ، و هذا الانزلاق يشكِّل البعد الثالث ، فأنت ترى الطول والعرض والعمق بالعينين ..

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾

(سورة البلد)

أن تُعْتِق رقبتك من أسر الشهوة ، أن تتحرَّر من الشهوات ، قال عليه الصلاة والسلام :

"تعس عبد الدرهم والدينار ، تعس عبد البطن ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الفرج. "

فإذا تحرَّرت من أسر الشهوات انطلقت إلى رب الأرض والسماوات ، إذاً أشياء كثيرة يمكن أن تُقال عن العين ، ربنا عزَّ وجل يقول :

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾

فهو الذي خلق الأذن لا يسمعك ؟ هو الذي خلق العينين لا يراك ؟

﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

(سورة البلد)

أي هذا الذي خلق العينين يراك ، وهذا الذي خلق لك الأذنين يسمعك ، ويسمع صوت نفسك ، يسمع خواطرك ، يسمع ما تدور به أفكارك ، أنت أمام الله مكشوف ..

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴾

(" سورة الملك : آية " ٢٤)

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾

05 – حاسة الشم

إليكم الحديث عن أنف الإنسان من حيث: الخلايا العصبية ومساحتها، الأهداب وخصائصها :

أيها الأخوة الأكارم، من منا يصدق أن في الأنف عشرين مليون خلية عصبية مخصصة لحاسة الشم، تتركَّز هذه الخلايا العصبية، وتتمركز في القرن العلوي للأنف، بمساحة لا تزيد عن مئتين وخمسين مليمتر مربع .

هذه الخلايا العصبية التي تعدُّ عشرين مليوناً، لها أهداب لا تقل عن سبعة أهداب، هذه الأهداب عليها سائل مخاطي، فيه مواد دهنية مذيبة تتفاعل مع الرائحة تفاعلاً كيميائياً، فينتج عن هذا التفاعل شكل هندسي متميِّز، يتشكل تبعاً لطبيعة الرائحة، فرائحة الزهور: الشكل الهندسي الناتج عن تفاعلها مع أهداب خلايا الشم شكل مفتاح، ورائحة الإيثير على شكل مستطيل، أو على شكل حوض سباحة، وهكذا كل تفاعل بين الرائحة، وبين الأهداب الشمِّية ذات الخاصة المذيبة، والتي تتفاعل مع الرائحة تفاعلاً كيماوياً يُنْتِجُ شكلاً الهندسي، يرسل إشارةً عن طريق العصب الشمِّي الذي يتوضَّع في الوجه إلى مركز الشم في الدماغ .

يستطيع الدماغ أن يميِّز بين عشرة آلاف رائحة، لأن في الدماغ ذاكرة شمية، فإذا شمَّ رائحةً تفاعلت مع أهداب الشم، وشكَّلت شكلاً هندسياً، أرسل إشارة إلى الدماغ، الدماغ عنده عشرة آلاف رائحة يمررها على كلِّ رائحة، إلى أن تتطابق هذه مع تلك، يقول: هذا الياسمين ، أو هذا الفُل، أو هذا الزنبق .. إلخ، فكيف يعرف الإنسان الرائحة؟ لها شكل، وهذا الشكل يعرض على كل الروائح في الدماغ ، وهذا يتم في لمح البصر .

خصائص الأهداب :

أيها الأخوة الأكارم، يقول العلماء: إن في هذه الأهداب خصائص عجيبة: إنها تستطيع استشعار رائحة بتركيزٍ قليلٍ جداً، نصف بالمليون من الميلي غرام في السنتيمتر المكعب تستشعر هذه الأهداب هذه الرائحة، وتنقلها إلى الدماغ، ويتعرَّف عليها، ويقول: أشم الرائحة الفلانية .

ولا تنسوا أن عند الإنسان عنده وسائل تعرف على المحيط الخارجي، فالعين ترى، لكن هناك أشياء لا تراها، وأنت في البيت، وأنت في المركبة تسمعها، السماع خط دفاع آخر، لكن في أشياء لا تراها ولا تسمعها، لو أن فأرةً ماتت في البيت، ما الذي يشعرك بوجودها؟ رائحتها، فكأن الله جلَّ في علاه جعل من الرائحة إشعاراً للإنسان بدقائق المحيط الخارجي، هذا من فضل الله على الإنسان .

خلاصة الدرس :

هناك عشرون مليوناً من الخلايا، وكل خلية لها سبعة أهداب، وعلى الهُدُب سائل مخاطي يحوي مواد دهنية مذيبة، تتفاعل مع الروائح تفاعلاً كيمياوياً، فينتج من هذا الفاعل شكل هندسي، يرسل إشارة إلى الدماغ، الذي يميِّز بين عشرة آلاف رائحة، وتتدرج هذه الرائحة على كل الروائح تباعاً إلى أن تعرفها، فتقول: هذه كذا، ويكفي تركيز الرائحة نصف بالمليون من الميلي غرام بالسنتيمتر مكعب كي تشم هذه الرائحة، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

06 – مركز التذوق في الدماغ

ما وظيفة النتوءات الموجودة في خلايا اللسان ؟

أيها الأخوة الأكارم، تحدثت في الأسبوع الماضي عن الشم، وكيف أن في الأنف عشرين مليون خلية عصبية شمية، وأن كل خليةٍ لها سبعة أهداب، عليها مادةٌ دهنيةٌ مذيبةً تتفاعل مع الروائح تفاعلاً كيماوياً، فينشأ من هذا التفاعل شكلٌ هندسي، يرسل إلى مركز الشم في المخ على شكل إشارةٍ، ويستعرض مركز الشم في المخ هذه الرائحة فيدركها أولاً، ثم يتعرف عليها ثانياً؟ .

من لوازم هذا الموضوع: أن الله جلَّ وعلا جعل على اللسان خلايا خاصة، تنتشر على شكل نتوءات، يمكن للإنسان من خلالها أن يتذوَّق الحلو والطيب من الطعام، وأن يلفظ المر والحامض منه، وأن يتجرَّع الماء العذب الفرات، وأن يلفظ الملح الأجاج، فمَنْ وضع على اللسان هذه الخلايا الذوقية؟ بعضها يتذوق الحلو، وبعضها المر، بعضها المالح، بعضها الحامض، هذه الخلايا المتوضعة على اللسان موزعةٌ في أنحاء اللسان، بعضها في مقدمة اللسان لتذوق الطعم الحلو، بعضها في مؤخَّرة اللسان لتذوق الطعم المر، بعضها على جوانب اللسان لتذوق الطعم الحامض والمالح .

إليكم ما يتضمنه هذا السؤال من إجابة :

أيها الأخوة الأكارم، بحثٌ طويل، ولكن الشيء الذي يلفت النظر أن حساسية الخلايا الذوقية المتخصصة للطعم المر تبلغ عشرة آلاف ضعف عن حساسية الخلايا التي تتذوَّق الطعم الحلو، لماذا؟ لأن الله جلّت حكمته جعل كل طعامٍ سامٍ مؤذٍ مرَّ الطعم، هذا التوافق توافق حكيم، الطعام الذي ينفعك حلو المذاق، والطعام الذي يؤذيك مر المذاق، لذلك كل أنواع السموم لها طعمٌ مر،

فلئلا يتسمم الإنسان، حساسية الخلايا المتخصصة لتذوق الطعم المر، تعادل عشرة آلاف ضعفٍ عن حساسية الخلايا المتخصصة لتذوق الطعم الحلو، هذه واحدة .

شيء ثاني: توافق الطعم المستساغ مع الفائدة، وتوافق الطعم المر مع الضرر، هذا التوافق من حكمة الله جل وعلا .

شيءٌ آخر: يسهم اللعاب الذي في الفم بشكلٍ فعَّالٍ جداً في إذابة الطعوم، تمهيداً لتذوّقها من قبل الحُليمات الذوقية المتوضعة على اللسان .

شيءٌ ثالث: هو أن الأنف يتلقَّف البخار، أو الغاز المنتشر من هذا الطعام ليشمه، فطعم الطعام أساسه شمٌ وذوقٌ، فكل طعامٍ نأكله ونستطيبه ونحمد الله عليه ساهم في إحساسنا بطعمه خلايا الشم مع خلايا الذوق، وحينما يصاب الإنسان برشحٍ شديد، يشعر أن طعم الطعام قد اختلف في فمه، هذا من فضل الله جلَّ وعلا .

أما في الدماغ: هناك مركزٌ آخر للذوق، كما أن هناك مركزاً للشم، هناك مركزٌ للذوق و يستطيع هذا المركز أن يفرّق بين عشرة آلاف طعم، وكما يحدث في الشم، يصل هذا الطعم إلى الدماغ فيشعر به، ثم يتعرَّف عليه، والتعرُّف عليه بأن يجري هذا الطعم على عشرة ألاف طعمٍ في الذاكرة الذوقية، فإذا توافق هذا الطعم مع طعمٍ مسجل في الذاكرة، قال: هذا الطعام كذا ، وهذا الطعام فيه المادة الفلانية .

الخاتمة :

أيها الأخوة الأكارم، ألحُّ على هذا الموضوع، بأن بين جوانحنا جسماً، فيه إعجازٌ في الخلق، فيمكن أن تعرف الله معرفةً دقيقةً جداً، من خلال جسمك، وهو أقرب شيءٍ إليك، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

الباب الحادي عشر : القلب والأوعية الدموية



01 – القلب

02 – كيس التامور

03 – جهاز الدوران في الجسم

04 – الشرايين والأوردة

05 – مكونات الدم

01 – القلب

قلب الجسد من أعجب ما خلق الله، إنه مضخة مزدوجة تضخُّ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية، ونسيج، وعضو، وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية يزيد طولها عن مائة وخمسين كيلومتر. إنه يعمل منذ الشهر الثاني من حياة الجنين، وحتى يحين الحين، لا يغفل ولا يغفو، لا ينسى ولا يسهو، ولا يقعد ولا يكبو، ولا يمل ولا يشكو، يعمل من دون راحة، ولا مراجعة، ولا صيانة، ولا توجيه.. والإنسان بجبروته يؤذيه، وبنار الحقد يكويه، وبالأحزان يُبليه وهو أساس حياة الإنسان، وشمس عالمه، عليه يعتمد في كل أعماله وأحواله، ومنه تنبع كل قواه، وحركاته.. وهو آلة خارقة!.. لا يعرف التعب إليها سبيلاً، تزداد قدرتها أضعافاً كثيرة، لتواجه الجهد الطارئ، إنها عضلة من أعقد العضلات، بناء وعملاً وأداءً، ومن أمتنها وأقواها، تنقبض وتنبسط ثمانين مرة في الدقيقة، ويل النبض في الجهد الطارئ إلى مائة وثمانين، ويضخ القلب ثمانية آلاف ليتر في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبة من الدم، ويضخ القلب من الدم في طول غمر الإنسان ما يكفي لملئ مستودع بحجم إحدى أكبر ناطحات السحاب في العالم.

وينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبي، فتأتمر ضرباته وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتي هي أساس تخطيطه وتتغذى عضلة القلب بطريقة فريدة !.. ومن أعجب ما فيه دساماته المحكمة التي تسمح للدم بالمرور باتجاه واحد، وهو مبدأ ثابت في المضخات.

حتى إذا سَكَن القلب في قفصه، واستراح من غُصصه، خلَّف وراءه جثة هامدة، كأنها أعجاز نخل خاوية.. فلقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ".

(جزء من حديث صحيح رواه البخاري(٥٢/١) ومسلم (١٥٩٩) أوله: " الحلال بين والحرام وبين)

ورحم الله الشاعر أحمد شوقي إذ يقول:

دقات قلب المرء قائلــــة له إن الحياة دقائقٌ وثوانـــي

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فـالذكر للإنـسان عمرٌ ثانـي

02 – كيس التامور

إليكم الحديث عن القلب وبما يحويه بشكل مختصر :

أيها الإخوة المؤمنون... القلب الذي بين جوانحنا، من عجائب خلق الله سبحانه وتعالى، قال عنه العلماء: إنه أقوى عضلةٍ، وأمتن عضلةٍ في النوع البشري.

أقوى، وأمتن، فهذا القلب، سمّاه العلماء مضخةٌ، ماصّةٌ، كابسة، تؤمِّن دوران الدم، في الأعضاء، منذ أن ينبض وأنت في الرحم، وحتى الموت، لا يكلُّ، ولا يملُّ، ولا يستريح، ولا يتوقَّف، منذ أن ينبض أول نبضة وأنت في الرحم، وحتى نهاية الحياة.

أيها الإخوة المؤمنون... من آيات الله الباهرة، أن الله جعل لهذا القلب كيساً، يسميه العلماء: التامور، يفرز هذا الكيس، مادةً تليِّن حركته، لئلا يحتك بالقلب الكيس نفسه، يفرز مادة شحمية، تليِّن حركته، هي في الآلات كالزيت تماماً، وفضلاً عن ذلك، إن القلب مغلفٌ بغلافٍ رقيقٍ رقيقٍ، أملسٍ أملسٍ، يسمى الشغاف، هذا الغشاء الرقيق الرقيق، الأملس الأملس، مع التامور الذي يفرز المادة المليّنة، من أجل أن ينعدم الاحتكاك، في حركة القلب.

ومن الآيات العجيبة، أن في الدم خاصة، لولا هذه الخاصة، لما بقي أحدنا حياً، هي خاصة التجلُّط، وهي أن الدم إذا لامس الهواء الخارجي، يتشكّل منه ألياف، تسدُّ منافذ الشرايين إلى الخارج، لولا هذه الخاصة، خاصة التجلُّط، لسال دم الإنسان كله، من جرحٍ طفيف، ولكن الدم، ما أن يلامس الهواء الخارجي، حتى يتجلَّط، ويصبح ألیافاً، تسدُّ المنفذ الذي فتح، إن كان جرحاً، أوشيئاً من هذا القبيل.. ذلك تقدير العزيز الحكيم.

(ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦))

(سورة الأنعام)

قلبٌ يعمل، ولا يرتاح، يمتصُّ، الدم، الذي أدى دوره في الأعضاء، ويدفعه إلى الرئة، يتصفَّى، يطرح غاز الفحم، ويأخذ الأكسجين، ثم يمصّه، للأذين الأيمن، إلى القلب، ثم يدفعه، إلى البطين الأيسر، الذي يدفعه بدوره إلى أعضاء الجسم كله، في القلب أذينان، وبطينان، يمصّان الدم، ويدفعانه، بلا كللٍ، ولا مللٍ.

قدر بعض العلماء أنه يندفع من القلب في كلِّ نبضةٍ، مجموعة سانتيمترات مكعّبة، تزيد على العشرة، في الدقيقة الواحدة، ثمانين دفعة، يعني في الدقيقة الواحدة، اثنين جالون ونصف من الدم يضخه القلب، قدر بعضهم ما يضخه القلب في عمر سبعين عاماً، بأربع ملايين جالون، يعني شيء لا يصدَّق، هذه العضلة.

لذلك من آيات الله سبحانه وتعالى، في خلقه، هذا القلب، الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام:

((ألا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ))

(من صحيح البخاري: عن " النعمان بن بشير ")

03 – جهاز الدوران في الجسم

إليكم الحديث عن جهاز الدوران في جسم الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، آيات الله في الكون، وآيات الله في النفس أوسع باب ندخل منه على الله، وأقصر طريق إلى الله، لأن هذه الآيات تضعك وجهاً لوجه أمام عظمة الله عز وجل، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

من آيات الله الدالة على عظمته: نظام نقل الدم في الجسم، فالكائن الحي بحاجة إلى الغذاء من أجل نشاطاته الحيوية، ومن أجل ترميم خلاياه التالفة، لا بد له من غذاء، ونقل الغذاء من خارج الكائن الحي إلى داخله يتولاه جهاز الهضم، ثم نقل ملخص جهاز الهضم، خلاصة جهاز الهضم هذا الطعام إلى كل خلية في الجسم، هذا من مهام جهاز الدوران.

الأوعية الدموية مم تتألف، وكم عددها، وكم عدد المرات التي يجري فيها الدم ؟

أيها الأخوة الكرام، في الكائنات الراقية المعقدة تعقيداً إعجازياً، والإنسان في رأسها، هذا النقل يتم في دارة مغلقة، جهاز الدوران دارة مغلقة، ومن أجل أن يسري الدم في الأوعية، لا بد من مضخة تدفعه في هذه الأوعية، ولا بد لهذه المضخة من دفع، ومن سحب.

أيها الأخوة، جهاز الأوعية عبارة عن شرايين، شرايين فرعية وأوعية، و أوعية فرعية، و أوعية شعرية، وأوعية شعرية دقيقة جداً، تغطي كل مساحات الجسم، ثم هذه الأوعية الشعرية الدقيقة جداً تتصل بأوعية شعرية وريدية، وتعود إلى وريد صغير فأكبر فأكبر إلى القلب.

أيها الأخوة، الشيء الذي لا يصدق أن عدد الأوعية الشعرية في الجسم من مئة إلى مئة، وستين مليار وعاء شعري، بحيث بأي مكان لو غرزت دبوساً خرج الدم، طول هذه الأوعية في جسمك مئة وخمسين كيلو متراً، يمر عبرها من سبعة إلى عشرة لتر، الكرية الحمراء لو تتبعناها تنطلق من القلب، و تعود إليه في ثلاث، وعشرين ثانية، و الدم يدور في الأوعية في اليوم ثلاثة آلاف وسبعمئة مرة، وهذه الأوعية يجري عبرها في اليوم من سبعة إلى عشرة أطنان من الدم، لو كان الأوعية لها دخول و خروج لعبر من خلالها في اليوم من سبعة إلى عشرة أطنان، القلب يضخ في اليوم ثمانية أمتار مكعبة، و كل متر مكعب طن تقريباً.

أيها الأخوة الكرام، خلال عمر يسري عبر الأوعية من مئة و خمسين إلى مئتين وخمسين ألف طن، لو أن القلب مضخة لها فتحة دخول و خروج لملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم في عمر ستين عاماً، و لو

عبرنا عن جهد القلب جهد القلب في الإنسان يكفي لدفع قطار في طريق صاعد إلى قمة أربعة آلاف و ثمانمئة متر، من صفر إلى أربعة آلاف، وثمانمئة متر قطار بأكمله القلب في خلال عمر ستين عاماً يدفع هذا القطار إلى أعلى، قال تعالى:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)

[سورة لقمان الآية: ١١]

أيها الأخوة الكرام، هذه بعض الحقائق البديهية عن جهاز الدوران في جسم الإنسان.

04 – الشرايين والأوردة

ما قصتا الشريان والوريد في جسم الإنسان ؟

أيها الأخوة الكرام، يقول الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾

[سورة ق الآية: ١٦]

في الإنسان وريدٌ وشريان، الشريان به دمٌ مؤكسد يحمل الأوكسجين، والشريان ينقسم ، ويتشعب، ويتفرَّع، حتى يصل إلى أصغر خلية في الجسم، لإمداده بالغذاء، والدم بحاجةٍ ماسةٍ ودائمةٍ إلى الأوكسجين، لذلك تحمل الأوردة الدم إلى القلب، ليضخ إلى الرئتين، ليأخذ منهما الأوكسجين .

من أي اتجاه يسير دم الوريد في جسم الإنسان، والى أين، وما وظيفة الصمامات في الأوردة، وما الحكمة في تكوينها، وماذا يحدث لو أصابها خلل؟

دم الوريد، في رحلته من القدم إلى القلب، يمشي في عكس اتجاه الجاذبية الأرضية، السائل لا يصعد إلى أعلى، لذلك لا بدَّ من أسلوبٍ، بحيث أن هذا الدم الصاعد لحكمةٍ بالغةٍ أرادها الله لا ينزل، ولصنعةٍ متقنةٍ حكيمةٍ صنعها الله، صنع لهذه الأوردة التي تنقل الدم من القدم إلى القلب صمامات، هي في الحقيقة جيوب، تسمح للدم أن يصعد، ولا تسمح له أن ينزل ، كيف؟ جيوبٍ على جدران الأوعية، إذا صعد الدم إلى الأعلى، تلتصق جدرانها بجدران الأوعية، فيمر الدم، فإذا أراد الدم أن ينزل، امتلأت هذه الجيوب، وانتفخت، وتلاصقت حتى أغلقت الطريق على الدم أن ينزل .

فهذه الصمامات التي وضعها الله في الأوردة، ما الحكمة منها؟ الحكمة منها أن تسمح للدم أن يسير باتجاهٍ واحدٍ فقط، دون أن يرجع .

أيها الأخوة الكرام، لو أصاب الخلل في هذه الصمامات فلم تغلق الطريق على الدم، لتجمع الدم في الأوردة، ولارتفع ضغط الدم فيها، ولخرجت الكريات الحمراء من جدران الأوردة إلى

الأنسجة فازرقت الأرجل، وتورمت، وشعر صاحبها بألمٍ شديد، إنه مرض الدوالي الذي يـــذكره الناس أحياناً .

انظر إلى هذه الصنعة العجيبة :

أيها الأخوة الكرام، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية: ٤]

جيوبٌ في جدران الأوردة، تسمح للدم أن يصعد، حينما يندفع الدم إلى الأعلى، بفعل نبض القلب، هذه الجيوب تلتصق جدرانها بجدارن الأوعية، فينطلق الدم، فإذا أراد الدم أن يعود إلى الأسفل، امتلأت هذه الجيوب، وتضخمت، وتلاصقت، ثم أغلقت الطريق على الدم، عمل الجيوب، عملٌ في منتهى الدقة والروعة .

أيها الأخوة الكرام، قال تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين الآية: ٤-٥]

05 – مكونات الدم

ما هي الصورة البيانية التي شبه بها بعض العلماء دم الإنسان، وما هي وسائله في دفع الخطـــر والأذى عن الإنسان؟

أيها الأخوة الكرام، دم الإنسان في رأي بعض العلماء بمثابة بحرٍ زاخرٍ بقطع الأسطول، فهناك سفن للإمداد، كريات الدم الحمراء، وهناك سفن للدفاع تتمتَّع بقدرةٍ على المناورة، والمراوغة، والاقتحام، هي الكريات البيضاء، وهناك سفن للإنقاذ من الموت المحقق، هي الصفائح الدموية، وهناك سفن تحمل المواد الغذائية، السكر، وهناك سفن تحمل المواد المرممة، البروتين، وهناك سفن تحمل الفضلات، حمض البول، وحمض اللبن .

أيها الأخوة، كل هذه السفن تتحرَّك بحريةٍ دون أن تصطدم، ودون أن تغرق، ودون أن يصيبها عطب .

ما هو عدد الكريات البيضاء والحمراء في جسد الإنسان ، وما وظيفتهما ؟

من منا يصدِّق أيها الأخوة، أن في دم الإنسان كما قال العلماء: خمسة وعشرين تريليون، أي خمسة وعشرين ألف ألف مليون، أي خمسة وعشرين أمامها اثني عشر صفراً، كرية حمراء، هذه الكرية لها خصائص لا يصدِّقها العقل، بإمكانها أن تمر في ممر ضيّق هو عشر حجمها بمرونةٍ فائقة، ونقي العظام يصنِّع في كلِّ ثانيةٍ واحدة اثنان ونصف مليون كرية في كل ثانية، ويموت في كل ثانية مثل هذا العدد .

فإذا ماتت هذه الكريات ذهبت إلى مقبرةٍ جماعيّة اسمها الطحال، ففي الطحال تحلل هذه الكريات الميتة إلى حديد، وإلى هيموغلوبين، يذهب الهيموغلوبين إلى الكبد ليكون الصفراء، ويذهب الحديد ثانيةً إلى نقي العظام ليعاد تصنيعه مرةً ثانية، وهذه نظرةٌ اقتصادية .

أيها الأخوة الكرام، وفي الإنسان خمسة وعشرين ألف مليون كريّة بيضاء، هي بمثابة جيش الدفاع، ومرض الإيدز؛ هو نقص المناعة المكتسبة، هو قتلٌ لهذه الكريات البيضاء، عندئذٍ يموت الإنسان لأقلِّ إصابةٍ جرثوميّة .

جهاز الدفاع يمثِّل جيشاً بكل معاني هذه الكلمة؛ قسم استطلاع، يستطلع العدو، وأسلحته، وخصائصه، وقسم يصنِّع الأسلحة، وقسم يحارب، ثلاث عناصر، هذا جهاز الدفاع، خمسة وعشرين ألف مليون كرية بيضاء، وخمسة وعشرين تريليون، أي خمسة وعشرين ألف ألف مليون كرية حمراء، وواحد تريليون صفيحات دموية .

هذه الصفيحات لولاها لنزف دم الإنسان من جرحٍ بسيط، المكان إذا صار فيه جرح تتوجّه هذه الصفيحات وتتلاحم، وتغلق هذا الجرح، وأعرف شخصاً على علاقةٍ متينةٍ معه، توفَّاه الله بعدم تصنيع الصفيحات في نقي العظام، ومات بهذا المرض .

ما هي وظيفة الهرمونات الموجودة في الدم ؟

أيها الأخوة الكرام، الذي يلفت النظر أن في الدم مادة، هذه المادة تعين على لزوجة الدم، فلولا هذه المادة لخرج من الإنسان ألف سنتيمتر مكعب في ست دقائق، بفضل هذه المادة لا تخرج الألف سنتيمتر المكعب إلا في ثلاثين دقيقة، لأن اللزوجة أساسية في الدم .

وقد ذكرت لكم من قبل أن في الدم هرمون يجلِّط الدم، وهرمون يميِّعه، ومن توازن هذين الهرمونين يبقى الدم بهذه الحالة العجيبة، لا هو من السيولة بحيث ينزف الإنسان دمه كلُّه بوقتٍ

قصير فيموت، ولا هو من اللزوجة بحيث يبقى كالوحل في الشرايين، وضعٌ دقيقٌ جداً بين اللزوجة وبين الميوعة .

أيها الأخوة الكرام، بحث الدم وحده أكبر آية دالّة على عظمة الله، الدم وحده، بلازما الدم ، مكوّنات البلازما، الكريات الحمراء، الكريات البيضاء، الصفائح، لذلك قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

الباب الثاني عشر : الغدد



01 – الغدة النخامية

ما هي الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية ، وكم وزن هذه الغدة ؟

١ – هرمون النمو :

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية: ٤]

في دماغ الإنسان غدة وزنها نصف غرام، من أجل أن تعرف ماذا نصف غرام؟ اذهب إلى بائع الموازين، واطلب منه قطعة وزن غرام، احملها بيدك .

الغدة النخامية وزنها نصف غرام، هذه الغدة خطيرة جداً مربوطة بالجسم تحت السرير البصري بمئة وخمسين ألف عصب، هذه الغدة تفرز هرمون النمو، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمان وثمانين حمض أميني، ويجب أن يكون في كل لتر من الدم عشرة ميكرو غرام من هذا الهرمون، فإن قلت هذه النسبة أصبح الإنسان قزماً، وإن زادت هذه النسبة أصبح الإنسان عملاقاً، من يضبط هذه النسبة؟ .

٢ – هرمون إفراز الحليب بعد الحمل :

هناك هرمون آخر تفرزه هذه الغدة، إنه هرمون إفراز الحليب بعد الحمل تقريباً بقليل، يبدأ هذا الهرمون يجول في الدم حتى يبلغ أوجه عند الوضع، فإذا ثديا المرأة يفرزان هذا الحليب، صنع من؟ الله جل جلاله، يؤكد هذه الحقيقة بقوله:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾

[سورة البلد الآية: ٨-١٣]

قال بعض المفسرين: الثديان .

٣- هرمون الاستقلاب :

هناك هرمون آخر تفرزه هذه الغدة النخامية التي وزنها نصف غرام، وهو هرمون الاستقلاب، والاستقلاب عملية معقدة جداً تحول الغذاء إلى طاقة، الاستقلاب مهمة الغدة الدرقية إلا أن الغدة الدرقية لا تتحرك إلا بأمر الغدة النخامية، هناك هرمون تفرزه الغدة النخامية كي تحث الغدة الدرقية على إفراز هرمون الاستقلاب الذي يجعل من الغذاء طاقة وحركةً ونشاطاً .

٤- هرمون الكظر :

هناك هرمون آخر يفرز إلى الكظر، فالإنسان إذا واجه خطراً هذه الغدة النخامية وهي ملكة الجهاز الهرموني، وملكة الغدد، تأمر الكظر لإفراز خمسة هرمونات؛ هرمون يضاعف ضربات القلب، وهرمون يزيد وجيب الرئتين، وهرمون يضيق الأوعية المحيطية كي يتوافر الدم إلى العضلات فيصفر الخائف، وهرمون يأمر هرمون التجلط في الكبد بأن يمنع سيولة الدم، وهرمون يأمر الكبد كي يفرز كمية من السكر الإضافية .

هذا الهرمون، هرمون الكظر، تفرزه الغدة النخامية التي وزنها نصف غرام .

٥- هرمون النمو الجنسي :

هناك هرمون خامس، هرمون النمو الجنسي، هذا الهرمون مسؤول عن صفات الذكر والأنثى المتميزة، يتضح بفعل هذا الهرمون معالم الذكورة والأنوثة في الإنسان .

٦- هرمون لون الجلد :

هرمون لون الجلد، هذا الهرمون يحث الخلايا تحت الجلد على إفراز المادة الملونة، فلون الإنسان من الأبيض إلى الحنطي إلى الأسمر إلى الأسود من فعل هذه الغدة النخامية .

٧- هرمون لتحقيق توازن السوائل :

هناك هرمون يحقق توازن السوائل، فلو اختل هذا الهرمون في الغدة النخامية التي وزنها نصف غرام يصبح وقت الإنسان مشغولاً في شرب الماء وإفراز البول، قد يشرب أربع غالونات أو خمسة أو ستة أو عشرة ويفرزها في دورة المياه، وهذا يصبح شغل الإنسان الشاغل، من يحقق هذا التوازن في هذا الهرمون؟ .

٨- هرمون المخاض :

هناك هرمون المخاض تفرزه أيضاً الغدة النخامية، فالمخاض عملية معقدة جداً فيها توسيع الحوض، وفيها تقلص عضلات الرحم، هذا الهرمون مبرمج، كل مرحلة في حركة تناسب الوضع، قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾

[سورة عبس الآية: ٢٠]

خلاصة القول :

هذا هو الإنسان، هذه غدة صغيرة في دماغه، سمَّاها العلماء: ملكة الغدد، اسمها الغدة النخامية، وزنها نصف غرام، تفرز تسع هرمونات أساسية في حياة الإنسان، لو اختلت هذه الغدة أو اختل إفراز هرموناتها، لكانت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾

[سورة البلد الآية: ٨-١٣]

02 ـ الغدة الصنوبرية

ما هي وظيفة الغدة الصنوبرية في جسم الإنسان ؟

أيها الأخوة، وسط الدماغ البشري غُدة صغيرة حجمها بحجم حبة الذرة البيضاء اسمها الغدة الصنوبرية، عالمٌ كبيرٌ جداً عاش قبل أربعين عاماً في بلد متقدم بالمقياس المادي طبعاً، يقول لطلابه،

وأحد طلابه مؤلف كتاب عن هذه الغدة، يقول هذا العالم: إن الغدة الصنوبرية غدةٌ عديمة الفائدة لا وظيفة لها، ولا نشاط، وليس لها أدنى دور في جسم الإنسان، قال تعالى :

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)

[سورة الإسراء الآية: ٨٥]

كلام دقيق يلقيه عالم كبير في الطب في علم التشريح على طلابه، ثم اكتُشِف أن هذه الغُدة أول غدة تتكون في الجنين، وآخر غدة تبيح بأسرارها لعلم الطب، هذه الغدة تفرز هرموناً، الشيء الذي يدهش أن هذا الهرمون موجود في كل الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان حتى وحيدة الخلية فيها هذا الهرمون، قال بعض العلماء: تماثل هذا الهرمون في كل الكائنات الحية شيء نادر وعجيب! هذا الهرمون لا يُفرَز إلا بالليل، يقول العلماء عنه اليوم في بحث صدر في عام ١٩٩٥: إنه من أكثر المواد فعالية في جسم الإنسان، يساعد الجسم على مكافحة الجراثيم والفيروسات، يساعد الجسم على النوم المريح، وعلى تحسين نوعية النوم، يساعد الجسم على الإقلال من حدوث أمراض شرايين القلب، يخفف من أعراض السفر البعيد الطويل، يزيد في حيوية الكائن الحي وفي قوة عضلاته، يكاد هذا الهرمون يكون العنصر الأول في حيوية الإنسان وفي صحته وسلامة وظائف أعضائه .

ما هو الميزان الذي يحتكم به المسلم عند تحقق الخبر الذي يسمعه أو يقرؤه ؟

أيها الأخوة، ما كل شيء نقرؤه صحيح، ما كل شيء نسمعه صحيح، الصحيح هو ما جاء في كتاب الله، هو ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى . ثبت الآن أن هذه الغدة تفرز أهم هرمون في جسم الإنسان، ولو ألغينا هذا الهرمون لكانت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق، غدة صغيرة بحجم حبة الذرة البيضاء في وسط الدماغ اسمها الغدة الصنوبرية، غدة لها تأثير كبير، وهرمونها متواجد في كل الكائنات الحية، حتى في النبات، وحتى في الأحياء وحيدة الخلية، قال تعالى:

(وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)

[سورة الإسراء الآية: ٨٥]

(وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)

[سورة البقرة الآية: ٢٥٥]

يقول بعض العلماء: لم تبتل بعد أقدامنا ببحر المعرفة، لا يزال العلماء كالأطفال يَحْبون أمام سر هذا الكون، وسر هذا الإنسان .

يقول بعضهم: إن ثلاثمئة بحث علمي جادٍ عميق نشر حول هذه الغدة في عام واحد، فالإنسان أحياناً يقلل من قيمة الشيء لجهله به، أما إذا عرف الحقيقة يجب أن يخر ساجداً لله عز و جل، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

(مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ)

[سورة الملك الآية: ٣]

ليس في الدنيا شيء زائد لا حاجة له، ولا فائدة منه .

03 – الغدة الصعترية التيموس

إليكم الحديث عن مقررات هذه المدرسة الحربية، وعن مشروع تخرجها، ومن يتعلم فيها :

يعد جهاز المناعة المكتسب من أخطر الأجهزة في الجسم البشري، وهو جيش دفاعي عالي المستوى والجاهزية، فيه فرق الاستطلاع، وفرق تصنيع السلاح، وفرق القتال، وفرق الخدمات، وفرقة المغاوير، والحديث اليوم عن فرق القتال:

يرسل فريق من كريات الدم البيضاء التي صنعت وتشكلت في نقي العظام، والتي فرزت لمهام قتالية، ترسل إلى مدرسة حربية اسمها الغدة الصعترية (التيموس) في دورة تثقيفية تدريبية، وبعد اجتياز الامتحان تتخرج بلقب: الخلية التائية المثقفة ٠

وفي هذه المدرسة الحربية تدرس هذه الكريات البيضاء التي فرزت للقتال مادتين أساسيتين: التعريف بالذات والصديق، والتعريف بالعدو الممرض ٠

ففي المقرر الأول: يعرض على هذه الخلايا مئات الألوف من البروتينات التي تدخل في بناء الجسم البشري، ثم ترمز هذه العناصر الصديقة، وتدرب هذه الخلايا على ألا تهاجمها، لأنها إن هاجمتها فمعنى ذلك أن الجسم يدمر نفسه، ويتلف بعضه ٠

وفي المقرر الثاني: يعرض على هذه الخلايا ما عرفه النوع البشري عبر الأجيال على أنه عنصر ممرض من خلال مناعات الأم التي تصل إلى المولود من خلال الحليب، ومن خلال التجربة الحية إذ أن الطفل في السنوات الأولى يميل بفطرته إلى التقاط الأشياء ووضعها في فمه لتتعرف خلاياه المقاتلة على العناصر المعادية، أو أن العدوى بالأمراض تعطيه مزيداً من المعلومات عن أعدائه، ومن خلال هذه المحاضرات تتعرف هذه الكريات البيضاء المقاتلة على العناصر المعادية التي عليها أن تهاجمها، أو تذيع نبأ وجودها، أو تساهم في إلقاء القبض عليها ٠

ومن خلال المجاهر الإليكترونية تبدو الغدة الصعترية من خلالها على شكل مدرجات رومانية، تصطف الكريات البيضاء عليها، لتتلقى هذه المحاضرات القيمة ٠

ولا بد في أية جامعة أو معهد أو مدرسة من امتحان، تمر هذه الكريات فرادى في بوابات امتحانية، وتمتحن واحدة واحدة في المقررين السابقين:

امتحان المادة الأولى: يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر صديق، فإن هاجمته أخفقت في الامتحان، ومنعت من مغادرة الغدة الصعترية وقتلت، لأنها إن خرجت إلى الدم تهاجم الجسم الذي شكلها ٠

امتحان المادة الثانية: يعرض على الكرية البيضاء الممتحنة عنصر عدو ممرض، فإن أخفقت في تمييزه والرد عليه رسبت في الامتحان، ومنعت من مغادرة الكلية وقتلت، لأنها إن خرجت إلى الدم غفلت عن العدو، ومكنته من مهاجمة الجسم ٠

يستمر عمل هذه الكلية الحربية من بدء الولادة وحتى السنة الثالثة، وبعدها تقوم بتوريث علم مراقبة وضبط عمل الكريات البيضاء إلى الكريات البيضاء الناجحة في الامتحان، والتي سميت بعد التخرج بالخلايا التائية المثقفة لتقوم بدورها في نقل هذا العلم إلى أجيال الكريات البيضاء اللاحقة ٠

وفي السبعينات من العمر يضعف تثقيف الكريات البيضاء المقاتلة، فتبدأ بمهاجمة العناصر الصديقة، وبعض أجهزة الجسم وأعضائه، فنرى في هذا العمر أمراضاً شائعة كالتهاب المفاصل، وبعض الاعتلالات الكلوية، وأمراض المصليات، وأمراض أخرى ما كان سببها إلا ضعف ثقافة الجهاز المناعي الذي ينتج عنه زوال الضبط في عمل الخلايا المقاتلة، فتصبح الخلايا المناعية المقاتلة تهاجم الجسم الذي شكلها وثقفها للدفاع عنه، وتكون حالة الجسم ما يشبه الحرب الأهلية، صدق القائل:

أعلمه الرماية كـــل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظــم القوافي فلما قال قافــية هجاني

04 – البنكرياس

ما هي وظائف البنكرياس في جسم الإنسان ؟

١- مهمة العصارات التي تفرزها البنكرياس :

أيها الأخوة الأكارم، كلكم يسمع بمرض السكري، وهذا المرض الشائع أساسه أن الله سبحانه وتعالى، أودع في الإنسان غدة اسمها البنكرياس

البنكرياس غدةٌ عجيبة، إذا نزل الطعام إلى المعدة، وتفاعل مع العصارات الهاضمة صار قوامه حامضياً، والقوام الحامضي ينبه أعصاباً أودعها الله في جدار الأمعاء، هذه الأعصاب تنبه مراكزاً في المخ الذي يأمر البنكرياس بفرز موادٍ وعصارات، تعدِّل حموضة الطعام، فأول وظيفةٍ خطيرةٍ للبنكرياس، أنها تفرز بأمرٍ من الدماغ، والدماغ يتبلّغ عن طريق الأعصاب التي أودعها الله في جدار المعدة والأمعاء، تفرز عصارةً تعدل حموضة الطعام، هذه بعض مهمات البنكرياس، ونحن لا ندري ، نأكل وانتهى الأمر .

شيءٌ آخر، تفرز عصارات البنكرياس مواداً تهضم المواد البروتينية، يبدأ الهضم في المعدة، ويستمر في الأمعاء عن طريق عصارة البنكرياس .

تؤثر في هضم المواد النشوية التي يبدأ هضمها في الفم، إذا أكلت خبزاً، وأبقيته فترةً، تشعر بمذاقٍ حلوٍ، معنى ذلك أن العصارات أفرزت على هذا الخبز، فحولته إلى سكر، كان نشاء فصار سكراً، هذه الوظيفة الأولى .

٢- تحويل السكر المخزون في الكبد والعضلات من سكر تخزيني إلى سكر قابل للاحتراق :

الوظيفة الثانية: تحول السكر المخزون في الكبد والعضلات، من سكرٍ تخزيني إلى سكرٍ قابلٍ للاحتراق.

السكر نوعان: سكر للتخزين، وسكر للاستهلاك، لا بدّ من تدخل عصارات البنكرياس كي تحول هذا السكر من حالةٍ إلى حالة .

٣- إفراز الأنسولين :

الوظيفة الثالثة: إن البنكرياس تفرز الأنسولين ليمكن استهلاك السكر وإحراقه، فإذا قصّر البنكرياس في إفراز الأنسولين، ظهر السكر في البول، وضعف احتراق هذه المواد في الجسم .

غدةٌ صغيرةٌ لا نعبأ لها، تقوم بأخطر الأعمال، هذا من صنع الحكيم القدير، هذا من صنع الخالق، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

في جسمك آية :

يا أيها الأخوة المؤمنون، في جسمكم من الآيات، لو أمضيتم الحياة كلها، في التأمل في دقائقها، لما انتهيتم من ذلك، فسبحان الله رب العالمين، الذي خلق الإنسان فصوره، وأحسن تصويره، والذي خلق الإنسان، فصنعه، وأتقن صنعه .

05 – الطحال

إليكم الحديث عن الطحال ووظائفه :

أيها الأخوة المؤمنون، قد يقف أحدكم عند بائع شطائر، ويرى في لائحة التسعيرة، أن شطيرة الطحال ثمنها كذا، قد يتذوّقها، وقد يحبها، ولكن هل تعرف أيها الأخ الكريم، ما هو الطحال؟ .

هذا الجهاز العجيب، هذا العضو الخطير، الذي لو كفَّ عن عمله، أو زاد نشاطه، لانتهت حياة الإنسان .

الطحال، جهازٌ، أو عضوٌ، أو غدةٌ، سمها ما شئت، لا يزيد وزنه عن مئتي غرام، لونه أحمر قانٍ، تصله بالدم أوعيةٌ دمويةٌ كبيرة، وشريانٌ ووريدٌ طحالي، في داخله حجبٌ، مقسَّمٌ إلى مساكن، وتحيط به عضلاتٌ، تتقلَّص فتفرغ ما فيه من الدم الاحتياطي، فيه حجر، وفيه عضلات، وفيه مساكن، وله شريانٌ كبير، وله وريدٌ كبير، وفيه أوعيةٌ دموية .

يولد هذا الجهاز كميةً كبيرةً من الكريات البيض، والكريات البيض هي جيش الدفاع في الجسم، وما مرض الايدز الذي أقلق العالم إلا تحطيمٌ لهذا الجيش، فيروسٌ يضعف هذا الجيش، فتضعف معه مناعة الجسم، عندها يستطيع أن يغلبه أصغر جرثوم .

هذا الطحال، مقبرةٌ للكريات الحمراء، تأتي الكريات الحمراء الميِّتة إلى الطحال، يُفْرز عليها الطحال مادةً، تحلل هذه الكريات إلى مكوِّناتها؛ يتحرر الحديد، فيؤخذ إلى معامل كريات الدم في نقي العظام، يتحرر الهيموغلوبين، فيذهب إلى الكبد، ليصنع الصفراء، التي تسهم في هضم الطعام.

أليس هذا تخطيطٌ اقتصادي؟ أليس هذا توجيهٌ ربّاني، إلى أن الهد، وإتلاف المواد، شيءٌ يتنافى مع الكمال البشري؟ .

شيءٌ رابع، إن الطحال، جهازٌ لصنع كريات الدم الحمراء، معمل ولكنَّه معملٌ احتياطي، إذا تعطَّلت المعامل في نقي العظام، فإن هذا المعمل يعمل لتصنيع كريات الدم الحمراء، حفاظاً على حياة الإنسان .

شيءٌ خامس، إن الطحال هو مستودعٌ لكريات الدم الحمر، يدفعه الطحال إلى الجسم عند الحاجة، مستودع احتياطي .

إذا نشط هذا الطحال، فأتلف الكريات الحمراء الحية، يموت الإنسان، يصاب بفقر دمٍ من نوعٍ خاص، وإذا قصَّر عن عمله، يضعف جهاز المناعة في الإنسان، وهذا ما يعانيه العالم اليوم من مرضٍ خطير .

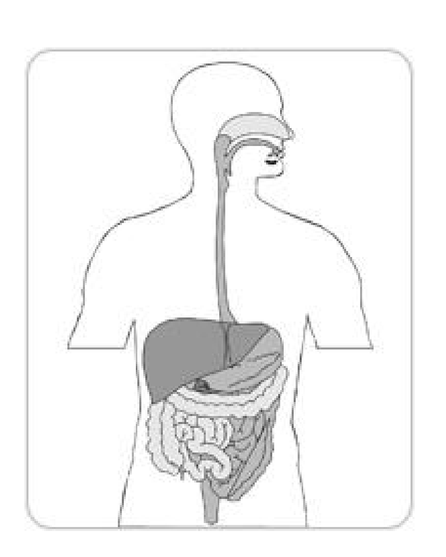
هذا الطحال، قد تشتريه شطيرةً عند بائع الشطائر، ولا تدري أن هذا الذي تأكله عالمٌ قائم بذاته؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

الباب الثالث عشر : جهاز الهضم



01 – تركيب اللعاب

ما رأيكم في الحديث عن اللعاب وخصائصه :

أيها الأخوة المؤمنون، ما منا واحدٌ إلا وفي فمه لعاب سائل، يفرز هذا اللعاب غددٌ تحت الفك، وتحت اللسان، وتحت الأذن، لا يعنينا كم هي الغدد، وكم عددها، وكيف تشريحها؟ ، يعنينا شيئان؛ تركيب اللعاب، ووظائف اللعاب .

من يصدق، أن في اللعاب شوارد صوديوم، وبوتاسيوم، وكالسيوم، ومغنزيوم، وكلور ، وبيكربونات، وفوسفات، وسولفا، ويود، وآزوت، وفلور، في اللعاب شوارد معدنية، وفيه بروتين، وسكر، ومضادات حيوية، وأنزيمات، هذا الذي يمكن أن يقال من على هذا المنبر، وهناك أسماءٌ أجنبيةٌ كثيرةٌ جداً، بأنواع الأنزيمات، وأنواع البروتينات، ما لا سبيل إلى ذكرها.

تصميم من هذا اللعاب؟ من صممه؟ من كوَّنه؟ من جعله ينطوي على هذه الشوارد المعدنية، وهذه الشوارد العضوية؟ .

وظائف اللعاب :

شيءٌ آخر، وجد العلماء من حيث وظائف اللعاب، أن للعاب دوراً خطيراً جداً في عدة مستويات:

١- اللعاب يرطِّب سطح الفم الداخلي، ولولاه لتقشَّر السطح الداخلي، ولتشقق، ولفعلت الجراثيم فعلها الشنيع فيها .

٢- يقوم اللعاب بترطيب اللقمة التي نأكلها وتلينيها، وعن طريق ترطيبها وتلينها يسهل مضغها وهضمها .

٣- يقوم اللعاب بدور العصارة الهاضمة الأولية في الفم، من أكل الخبز وأبقاه في فمه مدةً طويلة، شعر بطعمٍ حلوٍ، وهذا دليل أن في اللعاب مواد هاضمة، عصارة هاضمة تحوِّل النشاء إلى سكر .

٤- يفيد اللعاب في الحديث، وفي حركة اللسان، تشترك في تكوين كل حرفٍ من الحروف سبعة عشر عضلة، واللسان هو لولب الكلام، ولولا اللعاب لما تمكن الإنسان من أن يتابع الحديث .

٥- ينظِّف اللعاب الفم من بقايا الطعام، وهذا دورٌ قد لا ينتبه له بعض الناس .

٦- تزداد غزارة اللعاب عند تناول الشراب الحامضي، كل شرابٍ فيه تركيز، يحث التركيز في الشراب الغدد اللعابية على مزيدٍ من الإفراز، من أجل أن يتمدد هذا الشراب المكثف لئلا يؤذي .

٧- يسهم اللعاب بتسخين الطعام البارد عن طريق التبادل الحراري، ويسهم بتبريد الطعام الحار، ويسهم أيضاً بعملية بتحريك اللقمة في الفم، وأخطر من هذا كله أن في اللعاب مواد مضادة لنخر الأسنان، وفي اللعاب مواد مضادة للجراثيم، لأن الفم مفتوحٌ على الهواء الطلق، وهو بيئةٌ صالحةٌ جداً لنمو الجراثيم، لأن هذه البيئة فيها حرارة ورطوبة، هذان الشرطان في البيئة صالحان جـداً لتكاثر الجراثيم، لذلك كان في اللعاب مادةً مضادةً للجراثيم التي من شأنها أن تقتلها في مهدها .

أيها الأخوة المؤمنون، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

هذا اللعاب، الذي لا يأبه أحدٌ له، خلايا، غدد، تركيب دقيق، وظائف متنوعة، كلها من أجـل أن تعيش حياة كاملةً سوية .

02 – الفك واللسان

كيف يتم عمليتا مضغ الطعام وهضمه ؟

أيها الأخوة الكرام، ذكرت لكم مراراً، أن التفكُّر في خلق السموات والأرض، أو أن التفكُّر في ذات الإنسان، التي هي أقرب شيءٍ إليه، يعدُّ أوسع بابٍ للدخول على معرفة الله، وأقرب طريقٍ إليه .

١- الفك :

فمن آيات الله في النفس، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت الآية: ٥٣]

من آيات الله في النفس، أن هذا الفكَّ المتحرِّك، فيه ستُّ عضلاتٍ، تحرِّكه نحو الأسفل، وستُّ عضلاتٍ تحرِّكه نحو الأعلى، وعضلتان، تحركه يمنةً ويسرةً، وأربع عضلاتٍ ، تحرِّكه أماماً وخلفاً، والإنسان حينما يمضغ الطعام، يبتلع في اليوم اللقم، في حدود ألفين وأربعمئة مرة، هناك جهاز للبلع بالغ الدقة .

أيها الأخوة الكرام، قبل أن ندخل في وصف هذا الجهاز، خلايا الفم تتجدد مئة ألف خلية في كل دقيقة .

٢- اللسان :

وفي اللسان، سبعة عشر عضلةً، تمكِّنه من الحركة في كلِّ الاتجاهات، لتحريك الطعام، انظر إلى العجَّانة، كيف أنها تدور، وكيف أن فيها خلاطاً يخلط العجين، كذلك الفم؟ اللسان بمثابة الخلاط، الذي يتحرّك في كل الاتجاهات، ليخلط مقومات اللقمة .

٣- اللهاة ولسان المزمار:

أيها الأخوة الكرام، موضوع البلع موضوع دقيق جداً، هناك اللهاة، وهناك لسان المزمار، فالإنسان حينما يبلع اللقمة، تأتي اللهاة، وتغلق طريق الأنف، ويأتي لسان المزمار، ويغلق الحنجرة، لكن وأنت نائم بالليل، يجتمع اللعاب في فمك، وأنت نائم، تجري عمليةٌ بالغة الدقة، أن هناك تنبيهاتٍ عصبية من الفم، إلى البصلة السيسائية، تجمَّع اللعاب كثيراً، فيأتي الأمر حيث يغلق بلسان المزمار واللهاة طريق الأنف، وطريق الحنجرة، وينتقل اللعاب إلى المري، وأنت نائم، وأنت لا تدري .

أيها الأخوة الكرام، تتحرك اللهاة ولسان المزمار بأمر العصب الوجهي التاسع والعاشر، وهذان العصبان يأتمران بمركزٍ في البصلة السيسائية، فلو أصيب هذا المركز بالعطب، بسببٍ أو لآخر، لارتدَّ الطعام إلى الأنف، لخرج الطعام من أنفك، ولارتدَّ الطعام إلى الحنجرة، وفي هذه الحالة يكون الموت المحقق بالاختناق .

٤- المري :

أيها الأخوة الكرام، هذا المري، طوله خمسون سنتيمتر، مزوَّد بعضلات حلقية، تتقلَّص بالتدريج، فلو أن الإنسان كان مضطجعاً في مستشفى، وأعطيناه الطعام، الطعام يسير ، من أول المري إلى المعدة، ولو أننا علقنا إنسان من رجليه، وأطعمناه لقمةً، لذهبت نحو الأعلى، على خلاف الجاذبية، لأن هذا المري فيه عضلات دائرية، تتقلَّص تباعاً، فتنقل اللقمة إلى المعدة، ولو كنت في أي اتجاه.

٥- المعدة :

أيها الأخوة الكرام، المعدة لها فؤاد، وهو محكم الإغلاق، لئلا تخرج السوائل الحامضية، فتزعجك، والإنسان حينما يتقيأ، يشعر بحرقةٍ لا تحتمل، إنها حمض كلور الماء الذي في المعدة، فلئلا يخرج هذا الحمض إلى المري، فيزعج الإنسان، كان الفؤاد محكم الإغلاق، فمن أجل أن تدخله اللقمة، لا بدَّ من رفع الضغط، ضغط دفع اللقمة في الفؤاد، أربعة أمثال الضغط في مكانٍ آخر في المري .

ما واجبك اتجاه خالقك، والعلم إلى أي طريق يفضي ؟

أيها الأخوة، كلُّ هذا من أجل أن تأكل، وأن تشرب، وأن تتنفَّس، وأن تنام، وأن تزدرد اللعاب في الليل، وأن ينتقل الطعام إلى المعدة، وألا تشعر بحرقة حمض كلور الماء، من رتَّب هذا؟ من صمم هذا؟ من أتقن هذا؟ قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

[سورة الطارق الآية: ٥-٧]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين الآية: ٤]

ألا يستحقُّ هذا الخالق العظيم أن تتعرَّف إليه؟ ألا يستحقُّ أن تطيعه؟ ألا يستحقُّ أن تصلي له؟ ألا يستحقُّ أن تأتمر بأمره، وأن تنتهي عما عنه نهى؟ .

إذا أردت الدنيا، فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة، فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً، فعليك بالعلم، ولا تكفيك الخطبة، لأن الخطبة إقناعٌ لك بدخول الجامعة، فإذا دخلت الجامعة، ففيها مواد، ومقررات، ومحاضرات، ودراسات، لأنك إذا طلبت العلم، انتهى بك هذا العلم إلى الجنة .

03 – لسان المزمار

ما وظيفة لسان المزمار في الإنسان ؟

أيها الأخوة المؤمنون، في جسم الإنسان شرطيٌّ للمرور، يعمل منذ أن يتخلَّق الإنسان في بطن أمِّه حتى الموت، لا يكلُّ، ولا يسأم، ولا يتعب، يعمل ليلاً نهاراً، في اليقظة، وفي المنام، إنه لسان المزمار .

الأنف له طريق، طريق الهواء من الأنف إلى الرئتين عبر الرغامى، القصبة الهوائية ، وطريق الطعام من الفم إلى المعدة عبر المري يتقاطع، وهذان الطريقان في منطقةٍ حرجة، هي البلعوم .

يقوم لسان المزمار بأخطر عملٍ في حياة الإنسان، لو أن نصف كأسٍ من الماء، دخل خطأً في الرغامى، في القصبة الهوائية، إلى الرئتين، لمات الإنسان اختناقاً، لأن خلايا الدماغ النبيلة تموت موتاً نهائياً، إذا انقطع عنها الأوكسجين أكثر من خمس دقائق تموت، فلو أن نصف كأسٍ من الماء دخل خطأً من الفم إلى الرغامى، وقد نسي لسان المزمار أن يسدَّ طريق الرغامى، ويفتح طريق المري، لو أن هذا حدث مرةً، لكانت هي القاضية، ولو نزل الطعام في القصبة الهوائية لسد المجرى، ولاختنق الإنسان، ومات فوراً .

هذا اللسان، الذي يفتح طريق المري عند الطعام، ويفتح طريق التنفس عند التنفس، يعمل ليلاً نهاراً، يعمل وأنت نائم، أنت تقول: لا آكل في الليل، هذا اللعاب الذي يتجمَّع في فمك، كيف تبتلعه، وأنت نائم من دون أن تشعر؟ من الذي أمر هذا اللسان أن يفتح طريق المري، لينتقل اللعاب المجمَّع في الفم إلى المعدة، ثم يغلقه فيتابع التنفس عمله، وأنت لا تدري؟

ما هي الأجهزة التي سخرها الله في كل من الرغامى والمري في جسم الإنسان حتى يقومان بوظيفتهما ؟

أيها الأخوة المؤمنون، من فضل الله علينا، أن هذه الرغامى، القصبة الهوائية، لشدة خطورة عملها، ولأنها جهازٌ مصيري، فلو توقف التنفس دقائقَ معدودات، لمات الإنسانُ، لخطورة عملها، جهَّزها الله سبحانه وتعالى بأهدابٍ متحركة، تتحرك نحو الأعلى دائماً، فأي شيءٍ طفيفٍ دخل فيها، إنه يتحرك نحو الأعلى، ليتجمع في الحنجرة، ويكون هو القشع، من الذي زوَّد هذه القصبة الهوائية بهذه الأهداب المتحركة؟ علماً بأن التدخين، كما قلت لكم قبل عدة خطب: يشلُّ هذه الأهداب التنفسية، عندئذٍ تتعرض الرئة للإصابة بالالتهابات الإنتانية، بسبب شلل هذه الأهداب التي تتحرَّك نحو الأعلى .

أما المري، فقد زوَّده الله بعضلاتٍ دائرية تتقلَّص تباعاً، فلو وُضِعَ الإنسان بشكلٍ مقلوبٍ، بحيث تكون رجلاه نحو الأعلى، ورأسه نحو الأسفل، وألقمته لقمةً، أو سقيته جرعةً من ماء، لسار الماء على عكس الجاذبية نحو الأعلى، لسار الطعام بعكس نظام الجاذبية نحو الأعلى، بسبب هذه العضلات الدائرية التي تتقلَّص تباعاً، من زوَّد القصبة الهوائية بهذه الأهداب المتحركة نحو الأعلى، ومن زوَّد المري بهذه العضلات الدائرية التي تسوق كل شيءٍ نحو المعدة، بصرف النظر عن جهة الإنسان؟ إنه الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾

[سورة الجاثية الآية: ٤]

﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت الآية: ٥٣]

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

هذه آية لا تحتاج إلى كتب، ولا إلى مجلدات، ولا إلى مجاهر، ولا إلى مطالعات، ولا إلى دراسات، كلٌّ منا بإمكانه أن يفكِّر في هذه الآية .

04 – الغشاء البريتواني

ما هي وظيفة غشاء البيروتوني الموجود في الأمعاء الدقيقة ؟

أيها الأخوة الكرام، في الأمعاء الدقيقة غشاء يحملها أو يثبِّتها، يدعى هذا الغشاء: الغشاء البيروتوني أو المساريقا، لهذا الغشاء وظيفةٌ لا تصدق.

لو أن الإنسان شرب ماءً يغلي، لا تشعر الأمعاء بالحر، لأن حكمة بالغة لله عزَّ وجل، شاءت أن الأمعاء الدقيقة والغليظة ليس فيها أعصاب حس إطلاقاً، الأمعاء محاطة بغشاء له وظائف كثيرة، من وظائفه: أنه يحملها ويحملها بشكلٍ مرن، أي يسمح لها بالحركة وهو يحملها، وهذا من أدق الأعمال، لأن هناك حركة للأمعاء، فأساس الهضم هو حركة ميكانيكية، هذا الغشاء يحملها مع حركتها المرنة، وفيه نهايات عصبية، وهذا الغشاء فيه مراكز ليمفاوية، هي بمثابة أجهزة دفاع في الجسم البشري.

فلو أن التهاب حاد بالأمعاء، وانثقبت الأمعاء، يتحرك الغشاء البيروتوني ليصنع مصلاً يلتهم هذه الجراثيم، ويشعر الإنسان بالألم، فالآلام التي يحسُّها الإنسان في بطنه ليس مصدرها الأمعاء، بل الغشاء البيروتوني، الذي هو جهاز الإنذار الأول، وتستخبر مراكز الدفاع الموجودة في الغشاء البيروتوني عن طبيعة الجرثوم، وتصنع مصلاً مضاداً، وتلتهم الجرثوم وتحاصره، وتطوِّق هذه المشكلة.

تجد هذا الجهاز عند القصاب بين الأمعاء، وفيه عقد بلغمية صغيرة، ككتل شحمية، هذه العقد البلغمية أجهزة دفاع من أرقى الأجهزة، تحوي جنوداً تكتشف طبيعة العدو، وفيها معمل للمصول، وفيها جنود مقاتلة، وفي هذا الغشاء نهاياتٌ عصبية، تعدُّ كل آلام البطن جهاز الإنذار المبكِّر، وتعُدُّ هذه الغدد أجهزة دفاع عن هذه الأمعاء التي هي أساسية في حياة الإنسان، لكنه لحكمةٍ بالغة ليس في الأمعاء أعصاب حس، لذلك جاءت الآية الكريمة، متى تنقل أعصاب الغشاء البيروتوني الألم لصاحبه؟ إذا حدث انثقاب في الأمعاء، تصبح الآلام لا تطاق، قال تعالى:

(وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

[سورة محمد الآية: ١٥]

إن قطِّعت الأمعاء تُشْعِر النهايات العصبية الموجودة في الغشاء البيروتوني الإنسان بالألم، قال تعالى:

(وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

[سورة محمد الآية: ١٥]

تتوافق هذه الآية مع أحدث معطيات العلم، ولولا أن القرآن كلام الله لما أمكن للنبي عليه الصلاة والسلام أن يكشف هذه الحقيقة، طبيعة العصر الذي نزل فيه القرآن في كل معطياته العلمية لا تسمح بهذه الحقيقة.

العبرة من وراء هذا الدرس:

أيها الأخوة، هذا الغشاء الذي يتمتع بنهايات عصبية حساسة جداً، لا يمكن أن تشعر بالألم إلا في حالة انثقاب الأمعاء، وأما الإحساس بالألم في الأمعاء فغير موجود، لو أعطينا أمعاء الإنسان ماءً يغلي لا يشعر بشيء، وسقوا ماءً حميماً، متى يؤلمهم؟ حينما يقطّع أمعاءهم، قال تعالى:

(وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ)

[سورة محمد الآية: ١٥]

أيها الأخوة الكرام، كلما كشف الإنسان حقيقة في جسمه، ازداد تعظيماً لله عزَّ وجل، هذا كتاب الله، هذا كتاب خالق البشر، هو الكتاب المقرر، هو المنهج الحكيم، هو الصراط المستقيم، هو النور المبين، هو الحبل المتين.

05 – المعدة

إليكم الحديث عن هذا الجهاز الراقي الذي هو شغل الناس في هذا العصر :

أيها الإخوة المؤمنون... من آيات الله الدالة على عظمته، هذه المعدة التي زوَّدنا الله بها، الحديث عنها طويلٌ جداً، لا تتسع له الخطب الكثيرة، ولكن لقطة واحدة من الآيات الدالة على عظمة الله، أن الله زود هذه المعدة بأغشيةٍ أربع، بعض هذه الطبقات، طبقاتٌ عضلية، وفيها عضلاتٌ منوعة ؛ عضلاتٌ دائرية، وعضلاتٌ مستقيمة، وعضلاتٌ مائلة، بحيث، تؤمِّن، كلَّ التقلُّصات التي تعين على هضم الطعام.

شيءٌ مهمٌ في المعدة، أن في المعدة ما يزيد عن خمسةٍ وثلاثين مليون عصارة هاضمة، بمعدَّل ثمانمئة عصارة في كل سانتيمتر مربّع، خمسة وثلاثين مليون عصارة هاضمة، تفرز هذه العصارات الأنزيمات، وتفرز حمض كلور الماء، وحمض كلور الماء مادةٌ تذيب كلَّ شيء، تذيب اللحم، والسؤال الكبير، الذين، ليس هناك إجابةٌ شافيةٌ عنه حتى الآن: لِمَ لا تهضم المعدة نفسها ؟

نأكل اللحم فنهضمه، وهي من لحم، والمادة التي تفرزها تهضم اللحم، فلمَ لا تهضم المعدة نفسها ؟ سؤالٌ كبير لا يتسع له المجال للإجابة عنه، والإجابة عنه لا زالت قاصرة.

لكنَّ الشيء الذي يلفت النظر، كما قال بعض العلماء: أن الكريات الحمراء التي تصنعها معامل الكريات الحمراء في نقي العظام، تنضج هذه الكريات، ولا يستوي بناؤها إلا إذا أشرف عليها فيتامينٌ شهيرٌ، فيتامين "ب ١٢ "، لا تنضج الكريات الحمراء، في معامل نقي العظام، معامل كريات الدم، ولا يستوي بناؤها، إلا بإشراف، فيتامين خطير جداً، فيتامين " ب ١٢ "، شيء جميل، الأغرب من ذلك أن

هذا الفيتامين لا يستطيع أن يصل إلى الدم، ولا أن يُخزَّن في الكبد، إلا عن طريق مرافقٌ له، هذا المرافق مادة بروتينية، ذات وزن ذري مرتفع جداً، تفرزها المعدة، يسميها العلماء: " عامل كاسل " إذا أفرزت المعدة هذه المادة، يستطيع هذا الفيتامين الخطير أن يدخل إلى الدم ليخزَّن في الكبد.

الآن دققوا، في أن مخزون الكبد من هذا الفيتامين الخطير، الذي يشرف على نضوج الكريات الدم، يخزَّن بمعدَّل، خمسة ميلي غرام، تكفي الإنسان خمس سنوات، أي يستهلك الإنسان كل سنة واحد ميلي غرام من هذا الفيتامين، الذي يرافقه هذا العامل، الذي تفرزه المعدة.

شيءٌ آخر، إن الحاجة اليومية من هذا الفيتامين، من ثلاثة إلى خمسة ميكرو غرام، والميكرو غرام، واحد من المليون من الغرام.

ليس هذا قصدنا، القصد أن الإنسان لو استؤصلت معدتة، إذا استؤصلت المعدة توقَّف هذا العامل، " عامل كاسل " ـ اسم طبيب كشفه ـ عن إيصال الفيتامين " ب ١٢ " إلى الكبد، ماذا يحصل ؟

فقر دمٍ خبيث، التهاب اللسان، ضمور المعدة، إصابة النخاع، عسرٌ في البلع، بطءٌ في النشاط، كآبةٌ في النفس، خدرٌ في القدمين، اختلالٌ في التوازن، كلُّ هذه الآفات الخطيرة، لأن بعض الميلي غرامات في الكبد قد انتهت، ما هذه الدقة في خلق الإنسان ؟

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩))

(سورة القيامة)

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦))

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥))

(سورة المؤمنون)

أتحسب أنك جرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

حاجة الإنسان اليومية من هذا الفيتامين من ثلاثة لخمسة ميكرو غرام، من أجل أن تتم صناعة كريات الدم الحمراء، يصنع منها في الثانية الواحدة اثنين ونصف مليون، في الثانية الواحدة، تصنعها معامل كريات الدم في نقي العظام، وتحدَّثت عن هذا في الأسبوع الماضي، أما هذه المادة التي تفرزها المعدة، لتسهِّل دخول هذا الفيتامين إلى الكبد، ويخزَّن هناك، في كل خمس سنوات، خمسة ميلي غرام، ما هذه الدقة، يا ربَّ العالمين ؟

(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦))

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥))

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١))

(سورة الذاريات)

(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ)

(سورة فصلت: من آية " ٥٣ ")

إليك هذه الأحاديث القدسية التي تهدئ البال وتصلح الحال :

أيها الإخوة المؤمنون... أنتم مكرَّمون على الله عزَّ وجل، أنتم مخلوقون لهدفٍ نبيل، لا تضيِّعوا أعماركم سدى، الوقت أثمن شيء.

" خلقت لك ما في السماوات والأرض، ولم أعيا بخلقهن، أفيعيني رغيفٌ أسوقه لك كل حين ؟ لي عليك فريضة، ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي، لم أخالفك في رزقك، وعزَّتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسلِّطن عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرّية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلَّمت لي فيما أريد، أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلِّم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد ".

" من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته فوق ما أعطي السائلين ".

" عبدي، كن لي كما أريد، ولا تعلمني بما يفرحك ".

" إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهِّرهم من الذنوب والمعايب ".

هذا موقف الله عزَّ وجل، إما أن يكون طبيباً، وإما أن يكون حبيباً، إن كنت كما يريد، فأنت حبيبه، وإن لم تكن كما يريد، فهو طبيبك.

أيها الإخوة المؤمنون... قال بعض الشعراء:

إلى متى أنت باللذات مشغولُ ؟ وأنت عن كل ما قدَّمت مسؤولُ

إلى متى ؟!

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ)

(سورة الحديد: من آية " ١٦ ")

06 – الكبد

إليكم هذه المقدمة عن الكبد في جسم الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، هذا الكبد الذي يوجد في أحشائنا من آيات الله الكبرى، الدالة على عظمته، وهو أكبرُ عضوٍ في الأحشاء، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش من دون الكبد أكثر من ثلاث ساعات.

يستطيع الكبد أن يعيدَّ بناء نفسه، لو أنَّ جراحاً استأصل أربعة أخماس الكبد، فإن الكبد يعيد بناء نفسه في سرعةٍ جنونية، فأسرع الخلايا انقساماً هي خلايا الكبد، والكبد يقوم بوظائفَّ كثيرة، قال بعضهم: خمسمئة وظيفة، وقال وبعضهم: سبعمئة وظيفة، وبعضهم قال: وظائفه بالآلاف .
على كلٍ، الشيءُ الذي يلفت النظر، أنَّ كلَّ خليةٍ في الكبد تقوم بكل هذه الوظائف .

ما هي وظائف الكبد :

١ - التخزين :

فمن وظائف الكبد: التخزين، الكبد مخزنٌ للدم، يستوعب ألفاً وخمسمئةٍ من السنتيمترات المكعبة من الدم، فإذا طرأ طارئ، حصل نزيف، حصل حادث، عملية ولادة، فإن هرموناً في الكظر، يأمر الكبد أن يحررَّ جزءاً من هذا الدم المخزون، ليعوِّض الدم المسفوح .
فهذه وظيفةٌ من وظائف الكبد، تخزين الدم، وتخزين السكر، وتخزين الدسم، وتخزين البروتين، وتخزين الفيتامينات، هو مخزنٌ غذائي، إذا حصلت مجاعة، إذا حصل انقطاعٌ عن الطعام والشراب إرادي أو غير إرادي، إذا حصل نزفٌ شديد، فإن الكبد يعوِّض، فهو مخزنٌ للمواد الغذائية التي يحتاجها الإنسان، وما الجوع في حقيقته، إلا نقصٌ في مخزون الكبد، لو فحصت دمَّ جائعٍ، لوجدت المواد النظامية متوافرةً فيه بالتمام والكمال، بدليل أن الجائع إذا اضطر بسببٍ أو لآخر ألا يأكل، يبقى ساعاتٍ طويلة من دون أن يحسَّ بالتعب، لذلك يعدُّ الجوعُ نقصاً في مخزون الكبد لا في الدم الجاري في الشرايين والأوردة .

٢ - وظيفة التحويل :

يا أيها الأخوة المؤمنون، في الكبد خاصةٌ لا تصدَّق، سماها العلماء: خاصة التحويل، فباستطاعة الكبد أن يحول السكر إلى بروتين، والبروتين إلى سكر، والسكر إلى دسم، والدسم إلى سكر، أي شيءٌ لا يصدق .
هناك المواد الدسمة، وهناك المواد البروتينية، في حالاتٍ ضرورية يستطيع الكبد أن يحول السكريات إلى مواد دسمة، ويستطيع أن يحول المواد الدسمة إلى سكريات، فهذا التحويل خاصةٌ خطيرةٌ جداً من خواص الكبد، كلُّ هذا حفاظاً على الحياة .

٣- وظيفة التعيير :

شيءٌ آخر، للكبد وظيفة التعيير: يدخل السكر إلى الكبد بنسبٍ عاليةٍ جداً، ولا سيما إذا تناول أحدنا طعاماً سكرياً، يخرج الدم من الكبد بنسبة سكر، لا تزيد عن واحدٍ ونصف في الألف، مهمة الكبد التعيير؛ تعيير السكر، وتعيير الدسم، وتعيير كلِّ المواد، عنده المخزن، وهو يخرج من المخزن نسباً دقيقةً جداً، محافظاً عليها .

٤- وظيفة التكوين :

الوظيفة الرابعة، وظيفة التكوين: فالكبد يكون هرمون التجلط، وهرمون التمييع، ومن إفراز الهرمونين إفرازاً متناسباً، يصبح الدم على هذه الحالة، فلو تعطَّل هرمون التمييع لأصبح الدم كالوحل في الشرايين، ولمات الإنسان فوراً، ولو تعطل هرمون التجلُّط، لنزف دم الإنسان كله، من ثقبٍ صغير، من إفراز هرمون التمييع، مع هرمون التجلط، يصبح الدم بهذه الحالة المثالية .

٥- وظيفة الإفراز :

يفرز الكبد هرموناً يُعَيِّرْ الماء في الجسم، ومن التهب كبده، أصيب بالاستسقاء، وهو أن يخزن الجسم ماءً كثيراً، يفوق حاجته، فالكبد يكون هرمون التجلط، والتميُّع، والهرمون الذي يحدد نسب الماء في الجسم .

٦- وظيفة التخليص :

شيءٌ آخر، التخليص: فالكبد يدرس وضع السم، إما أن يعدله بتفاعلٌ كيماوي، وإما أن يقيده، وإما أن يطرده بحسب خطورته وسميته، وكأنه عاقلٌ يفعل ما يريد، يفحص هذا السم ، إما أن يفرز عليه مادةً فيعطله، وإما أن يقيده، وإما أن يأخذه إلى خارج الجسم، يطرحه مع البول، هذا كله من وظائف الكبد .

٧- وظيفة الصفراء :

شيءٌ آخر، يفرز الكبد الصفراء، فالكريات الحمراء، مئتين وخمسين ألف، أرقامٌ كثيرةٌ جداً تموت في كل ثانية، تموت هذه الخلايا، فتساق إلى الطحال، وفي الطحال مقبرة الكريات الحمراء، تفكك إلى جزئياتها الأساسية، يؤخذ الحديد الناتج عن تفكيك جزئية الكريات الحمراء إلى معمل نقي العظام، وتؤخذ المادة الصفراء إلى الكبد، فتكون الصفراء، فالصفراء التي في الكبد، من نتاج تحليل كريات الدم الحمراء الميتة، ماذا تفعل الصفراء؟ تمتص الدسم وتهضمه، وتعين على حركة الأمعاء، وتعقِّم الأمعاء من الجراثيم، لذلك من استؤصلت صفراؤه، لا يستطيع أن يأكلَّ دسما أبداً.

ما هي الأسباب التي تدفع الكبد إلى التهابه أو توقف بعض وظائفه ؟

أيها الأخوة المؤمنون، متى يلتهب الكبد؟ قال العلماء: يلتهب الكبد إذا تلوَّث الطعام وأدواته بالمواد البرازية، فالأحاديث الكثيرة التي يحضنا بها النبي عليه الصلاة والسلام على التطهُّر، والتبرُّؤ من العيب من البول، ومن كلِّ شيءٍ يخرج من الجسم، هذا بسبب حفظ الكبد.
أكَّدَ العلماء: أن تشمع الكبد، له سببٌ كبيرٌ ألا وهو معاقرة الخمرة، والخمرة أمُّ الخبائث، حيث تصاب أكباد أكثر الذين يعاقرون الخمرة بالتشمُّع، والتشمع هو توقف الكبد عن القيام بوظائفه .

ما وراء النعم :

أيها الأخوة المؤمنون، أتعرفون أن بين جوانحكم هذا العضو الخطير، هذا المخبر، هذا المخفر، هذا المصنع، هذا المستودع، وظيفة التخزين، وظيفة التحويل، وظيفة التعيير، وظيفة التكوين، وظيفة التخليص، وظيفة الإفراز، هذه بعض وظائف الكبد، وتفعل وكلُّ خليةٍ من خلايا الكبد كلَّ هذه الوظائف وحدها، ولو أن جراحاً استأصل أربعة أخماس الكبد لعاش الإنسان، ويستطيع الكبد أن يرمم نفسه في ستة عشر أسبوعاً، وإن أشد الخلايا انقساماً هي خلايا الكبد .
أيها الأخوة المؤمنون، ذلك الله رب العالمين، هذا خلقه، تذهبون إلى القصَّاب، وتشترون السوداء، إنها الكبد، هذا الجهاز الذي لا يستطيع الإنسان أن يعيش من دونه أكثر من ثلاث ساعات، قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾
[سورة الطارق الآية: ٥-٧]

يكون هذا الكبد من ماءٍ مهين، من حيوانٍ منوي، ويكون هذا الدماغ، ويكون هذا القلـــب، وهــذه الأحشاء، وهاتان الكليتان، قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

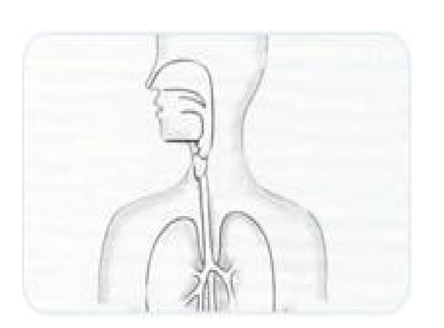
[سورة الطور الآية: ٣٥]

هذا الذي خلقك، فسوَّاك، فعدلك، ألا يستحق العبادة؟ ألا يستحق أن تحبه؟ ألا يســتحق أن تــأتمر بأمره؟ ألا يستحق أن تنتهي عما نهاك؟ ألا يستحق أن تفني عمرك في طاعته؟ عَنْ مُعَــاذِ بْــنِ جَبَلٍ، قَالَ:

((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا وَضَعَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟))

[أخرجه الدارمي في سننه]

الباب الرابع عشر : جهاز التنفس



01 – الأفعال الإرادية واللاإرادية

02 – الرئتان

03 – الحنجرة

01 – الأفعال الإرادية واللاإرادية

إليك هذه الآيات الصارخة في جسدك أيها الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول بعضهم: شدة القرب حجاب، هناك آيةَ صارخةٌ دالةٌ على عظمة الله عزَّ وجل، لشدة قربها منا فكأننا لا نراها، منها التنفس .

ينام الإنسان ملء عينيه، ورئتاه تخفقان بانتظام، ينام الإنسان ملء عينيه، وقلبه يضرب بانتظام، ينام الإنسان ملء عينيه، وجهازه الهضمي يعمل بإحكام، ينام الإنسان ملء عينيه، وجهاز التصفية يعمل بدقةٍ مذهلة .

لو أن جهاز التصفية، وجهاز الهضم، وجهاز الدوران، والقلب، والرئتين كان منوط إلينا، هل منا من يستطيع أن ينام لحظة، أو أن يعمل لحظة، أو أن يجلس مع أخيه لحظة؟ هذه الآية الكبيرة هي الأفعال اللاإرادية، إنها تعمل بشكلٍ مدهش، بدقةٍ ما بعدها دقة، بحكمةٍ ما بعدها حكمة، بتدبيرٍ ما بعده تدبير .

قال العلماء: هناك مراكز للأعمال اللا إرادية تتحكم في ضربات القلب، ووجيب الرئتين، وعملية الهضم، وعملية الإفراز، وأعمال كثيرة لا يعلمها إلا الله، أعمال الغدد الصمَّاء، البنكرياس، الكبد، الكظران، الدرقية، النخامية، وأجهزةٌ، وغددٌ، وأعمالٌ معقدةٌ، والتوازن الحراري، وتوازن السوائل، وتوازن ضربات القلب، وأعمال كثيرة أخرى تتم بشكل لا إرادي .

أين تقع عقدة الحياة في الإنسان ، وهل لها أثر في حياة الإنسان ؟

قال العلماء : هناك في البصلة السيسائية التي هي في القسم السفلي من جذع الدماغ، عقدة الحياة، في هذه العقدة مركز تنظيم التنفُّس، ومركز تنظيم ضربات القلب، ومراكز الأوعية تتسع وتضيق من هنا، ومركز البلع، ومركز المضغ، ومركز التصويت، ومركز توازن السكري، ومركز العرق، ومركز اللعاب، ومركز النوم واليقظة، ومركز المشي، ودورة الحيض، وحرارة البدن، ومركز الغدد التناسلية في القسم الأسفل من جذع الدماغ، يسمَّى هذه المكان عقدة الحياة، وهو أخطر مكانٍ في الإنسان، لو أصيب بخلل مات الإنسان فوراً .

أين يقع غاز الفحم في جسد الإنسان، وما هو دوره، وهل له خطورة إذا اختل توازنه عن نظامه الطبيعي ؟

قال: في هذا الجذع بقعتان: بقعةٌ للشهيق، وبقعةٌ للزفير، إن غاز الفحم المتواجد في الدم ينبه الشهيق والزفير، إذا نُبِه مركز الشهيق ثبِّط مركز الزفير، وإذا نبه مركز الزفير ثبِّط مركز الشهيق، لو نبها معاً لاضطرب الأمر، تنبيه أحدهما تثبيطٌ للآخر، شيءٌ عجيبٌ، شيءٌ يأخذ بالألباب .

شيءٌ آخر، هناك تنفسٌ إرادي يستطيع الإنسان بإرادته أن يحدث شهيقاً إرادياً، أو زفيراً إرادياً، هناك مركزٌ يأتي من الدماغ للشهيق الإرادي، والزفير الإرادي، هذا المركز إن كنت غافلاً عنه، يعمل بشكلٍ ذاتي، ما الذي ينبِّه هذين المركزين؟ غاز الفحم الذي في الدم، فإذا تراكم غاز الفحم، وكثر في الدم، تضاعف الشهيق والزفير، لو أن الإنسان غطَّى رأسه بالغطاء، وقل الأوكسجين في الفراش، وكثر غاز الفحم، ليراقب نفسه، يزداد وجيب رئتيه من دون أن يشعر، هذا الشهيق والزفير السريع، بسبب ازدياد غاز الفحم، غاز الفحم الذي ازداد في الدم، نبَّه مراكز الشهيق والزفير، فضاعفت حركاتها، ونحن لا ندري، نحن غافلون، الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء .

يقول العلماء: لو زاد غاز الفحم اثنان بالعشرة عن كميته النظامية في الدم لتضاعف التنفس، ولو قلَّ غاز الفحم اثنان بالعشرة عن كميته النظامية في الدم، لتوقَّف التنفس، ما هذا التوازن؟ إذا ارتفع غاز الفحم في الدم من دون أن ينبه مراكز التنفس، دخل الإنسان في غيبوبةٍ ثم مات، وهؤلاء الذين يختنقون في الحمام أحياناً بسبب استخدام وقود غازي، ما السبب؟ ارتفاع نسبة غاز الفحم في الجو، وبالتالي في الدم، وبالتالي يتوقف التنفس، فيموت الإنسان .

إليكم وصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام :

فيا أيها الأخوة المؤمنون، هذا النَفَس، وهاتان الرئتان، تنام ملء العيون، والرئتان تعملان بانتظام، تنام ملء العيون، والقلب يضرب بانتظام، تنام ملء العيون، والغدد الصمَّاء تقوم بأعمالٍ مدهشة بانتظام، تنام ملء العيون، وجهاز الهضم يتحرك، ويعمل، ويفرز بانتظام، قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: ٣٥]

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

﴿سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾

[سورة فصلت الآية: ٥٣]

هذه الفكرة مأخوذةٌ من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا عبادة كالتفكر)) .

02 – الرئتان

إليكم الحديث عن الرئتين :

١- أين مركزهما، وبمن تتصلان، وكم فرع للقصبة الهوائية، وما هي أصغر وحدة في الرئة؟

أيها الأخوة الكرام، من آيات الله الدّالّة على عظمته، هاتان الرئتان اللتان أودعتا في صدر الإنسان يتصلان بالمحيط الخارجي، بقصبةٍ هوائية، تتفرع هذه القصبة، إلى ثلاثٍ وعشرين فرعاً، إلى أن تصل هذه الفروع إلى الأسناخ، أو الحويصلات الرئوية، وهي أصغر وحدةٍ في الرئة .

٢- الحويصلة: كم قطرها، القصبة الهوائية: كم مساحتها، وكم عدد الحويصلات في الرئة ؟

الحويصلة: قطرها، وهي منتفخة ربع ميكرون، قطرها وهي منتفخة بالهواء، ربع ميكرون، مساحة القصبة خمسة سنتيمتر، بمقدار ليرة سورية، أو أكبر بقليل، لكن مساحة الحويصلات المربعة سبعين متر مربع، تتلقى الهواء من قصبةٍ لا يزيد قطرها عن خمسة سنتيمتر، وتتفرع هذه القصبة، إلى مساحة تبادل أوكسجين، تزيد عن سبعين متر مربع .

هل تصدقون أن في الرئتين، ثلاثمئة وخمسين مليون سنخ رئوي، أو حويصلة رئوية، وأن مساحة الأسناخ الرئوية، تزيد عن مساحة القصبة، ألفي ضعف؟ .

٣- تشبيه لطيف :

شبّهوا القصبة الرئوية، مساحتها بالليرة، أو الخمس ليرات الحديدية، في بعض العملات، وشبهوا مساحة الأسناخ الرئوية، بملعب للتنس، يدخل الهواء من قصبة، ويتفرّع بمساحاتٍ واسعة، من أجل التبادل مع الأوكسجين .

٤- ماذا عن الأهداب التي تعتبر طريق أتسترادٍ بين القصبة والأسناخ الرئوية ؟

الشيء الذي لا يصدق، أنه على طول هذه التفرعات، التي تنتهي بالأسناخ الرئوية، تنتشر الأهداب، ما هي الأهداب؟ أشعار طول الواحد منها، ستة ميكرون، وقطره اثنين بالعشرة من الميكرون، هذه

الأهداب تتحرك نحو الأعلى دائماً، من أجل أن تطرد كلّ الشوائب ، وكل الأجسام الغريبة، دائماً في أهداب بكل تفرعات الرئة، تتحرك نحو الأعلى من ألف إلى ألف وخمسمئة مرة في الدقيقة، من أجل أن تطرد كل شيء، وأن يبقى طريق الهواء نظيفاً، نقياً، صافياً .

حتى هذه الساعة، عجز أطباء العالم عن زرع الرئة، لأنهم عجزوا عن توصيلات الأعصاب المتعلقة بالأهداب، هذه الرئة ثلاثمئة وخمسين مليون سنخ رئوي، مساحتها سبعين متر مربع، فيها أهداب تتحرك من ألف إلى ألف وخمسمئة مرة في الدقيقة نحو الأعلى .

الشيء الذي لا يصدق، أن هذه الأهداب الرئوية، الموزعة في القصبة، وفي الفروع حتى تصل إلى الأسناخ، هذه تطرد الأجسام الغريبة، ستة عشر ميلي في الدقيقة .

أما إذا دخل شيء غريب إلى القصبة، كقطرة ماء، عندئذٍ يكون السعال، ما السعال؟ يخرج الهواء من الرئتين بسرعة تسعمئة كيلو متر في الساعة، من أجل أن يدفع كل شيءٍ في القصبة، قال تعالى:

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)

[سورة الطور الآية: ٣٥]

٥- ماذا عن التنفس ؟

الأعظم من ذلك أن التنفس يتم بتنبيه عصبي، لا إرادي، فلو أن الله سبحانه وتعالى أوكل التنفس لنا، لكان الخيار صعباً جداً، إما أن نلغي النوم، أما إذا نمنا فسوف نموت، وهناك مرضٌ نادرٌ جداً، يصيب مركز التنبيه الرئوي النوبي بالعطب، عندئذٍ لا يستطيع الإنسان أن ينام الليل أبداً .

اخترع دواءٌ غالٍ جداً، يأخذه الإنسان كلّ ساعة، يجب أن يربط المنبه على الساعة العاشرة، يأخذ حبة ينام إلى الساعة الحادية عشر، ينتهي مفعول هذا الدواء بعد ساعة، يستيقظ في الساعة الثانية عشر يأخذ حبة، وفي الساعة الواحدة حبة، وفي الساعة الثانية حبة، إلى أن ينفجر الفجر، لو تعطل مركز تنبيه الرئتين النوبي، فنحن في نعمٍ لا تحصى، قال تعالى:

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ)

[سورة الطور الآية: ٣٥]

رئة، ثلاثمئة وخمسون مليون، أهداب تطرد الأجسام الغريبة، مساحة سبعين متر مربع، تبادل الأكسجين مع غاز الفحم يتم في الرئتين، قال تعالى:

(هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ)

[سورة لقمان الآية: ١١]

03 – الحنجرة

معاني الحق :

أيها الأخوة المؤمنون، يقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

[سورة القمر الآية: ٤٩]

خلق الله عزّ وجل كل شيءٍ في تقدير دقيق، يستنبط هذا المعنى أيضاً من قوله تعالى:

(خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ)

[سورة التغابن الآية: ٣]

إضافة إلى معنى الحق الذي هو الشيء الثابت الذي لا يزول موازنة له مع الباطل الذي يزول، قال تعالى:

(إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً)

[سورة الإسراء الآية: ٨١]

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً)

[سورة ص الآية: ٢٦]

ومعنى آخر للحق هو الشيء الهادف الذي يتناقض مع العبث، قال تعالى:

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)

[سورة الأنبياء الآية: ١٦]

والمعنى الثالث الشيء الذي خُلق بالحق، أي قدِّر تقديراً دقيقاً من لدن حكيمٍ عليم خبيرٍ.

إليكم هذه الموازين الدقيقة في هذه الأشياء :

يا أيها الأخوة المؤمنون، هذه الحنجرة التي هي جهاز الصوت عند الإنسان، ضبطها في اللغة حَنْجَرَة، لا حُنْجُرَة كما يلفظها عامة الناس، هذه الحنجرة التي خلقها الله عزّ وجل، وصممها لتكون جهاز الصوت في الإنسان .

يقول الأطباء: إن فتحة الحنجرة قد قدِّرت تقديراً دقيقاً جداً، بحيث لو اتسعت أكثر مما هي عليه لاختفى صوت الإنسان، ولو ضاقت أكثر مما هي لأصبح التنفّس عسيراً، إما أن يكون التنفس مريحاً ويختفي الصوت، وإما أن يكون الصوت واضحاً ويصعب التنفس، من جعل هذه الفتحة بهذا القدر؟ إن الله سبحانه وتعالى يقول:

(صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)

[سورة النمل الآية: ٨٨]

هذا ينقلنا إلى عتبات الحواس، إن هذه العين ترى، لكنها ترى بين عتبتين، لو أن الرؤية زادت عن حدها الذي هي عليه لأصبحت حياتنا شقاءً، إنك إذا نظرت إلى كأس الماء الذي تشربه تجده عذبٌ، فراتٌ، رائق، لو أن عتبة البصر زادت قليلاً ودقّت أكثر من ما هي عليه، لرأيت في هذا الكأس العجب العجاب؛ لرأيت الكائنات الحية، والجراثيم غير الضارة، والبكتريات بعددٍ لا تحصى، إنك لن تشرب الماء، ولرأيت هذا الطفل الصغير بخده الأثيل، كأنه مغاراتٌ ونتوءات، لذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى:

(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)

[سورة لقمان الآية: ٤٩]

لو أن عتبة السمع ارتفع مستواها قليلاً، لما أمكنك أن تنام الليل، لأن تتلقّف كل الأصوات، بل إن أصوات جهاز الهضم وحده، تكاد تكون كالمعمل الكبير، جعل الله لك عتبة خاصة في السمع لا تزيد عن هذا الحد .

لو أن حاسة اللمس زادت، لشعرت بالكهرباء الساكنة التي تحيل حياتك جحيماً، لأن كل شيءٍ فيه كهرباءٍ ساكنة .

لو أن حاسة الشم زادت لأصبحت الحياة شقاء، تزيد حاسة الشم عند بعض الحيوانات مليون ضعف عن حاسة الشم عند الإنسان .

شقّ الله سبحانه وتعالى لنا السمع، وأنشأ لنا الأبصار والأفئدة، وخلق حاسة اللمس، وحاسة البصر، وصمم كل هذه الحواس تصميماً دقيقاً جداً، ليناسب حياة الإنسان ومصلحته .

الباب الخامس عشر : جهاز الإفراز



01 – الكليتان وشكر نعمتهما

مناسبة هذه الأحاديث لهذا المقال ؟

في الأحاديث الشريف، أيها الأخوة، حديثٌ: ذكرته لكم كثيراً، كان عليه الصلاة والسلام ، إذا دخل بيت الخلاء، وخرج منه، يقول:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني، وأبقى لي ما ينفعني))

وفي دعاءٍ آخر، كان يقول إذا أكلّ الطعام:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته، وأبقى فيّ قوته، وأذهب عني أذاه))

قرأت اليوم مقالة في مجلةٍ شهريةٍ، تعنى بالشؤون العلمية عن الكلية، هالني أن الكليتين تصفيان في اليوم الواحد من الدم، ألف وثمانمئة ليتراً

كدت لا أصدق هذا الرقم، تأملت فيه ملياً، عدت إلى مصدرٍ آخر، الرقم صحيح، ألف وثمانمئة ليتر، وأن في الكليتين طريقاً من الأنابيب، من النفرونات، دقيقٌ وطويلٌ، طوله ستون كيلو متر في الكليتين، وأن هاتين الكليتين فيهما طاقة لتصفية عشرة أمثال حاجة الإنسان .

لذلك إذا التهبت الأولى تستأصل، ويعيش الإنسان حياةً مديدة بكليةٍ واحدة، أليس هذا من رحمة الله عزّ وجل؟ لأن الكلية جهاز خطير، جعل لك قطعة زائدة، أو كلية زائدة عن حاجتك .

أسرار الكليتين في جسم الإنسان :

أيها الأخوة، من منا يصدق، أن الدم بكامله يمرُّ في الكليتين في اليوم ستاً وثلاثين مرة؟ وأن هاتين الكليتين، تقومان بعمليةٍ في منتهى التعقيد، تأخذان هي من الدم المواد السكرية، والمعادن، والبروتينات، وتطرحها في الوريد الخارج منها، والباقي ما زاد من السكريات عن حاجة الدم، يطرح في البول .

إذا أصيب الإنسان بمرض السكر، كيف يعرف ذلك؟ من وجود السكر في البول، معنى ذلك، أن الكلية تأخذ نسبةً نظامية للسكر، وتطرح الباقي مع البول، وإذا أكل الإنسان ملحاً كثيراً، وفحصنا بوله، نجد أنّ جزءاً من هذا الملح، طرح مع البول .

ما قيل عن الكلية :

الكلية، كما قال بعض العلماء: تتيح لكّ أن تأكل كلّ شيء، ولولا الكلية، لو ارتفعت نسبة الأملاح في الدم عن ثمانية بالألف، لمات الإنسان، من الذي يضمن ثبات هذه النسبة في الدم؟ الكليتان .

هي مصفاةٌ عاقلة، كما وصفها بعض العلماء، تأخذ نسباً نظامية، وما بقي من هذه النسب النظامية، من نسب زائدة، من سكريات، من أملاح، من بقايا أدوية، هناك أدويةٌ تطرح في البول، يتغير لون البول، بسبب أن هذا الدواء مادة غريبة، تطرحها الكلية مباشرةً .

فهذه الكلية التي لا يزيد حجمها عن الكمثرى، تعمل بصمت بلا مقابل، بلا أجر، بلا تعطيل عن العمل، اكتشف العلماء أن الكليتين: غدتان ذواتا إفراز داخلي، أي أنهما تفرزان هرمونات، تضبط ضغط الدم .

ما هي المشاكل التي تحدث للإنسان إذا أصاب الكلية اضطراب ؟

أيها الأخوة، إذا التهبت كلية الإنسان يختل ضغطه، هذه الكلية تفرز هرمونات، لتنظيم ضغط الدم، وتفرز هرمونات لتلاشي فقر الدم، وتفرز هرمونات لضبط السوائل .

حدثني أخ كريم، قال لي: قبل سنوات، على أثر تناول طعام سكري كثير، صرت أشرب في اليوم عشرين، أو ثلاثين مرة، أو مئة مرة، وكان شغلي الشاغل أن أذهب لدورة المياه ، لأفرغ الماء الزائد، أصاب الكلية التهابٌ فاضطرب ميزان السوائل، ولو اضطرب ميزان السوائل، لوجب أن يبقى الإنسان إلى جانب الصنبور وبيت الخلاء طوال حياته، ألا يقتضي أن يشكر الإنسان ربه على نعمة الكلية؟ .

ماذا يقصد النبي بكلمة الأذى في هذا الحديث، وما واجبنا إزاء هذه النعم ؟

أيها الأخوة، إذا دخل النبي إلى بيت الخلاء وخرج، كان يقول:

((الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني))

أي البولة، إذا ارتفعت البولة في الدم، لو أن الكلية توقفت عن العمل، وارتفعت نسبة البولة في الدم، اسألوا الأطباء ماذا يحدث؟ يتشنج الإنسان، تضعف ذاكرته، يختل عمله، يغضب لأتفه الأسباب، يحطم أساس البيت، هؤلاء الذين تتوقف كليتهم عن العمل، لهم أطوارٌ غريبة، لا يحتملهم أهلهم، لشدة غلظتهم، ولشدة عنفهم، ولشدة غضبهم لأتفه الأسباب، وإذا استمر ارتفاع نسبة البولة، يموت الإنسان فوراً .

أما نعمة المثانة، أنها تستقبل كل ثانيةٍ نقطتين من البول، كل عشرين ثانية، تجمعها لك، حتى تصبح بحجم لترٍ، عندئذٍ تفرغها، لولا هذه المثانة، لكانت حياة الإنسان صعبة جداً .

إن كرامة الإنسان مرهونة بهذا الجهاز، وأحياناً يصاب الإنسان في سنٍ متقدمة ببعض الضعف في العضلات، ماذا يسمعه الأهل؟ كلماتٍ قاسية، هذا الذي لا يستطيع أن يضبط نفسه، يصبح موقفه حرجاً جداً، فنعمة المثانة، نعمة ثانية .

يا أيها الأخوة المؤمنون، لا يكن الإنسان كالبهيمة، كالدابة، ليس همه إلا الأكل، قال تعالى:

(يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ)

[سورة محمد الآية: ١٢]

هكذا ربنا وصف الكفرة يتمتعون ويأكلون، كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لكم .

الحمد لله الذي جعل هذين العضوين الكليتين، يعملان بانتظام، فهذا الحمد على نعمة على سلامة الكليتين، أمانٌ من التهابهما، وأمانٌ من عطبهما، وأمانٌ من توقفهما توقفاً مفاجئاً .

02 – الكليتان جهاز تصفية البول

عملية تصفية البول عند الإنسان :

أيها الأخوة المؤمنون، أُثِرَ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان يدعو ويقول بعد أن يخرج من الخلاء: ((الحمد لله الذي أذاقني لذَّته، وأبقى فيَّ قوته، وأذهب عني أذاه)) .

هذا الطعام والشراب، فيه قوة، وفيه لذة، وفيه فضلات، فجهاز تصفية البول (الكليتان) ، فيهما من العجائب، الشيء الذي لا يصدق، إن ملخص القول: إن أعقد جهاز في الإنسان بعد الدماغ، هما الكليتان .

يوجد في الكليتين مليونان، من وحدات التصفية، في كل كلية مليون وحدة التصفية، أنبوبٌ دقيقٌ دقيق، وعاءٌ دقيقٌ دقيق، يلتف حول نفسه حتى يشكل كبة، اسمه عند علماء التشريح، الكبيْبة، هذه الكبيبة يحيط بها غشاء ينتهي بأنبوب .

وقد قلت لكم قبل قليل: إن أعقد جهازٍ بعد الدماغ، هو الكلية، وحسبكم أن الكلية الصناعية يزيد حجمها عن حجم مكتبٍ كبير، ويستغرق الإنسان وقتاً لتصفية دمه، ما يزيد عن ثماني ساعات، والتصفية لا تعادل تصفية الكلية الطبيعية، هذه الكبيبة مع غشائها وأنبوبها، لا ترى بالعين، لو صفَّت هذه النفرونات وحدات التصفية إلى جانب بعضها بعضاً، لبلغ طولها في الكليتين مئة وستين كيلو متر .

لو نشرت سطوحها الداخلية، لاستغرقت ثماني أمتارٍ مكعبة، لذلك يجري الدم في الكليتين بطريقٍ طوله في اليومٍ واحد ما يزيد عن مئة كيلو متر، ولها معلوماتٌ دقيقةٌ، كيف يكون الضغط أعلى

في الشريان الأكبر، والضغط أقل، وما علاقة الضغط بضغط الكلية؟ موضوعاتٌ لا تعالج من على المنبر، ولكن من أجل أن يقف الإنسان وقفة خاشعة، عند قوله تعالى :

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

لا يزيد وزن هاتين الكليتين مجتمعتين عن مئة وأربعين غراماً، الكلية الواحدة التي تقوم بوظائف، يعجز عن فهمها الدماغ، لا يزيد وزنها عن سبعين غراماً، ولو بطَّأت في عملها، ولو توقفت عن عملها، لانتهت حياة الإنسان، ولغرق في سمومه .

هل كان النبي محقاً بهذا الدعاء ؟

أيها الأخوة، حينما كان يخرج النبي عليه الصلاة والسلام من بيت الخلاء، كان يقول : ((الحمد لله الذي أذاقني لذَّته، وأبقى فيَّ قوته، وأذهب عني أذاه)) .

أمراض الكليتين لا تعد ولا تُحصى، أمراض الكليتين، وأمراض الحالبين، وأمراض المثانة، كثيرةٌ جداً، هذا الجهاز الدقيق، هذا الجهاز المتقن الذي ينفي عنك الأذى، ألا تشكر الله عليه؟ كيف تكون حالة الإنسان من دون مثانة، كيف تكون؟ .

يا أيها الأخوة المؤمنون، ما ذكرت شيئاً، ذكرت عناوين، وأرقاماً سريعةً، من أجل أن يلفت نظر الإنسان إلى ما ينطوي عليه من أجهزةٍ دقيقةٍ .

03 – الكلية وعلاقتها بالملح

وظيفة الكلية في جسد الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، الكلية من الآيات الدالة على عظمة الله عز وجل، وهي بين جوانحنا، في أجسامنا، وجسم الإنسان أقرب شيء إليه، قال تعالى:

(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

طرح الملح الزائد أحد وظائف هذه الكلية، فالملح له نسبة دقيقة في الدم، إن نقص عنها أو زاد هلك الإنسان، هو يأكل بلا حساب، قد يأكل أكلاً مالحاً، وقد يأكل بعض التي فيها ملح زائد، يأكل كما يشتهي، ولكن نسبة الملح في الدم يجب أن تكون بين سبعة إلى ثمانية في الألف، فإن نقص أو زاد هلك الإنسان، وكانت حياته في خطر، لذلك هذه الكلية التي تراها صغيرة تقوم بعمل كبير، تتوقف عليه حياة الإنسان، إنها مسؤولة عن طرح الملح الزائد في الدم.

هي الحارس الأمين للجسم من زيادة الملح والسكر، يساعدها في ذلك الدماغ الذي يصدر الأوامر إلى كل أعضاء الجسم.

إليكم هذه العملية الديناميكية التي تقوم بها الكلية في عملها:

من أدق الأمثلة على عمل الكلية؛ عندما يتناول الإنسان كمية زائدة من الملح في بعض الأكلات، تأتي إشارة إلى الدماغ بأن هذا الملح قد زاد عن حده، فيرسل الدماغ أمراً هرمونياً إلى الكلية عن طريق الغدة النخامية، بأن تتوقف عن طرح الماء في حجيراتها الاحتياطية في الكلية، حجيرات احتياطية فيها ماء، تأمر الغدة النخامية الكلية عن طريق الهرمونات، فتتوقف عن طرح الماء الزائد في حجيراتها.

فإذا بالملح تزداد كثافته، وإذا زادت كثافة الملح شكل خطراً على الإنسان، عندئذ يرسل القلب نداءً عن طريق هرمون آخر إلى الأجهزة الهضمية، فيثير في الإنسان العطش الشديد، وما من أكلة مالحة إلا وتحتاج إلى ماء كثير كثير بعدها.

يدعوك هذا العطش الشديد إلى أن تشرب ماء كثيراً، ينتقل هذا الماء بوقت خيالي من المعدة إلى الدم، من أجل أن يحل الملح الزائد، فإذا حل الملح الزائد جاء أمرٌ معاكس للكلية بطرح كل الماء الزائد فيها، عندئذ يطرح هذا الماء الزائد خارج الكلية، وأنت لا تدري، أنت أكلت أكلة مالحة واستمتعت بها، والباقي تقوم به هذه الأجهزة الدقيقة التي لا يعلم دقتها إلا الله عز وجل.

انظر إلى غفلتك أيها الإنسان:

أيها الأخوة الكرام، لو وقفنا على تفاصيل كل جهاز في الإنسان، وكل عضو فيه، وكل حاسة فيه لدهشنا، ولأخذنا العجب العجاب، كل هذه الدقة وأنت في غفلة عن الله عز وجل، صدق القائل:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

أيها الأخوة، لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر على من اجترأت، قال تعالى:

(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)

[سورة النمل الآية: ٨٨]

يجب أن تعلم أن كأس الماء الذي تشربه والذي تطرحه، يمر عبر أجهزة بالغة الدقة، يحار العقل في فهمها، قبل أن يعرف طريقة عملها.

04 – المثانة

إليكم مضمون هذه المقالة :

أيها الأخوة المؤمنون، طالعت في هذا اليوم، مقالةً عن المثانة، نحن مغمورون في نعمٍ ، لا يعلمها إلا من تأمَّلها، هذه المثانة زودها الله بأعصاب متوضعة في جدرانها، فإذا امتلأت ، تنبهت الأعصاب، وأرسلت إلى النخاع الشوكي رسالةً أنها قد امتلأت، النخاع الشوكي يرسل أمراً إلى عضلات المثانة، لأن فيها عضلات تأتمر بأمرٍ من النخاع الشوكي، تتقلص هذه العضلات، ويأتي أمرٌ ثاني إلى العضلة التي تحكم إغلاق فتحتها السفلى، كي تسترخي .

لكن تصميم الله سبحانه وتعالى، فيه حكمةٌ ما بعدها حكمة، إن هذه العضلات التي قد أمرها النخاع الشوكي أن تتقلص، وهذه العضلة التي أمرها النخاع الشوكي أن تسترخي، لا تنفِّذ الأمر إلا بعد أن تأتي إشارةٌ من الدماغ، أن نفِّذوا هذا الأمر .

لو أنك في موطنٍ حساس، في اجتماعٍ مهم، تركب طائرة عند ضيفٍ يستقبلك، وامتلأت المثانة، وجاء الأمر من النخاع الشوكي، ونُفِّذ أمره، أين مكانتك؟ أين شخصيتك؟ أين شأنك؟ تحتاج إلى فوط عندئذٍ، ولكن هذه المثانة، وهذا الأمر لا ينفَّذان إلا بموافقة الدماغ، بموافقة مركز المحاكمة، هل الوقت مناسب؟ .

إلا أن هناك علاقةً عجيبة، لو أن الدماغ لم يوافق، وظل لا يوافق، واستمر على عدم الموافقة، إلى درجة أن البول بدأ يدخل من الحالبين، ليصل إلى الكليتين، عندئذٍ هناك خطر، تسمم الدم كله، عندئذٍ لا ينتظر النخاع الشوكي موافقة الدماغ، يأمر عضلات المثانة، فتتقلص ، ويأمر عضلة الفتحة السفلية، فتسترخي، ويخرج البول، حفاظاً على صحة الإنسان، ما هذا التصميم؟ .

خاتمة الدرس :

أيها الأخوة، كيف تكون حياتنا بلا مثانة؟ في كل عشرين ثانية، تنزل من الكليتين قطرتان، كيف تكون بلا مثانة؟ هذا المستودع الذي يتسع لما يزيد عن لترٍ ونصف، تستطيع أن تركب سـيارة خمس ساعات، سبع ساعات، وأنت في أوج راحتك، وتمام شخصيتك، وتوافر مكانتك، قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾

[سورة الطور الآية: ٣٥]

أيها الأخوة المؤمنون، باب الكون أوسع بابٍ إلى الله عزَّ وجل، أوسع باب ادخلوا منه، فهو مدخلٌ مفتوح، أبوابه على مصارعه .

الباب السادس عشر : الجلد والشعر



01 – اختلاف ألوان البشر

أين تقع الخلايا العنكبوتية، وكم عددها ، ما اسم الخلية التي تنجم عنها اختلاف اللون ؟

يقول الله عزَّ وجل في قرآنه الكريم:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾

[سورة الروم الآية: ٢٢]

نقف وقفةً سريعة عند قوله تعالى:

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾

[سورة الروم الآية: ٢٢]

يقول العلماء أيها الأخوة: إن في أدمة الجلد خلايا عنكبوتية، وهي على شكل العنكبوت تمتد على جوانبها زوائد رقيقة، يصل عدد هذه الخلايا في كلِّ بوصةٍ مربعةٍ إلى ستين ألف خلية، ولا اختلاف في عدد الخلايا بين أبيض وأسود، إن عدد الخلايا في الإنسان الأبيض والإنسان الملون عددٌ ثابت، ولكن اختلاف اللون ينجم عن اختلاف في كثافة المادة الملونة التي تسمى الميلانين .

أيها الأخوة الأكارم، لا يوجد فرق في هذه المادة الملونة بين إنسانٍ فاقع اللون وإنسانٍ داكن اللون إلا بما لا يزيد عن واحد غرام، وأن هذه الخلايا تتناقص بمعدَّل عشر إلى عشرين في المئة كل عشر سنوات، لذلك يميل جلدُّ الإنسان مع تقدُّم العمر إلى أن يصبح أكثر نصاعةً .

ما علة هذا الاختلاف ؟

أيها الأخوة، الذي يعنينا حقاً أن ترسُّب هذه المادة الملونة في الخلايا العنكبوتية التي تحت أدمة الجلد، والتي يزيد عددها في البوصة المربعة الواحدة على ستين ألفاً، أي أن نسبة هذه المادة الملوِّنة تحددها المورثات في نوية الخلية، ولكن ما هي العلاقة، وما هو تفسير أن الشعوب التي تعيش في خط الاستواء ألوانها داكنة، وأن الشعوب التي تعيش في قطب الكرة الشمالي أو الجنوبي ألوانها فاقعة؟ هنا تتجلى حكمة الله عزَّ وجل .

قيل: إن من خصائص المادة الداكنة تمتصُّ الأشعة فوق البنفسجية الضارة، وأشعة الشمس في خطِّ الاستواء عموديةٌ وشديدةٌ وذات تأثيرٍ كبير، لذلك تأتي هذه المادة الكثيفة في الجلد لتمتصَّ الأشعة فوق البنفسجية، وتضعف أثرها السيِّء على جسم الإنسان، وهذه هي حكمة زيادة هذه المادة

الملونة عند ساكني خط الاستواء مما يجعل جلدهم داكن اللون، بينما عند ساكني المناطق الباردة تقل كميتها في الأرض، فتبدوا ألوانهم فاقعة أو فاتحة .

ما هو المقياس الذي يعتمد عليه الإسلام في تقييم الأشخاص ؟

أيها الأخوة الأكارم، تعالوا إلى هذه الآية الكريمة:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾

[سورة الروم الآية: ٢٢]

إن اختلاف ألوان البشر أيةٌ دالةٌ على عظمة الله عزَّ وجل، وينبغي أن نـدقق فيهـا، وأن نقـف عندها، وأن نبحث عن السر الذي تنطوي عليه، إنك إن نظرت بعينك إلى وجوه الناس، لا تـرى إنساناً له لونٌ كلون الآخرين، إنك لو صوَّرتهم بآلةٍ لوجدت اللون موحداً تقريباً، بينما إذا نظـرت بعينك إليهم، لرأيت لكلِّ إنسانٍ بلونٍ خاص، بل إن العين البشرية كما تعرفون، تفرِّق بين ثمانمئة ألف لونٍ أخضر، إذن دقة العين تفرِّق بين دقة الدرجات في التلوين، يقول عليه الصلاة والسـلام في الحديث الشريف:

((أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلا بِالتَّقْوَى))

[أخرجه أحمد في سننه]

و في رواية أيضاً:

((إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

البيت مال، المركبة مال، الثياب مال، قال أحد الصحابة رضي الله عنهم لسـيدنا بـلال يعيـره بسواده، يا ابن السوداء، فغضب عليه الصلاة والسلام، وقال:

((إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

فلم يرضَ هذا الصحابي الجليل إلا أن يضع خده على الأرض ليطأه بلال بقدمه، ولما جاء سيدنا الصديق رضي الله عنه، ليشتري بلالاً من سيده، قال سيده صفوان بن أمية: ((والله لو دفعت بـه درهماً واحداً لبعتكه، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: والله لو طلبت مئة ألف درهمٍ لأعطيتكها، فلما

أخذه، وضع يده تحت إبطه، وقال: هذا أخي حقاً)) وكان أصحاب رسول الله، إذا ذكروا سيدنا الصديق، قالوا: ((هو سيدنا، وأعتق سيدنا)) يعنون به بلالاً، إذن فالإسلام سوَّى بين البشر .

02 – الشيب نور المؤمن

أيها الإخوة المؤمنون... من المعلومات التي تعرفونها ، عن خلق الإنسان ، أن في رأس كلِّ إنسانٍ، من مئة ألفٍ إلى مئتين وخمسين ألفاً ، من الأشعار ، وأن الشعرة الواحدة ، يزيد عمرها عن ثلاث سنوات.

وأن الإنسان ، يحتاج إلى أن يجدد شعره بأكمله إلى مئتي يوم ، وفي الإنسان ، مصانع للشعر، بعدد ما في جسمه من الشعر، كلُّ شعرةٍ لها مصنع ، تنتج هذه الشعرة ، وتنمو وتنمو إلى أن تبلغ أشدَّها ، ثم تهرم فتموت ، ينقص أو يزيد عمر الشعرة عن ثلاث سنوات.

ولكلِّ شعرةٍ من هذه الأشعار ، المئتين والخمسين ألفاً ، وريدٌ ، وشريانٌ ، للتغذية ، وعضلة ، للتحريك، تعمل هذه العضلة أثناء البرد ، ولكلِّ شعرةٍ من هذه الأشعار ، عصبٌ يحرِّك العضلة، كي تنتصب الشعرة، ولكلِّ شعرةٍ ، غدةٌ دهنيةٌ ، وغدةٌ صبغية.

ولا يعلم الباحثون حتى هذه الأيام ، لماذا يبيضُّ الشعر ؟ لكن بعضهم يقول: إن ابيضاض الشعر ، منشؤه عصبي ، أحدث بحوث الشيب، أن ابيضاض الشعر منشؤه عصبي ، فالكريات البيض ، تتسلل إلى الشعرة ، فتأكل صبغها الأسود ، والشيء القاطع ، أن الشيب ، كما يقول العلماء: آفةٌ جلدية ، ذات منشأٍ عصبي انفعالي ، وذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل ألفٍ وخمسمئة عام ، قال تعالى:

(فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (١٧))

(سورة المزمل)

يعني الشيب ، منشأه ، خوفٌ انفعالي ، وقال عليه الصلاة والسلام:

شيبتني هود وأخواتها.

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي اللَّهم عَنْهم يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ...))

(الترمذي: رقم " ٣٢١٩ ")

هل تظنون أن الذي شيبه قبيلة هود ؟ لا.. شيبته سورة هود ، لآيةٍ واحدةٍ فيها ، وهي قوله تعالى:

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا)

(سورة هود: آية " ١١٢ ")

شيبتني هود وأخواتها.

ويصاب كل إنسان مع تقدم العمر بالإرهاق العصبي ، وبدرجاتٍ متفاوتةٍ من الشيب:

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً)

(سورة الروم: من آية ٥٤ ")

فالشيب ، يلازم التقدم في السن ، والإمام القرطبي يفسِّر النذير، بأنه الشيب ، يعني لفت نظرٍ لطيف من الله عزَّ وجل: أن يا عبدي اقترب اللقاء فماذا أعددت له ؟ اقترب اللقاء:

((عبدي: ضعف بصرك ، وشاب شعرك ، وانحنى ظهرك ، فاستحي مني ، فأنا أستحي منك، يا عبدي ، لقد قرب اللقاء ، فماذا أعددت له ؟))

أيها الإخوة المؤمنون... سؤالٌ دقيق يؤكّد حكمة الله سبحانه وتعالى: لماذا يطول شعر الرأس ، ولا يطول شعر الحاجبين والجفنين ؟ لماذا تنبت الأشعار داخل الأنف ولا تنبت داخل الفم ؟ لماذا تنبت الأشعار في ظاهر الكف ، ولا تنبت في باطنها ؟

كيف نعصي الإله ، أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيءٍ له أية تدلُّ على أنه واحد.

* * *

شعرك آية ، فكّر في هذه الآية ، توصل منها إلى الله سبحانه وتعالى ، ترى أن لهذا الإنسان ، خالقاً عظيماً ، وصانعاً حكيماً ، أتقن صنعه ، الذي أتقن كل شيء خلقه:

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥))

(سورة الطور)

03 – مواقع الإحساس في الجلد

ماذا عن جلد الإنسان :

أيها الإخوة المؤمنون... يقول الله عز وجل:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً (٥٦))

(سورة النساء)

دققوا في هذه العلاقة:

(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ)

كأن هذه الآية، تشير، إلى أن مواقع الإحساس بالألم، وألم الحريق بالذّات، موجودةٌ في الجلد، فمن أجل أن يذوقوا العذاب، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها.

قال العلماء: الجلد مؤلفٌ من طبقتين، طبقةٌ اسمها البشرة، وهذه البشرة، تزداد سمكاً، أو رقةً، بحسب موقعها في الجسم، وبحسب الإحتكاك، وبحسب البيئة، وهذه الطبقة نفسها، مؤلفةٌ من ثلاث طبقات، طبقةٌ عليا خارجية، ووسطى، وسفلى.

وفي الجلد، طبقةٌ ثانية اسمها الأدمة، وهذه الطبقة فيها العجب العجاب، هي مؤلفةٌ من نسيجٍ ضام، فيها شعرياتٌ دموية، ونهاياتٌ عصبية، وغددٌ تفرز الدهون، وغددٌ عَرَقية، ومنطقةٌ دهنيةٌ، تحت هذه الأدمة، الأدمة، هي الطبقة الفعَّالة، في الجلد.

فالغدة الدرقية، تزيد نشاطها الخلوي، وبازدياد نشاطها الخلوي، تزيد من الحرارة، الناتجة، عن هذا النشاط، فيفقد الإنسان، بعض هذه الحرارة، عن طريق الإشعاع الحراري، وبهذا يتكيَّف الجسم، مع الجو الحار، إذا كان الإنسان، في جوٍ حار، فإن الغدة الدرقية، تبعث بهورموناتٍ، إلى الخلايا، فتزيد من نشاطها، ومن ازدياد نشاطها، تزيد كمية الحرارة، التي تشعُّها هذه الخلايا، وبهذا، يتكيَّف الجسم، مع الجو الحار، شيءٌ أغرب من الخيال.

إذا وجِدَ الإنسان في جوٍ درجته أربعين مئوية، ما الذي يحصل في جسده ؟ قال بعض العلماء: إن هناك مئتي ألف جسيم منتشر في أنحاء الجلد، فإذا ارتفعت الحرارة في الجو المحيط عن الحد المعقول، أرسلت هذه الجسيمات إشاراتٍ عصبية، تنقلها الألياف العصبية إلى المخ، والمخ يصدر أمراً بتوسيع الشريانات الدقيقة في كل أنحاء الجسم، فإذا ارتفعت حرارة الجو يتورَّد الإنسان، يميل لونه إلى الحمرة، يصبح أزهر اللون.

الباب السابع عشر : جهاز المناعة



01 – الكريات الحمراء

كم هو عدد الكريات الحمراء في جسم الإنسان، وما هو اللقب الذي أهلت له، ولماذا، وكـم هـو عمرها ؟

أيها الأخوة المؤمنون، ما منا رجلٌ، أو امرأة، صغيرٌ أو كبيرٌ، إلا وفي شرايينه وأوردته دمٌ يجري، وقد لا يعرف الإنسان ما هذا الدم، وما تركيبه، وما حجمه، وما أسراره؟ فإذا عرف شيئاً عن حقيقة الدم الذي يجري في عروقه، خشع قلبه، وخرَّ لله ساجداً .

يا أيها الأخوة المؤمنون، من منا يصدق، أن في جسم كلٍ منا، ما يزيد عن خمسٍ وعشرين مليون مليون كريةٍ حمراء، وأن تعداد الكريات في الميليمتر واحد مكعب، لا يقلُّ عن خمسة ملايين .

يصفون الكرية الحمراء، بأنها حمَّالٌ لا يعرف التعب، تحمل الأوكسجين إلى الخلايا ، والأنسجة، والأجهزة، والأعضاء، وكل مكانٍ في الإنسان، وتعود بنتائج الاحتراق، تطرح غاز الفحم في النفس، هي حمالٌ لا يعرف التعب، ولا الكلل، ولا السأم، تجول هذه الكريات في الجسم، ألفاً وخمسمئة جولةً في اليوم الواحد .

عمر هذه الكرية، يزيد عن مئةٍ وعشرين يوماً، وبعدها تموت، تقطع في هذا العمر ، ما يزيد عن ألفٍ ومئةٍ وخمسين كيلو متر في الإنسان، وتنقل ما يزيد عن ستمئة لتر من الأوكسجين، الكرية الواحدة .

مم تتكون هذه الكريات، وكيف يتم صنعها، وما هي وظيفة المركز الموجود في الكليتين ؟

أيها الأخوة الأكارم، لو بحثنا في تكوين هذه الكرية الحمراء، لوجدناها مكونةً من خمسمئةٍ وأربعٍ وسبعين حمضاً أمينياً، وأنه يتم صنعها في خمسة أيامٍ، أو أقل من ذلك، وتصنع في معامل، هي نقي العظام، فجوف العظم هو المعمل الذي ينتج الكريات الحمراء، من منا يصدق أن المعمل يصنع في الثانية الواحدة، مليونين ونصف كرية حمراء، في كل ثانية، وأن أنشط المعامل، العمود الفقري، ثم عظام الأضلاع، ثم عظم القفص الصدري الرئيسي، وبعدها تأتي المعامل في نقي العظام، عظام الأطراف، وأن الله سبحانه وتعالى، زوَّد الجسم بمعامل احتياطية، هي الكبد والطحال، فإذا تعطَّلت المعامل الأساسية، عملت الكبد والطحال على إنتاج الكريات الحمراء .

هو أن في الكليتين، مركزاً لتعيير الدم، فإذا نقص الدم عن حدِّه الطبيعي، أرسل هذا المركز أوامر هرمونية إلى مصانع الدم، تحثُّه فيه على زيادة الإنتاج، وإذا زاد الدم عن حده الطبيعي، أرسل هذا المركز الذي في الكليتين أوامر هرمونية إلى معامل الكريات، تأمره فيها بالبطء في

الإنتاج، لذلك هناك علاقة بين الضغط، وبين التهاب الكليتين، ما علاقة الكليتين بارتفاع الضغط؟ لأن في الكليتين مركزاً بالغ الحساسية، يراقب كمية الدم باستمرار.

لذلك إذا أخذ الدم عن طريق الحجامة، نقص الدم في الشرايين، ونقصه في الشرايين، يجعل مركز تعيير الدم، يأمر معامل الدم بتصنيع كميةٍ زائدة، وبهذا تنشط المعامل، ويصبح عملها جيداً، على مدار العمر، الذي يحياه الإنسان .

أيها الأخوة المؤمنون، من نظَّم هذا النظام؟ من صمم هذا الخلق؟ من رتَّب هذا الترتيب؟ ألا يستحق العبادة؟ ألا يستحق أن يطاع؟ ألا يجب أن نخشاه؟ ألا يجب أن نتقيه؟ .

خلاصة القول :

أيها الأخوة الأكارم، قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: ٢١]

خمسة وعشرون مليون مليون كرية، تعيش الواحدة مئة وعشرين يوماً، تقطع ألفاً ومئةٍ وخمسين كيلو متراً في هذا العمر، تنقل ستمئة لتر من الأوكسجين، تعمل بلا كللٍ، ولا تعبٍ، ولا سأم ، هذه الكريات كائناتٌ، قالوا: قطرها سبع ميكرونات .

أيها الأخوة الأكارم، وهذا الجهاز جهاز تعيير الدم، يعمل بمراقبة الدم بشكلٍ مستمر، وهو بالغ الحساسية، كلما نقصت كمية الدم، يعطي أمراً هرمونيا إلى المعامل بزيادة الإنتاج، وكلما زاد الدم عن حده الطبيعي، أعطى أمراً بتقليل الإنتاج، من أجل أن تبقى كمية الدم في الشرايين ثابتة .

أيها الأخوة المؤمنون، موضوع الدم لا ينتهي بدقائق، ولا بخطب، ولا بسنوات، مجلداتٌ كبيرة، أُلِّفت حول الدم فقط، حتى أن هناك اختصاصاً في الطب، مختصٌ بأمراض الدم .

02 – الشفاء الذاتي

ما هو المحور الذي يتضمنه هذا الكتاب :

كتاب علمي عنوانه الشفاء الذاتي، ألفه عالم كبير وطبيب ماهر، وقد ترجم إلى اللغة العربية، ثم نشر ملخصه في مجلة شهرية، وها أنا ذا أقتطف لكم بعض الفقرات من ملخص الكتاب المترجم، وفي هذه الفقرات من الحقائق ما يدهش .

يقول مؤلف الكتاب: إن الترسانة الطبية دواء وتقنيةً لا تمكن الأطباء من علاج أكثر من ربع الأمراض، وبقية الأمراض إما أن تشفى بنفسها أو لا علاج لها .

الحقيقة الثانية: لا يوجد طبيب لم ير أو يسمع عن حالات شفاء مرض عضال دون سببٍ طبي واضح، إن الشفاء الغامض لكثير من الأمراض المستعصية كان يحدث دوماً منذ أن وجد الطب، لكن الطب لم يتوقفْ عندها لأن بعضهم يرجعها لأسباب غير علمية، أو هي في الحقيقة ترجع إلى رحمة الله بعباده، قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

[سورة الشعراء الآية: ٧٨-٨١]

هذا هو محور الشفاء الذاتي .

ما هي أحد أسباب الشفاء الذاتي، وما هي وظائف الخلايا الموجودة في جهاز المناعة ؟

يقول: هناك جهاز خاص للشفاء الذاتي لم تأتِ على ذكره فهارس كتب الطب أو قواميسه، وهناك حالات مرضية مستعصية شفيت بشكل غامض ودون سبب واضح، من هذه الأجهزة التي أوكل إليها الشفاء الذاتي جهاز المناعة، وهو من الأجهزة الرائعة التي أبدعها الخالق، ليس لها مكان تشريحي ثابت، جهاز جوَّال وهو مبرمج ليتعرف على أية خلية غير خلايا الجسد غريبة عنه ليقوم بتدميرها، وأهم ما في هذا الجهاز ذاكرته العجيبة، فهو لا ينسى أبداً أي سلاح واجه به عدواً من أمد طويل، ولولا هذه الذاكرة العجيبة لجهاز المناعة المكتسب ليس هناك فائدة إطلاقاً من التلقيح ضد الأمراض .

هذه الخلايا خلايا جهاز المناعة، تصنع في نقي العظام، وتعد إعداداً خاصاً وقوياً في الغدة الصعترية تحت عظمة الصدر، وكأن هذه الغدة معهد إعداد المصارعين، هذه الخلايا هي خط الدفاع الأول في الجسم، كما تقوم هذه الخلايا بحماية الجسم من مرض السرطان، ولعل هذا من أبرز خصائصها، وإن من هذه الخلايا ما هو خلايا مستطلعة تتعرف إلى الجرثوم أو إلى الخلية الغريبة تأخذ شِفرتها، وتذهب بهذه الشفرة إلى الخلايا المصنعة كي تصنع سلاحاً مدمراً لها، وبعض هذه الخلايا تصنع الدواء المضاد أو المصل المضاد، وبعض هذه الخلايا خلايا مقاتلة تحمل هذا السلاح، وتذهب إلى أرض المعركة لتقضي على هذا الجرثوم، وبعض هذه الخلايا خلايا ملتهمة، هذه الخلايا يهاجمها فيروس الإيدز ويدمرها، لذلك يعتبر مرض الإيدز أخطر

مرض يصيب البشرية اليوم، لأن هذا المرض يسبب تدمير جهاز المناعة المكتسب الذي يحقق الشفاء الذاتي .

من أطرف وظائف هذه الخلايا، أن بعضها يذهب إلى الرئتين، ويلتهم بعض ما علق بالشعب الهوائية من آثاره، وشوائب التدخين، والجديد في هذا الجهاز، أن هناك خلايا من مكونات جهاز المناعة المكتسب اكتشفت في أواخر السبعينات قاتلة بالفطرة، بمعنى أنها تستطيع التعرف على الخلايا الشاذة قبل أن يبدأ شذوذها أو تلك التي تسبب ورماً .

قال مؤلف الكتاب: ثبت أن وراء جهاز المناعة قوةً خارج الجسم لا علاقة لها بالمناعة، تشكله وتطوره وتأمره، القوة المسيطرة عليه لا من داخل الجسم بل من خارج الجسم، ولا يعلم مؤلف الكتاب من هي هذه القوة؟ إنها الله .

ما الذي يضعف جهاز المناعة في جسم الإنسان، وما الذي يقويه ؟

الحقيقة العملية: أن الاكتئاب والحزن والتوتر والشدة النفسية تضعف من قوة هذا الجهاز، وأن الأمل والحب والهدوء تقوي إمكانات هذا الجهاز، لذلك الشرك بالله يضعف هذا الجهاز، قال تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية: ٢١٣]

أما المؤمن، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة هود الآية: ١٢٣]

لو أن الناس اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو أنهم اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .

التوحيد صحة، لأن الرضى والطمأنينة والأمن والثقة بالله والتفاؤل بالمستقبل هذا يقوي جهاز المناعة، وجهاز المناعة هو الذي أوكل الله إليه الشفاء الذاتي، بينما القلق والخوف والحقد هذا يضعف جهاز المناعة، وهذا الجهاز هو عصب صحة الإنسان .

03 – لا عدوى

كيف نفهم هذين الحديثين ؟

أيها الأخوة الأكارم، حديثٌ له علاقةَ بالموضوع السابق، موضوع العدوى، كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام قال قبل أربعة عشر قرناً وزيادة في حديثٍ صحيحٍ رواه البخاري :

((لا عَدْوَى))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

يقول النبي عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، وكلامه وحيٌ يوحى: ((لا عَدْوَى)) والعدوى ثابتة، ألم يقل في حديث أخر:

((إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلا تَدْخُلُوهَا))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

لماذا؟ من أجل العدوى، لكنَّ أحدث بحثٍ في علم الجراثيم هو أنه لا عدوى .

فالجرثوم، قد ينتقل من مريضٍ إلى صحيح، ولا يمرض الصحيح، وقد ينتقل من صحيحٍ إلى صحيح، فيمرض الصحيح الثاني، وقد ينتقل من مريضٍ إلى صحيح، فتسبب هذه الجرثومة للصحيح مناعة، يزداد قوةً، وقد ينتقل من صحيحٍ إلى صحيحٍ أول، وصحيحٍ ثاني، وثالث، ورابع، وخامس، وعاشر، فيصاب الصحيح العاشر .

فحينما قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((لا عَدْوَى)) أي أن العدوى لا تُمْرِضْ، ولكن العدوى تهيئ أسباب المرض، هذا معنى قول النبي وفي منتهى الدقة، لذلك قال في الحديث الصحيح، الذي رواه الإمام البخاري:

((لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَلا هَامَةَ، وَلا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

فر منه، ليس في هذا الحديث تناقض أبداً، العدوى وحدها لا تمرض، ولكن العدوى تهيئ أسباب المرض .

سؤال ورد :

وقد سُئل بعض العلماء، علماء الجراثيم، ما المنطقة في الإنسان التي يكثر فيها العدوى. فقال: الأطراف الأربعة والوجه .

ما الوضوء؟ يجب أن تغسل يديك، علمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نغسل أيدينا لا في الإناء، ولكن في ماءٍ منتزعٍ من الإناء، فإذا كان في الأيدي جراثيم، لا ينتقل هذا الجرثوم إلى ماء الإناء، وعلمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه المنافذ التي ينفذ منها الجرثوم إلى الجسم، كالأنف، والفم، والأذنان، هذه يجب أن تغسل في اليوم والليلة خمس مرات .

الوضوء أكبر وقايةٍ من العدوى، الوضوء وحده، المضمضة، والاستنثار، وغسل الوجه، واليدين، والرجلين .

إليكم هذه الأحاديث التي وردت عن النبي بشأن العدوى :

أيها الأخوة، تنتقل العدوى عن طريق جهاز التنفس، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام لأحد أصحابه، وهو يشرب:

((فَأَبِنِ الْقَدَحَ عَنْ فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّسْ، قَالَ: إِنِّي أَرَى الْقَذَى فِيه، قَالَ: فَأَهْرِقْهُ))

[أخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري في مسنده]

يقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ))

[أخرجه البخاري عن أبي هريرة في الصحيح]

أي لا ينبغي أن يزور المريض صحيحاً، إذا زار الصحيح مريضاً لا ينبغي أن يأكل عنده شيء، لعل في طعامه هذا الجرثوم .

سأل أعرابيٌ النبي عليه الصلاة والسلام:

((فَمَا بَالُ الإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ كَانَ أَعْدَى الأَوَّلَ))

[أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة]

النبي لا ينفي العدوى، ولكنه ينفي أن تكون العدوى سبباً للمرض، أمرنا أن نأخذ الوقاية، ولكن العدوى وحدها لا تكفي لنقل المرض، لأن هناك حالات كثيرة لا تكفي العدوى فيها للمرض، هذه التوجيهات النبوية من أدق التوجيهات العلمية، لأنه لا ينطق عن الهوى، لأن في تعليماته تعليمات الصانع .

الباب الثامن عشر : الأمراض والطب



01 – الطب في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

يا رب، اغفر ذنوبنا، واستر، واقبل، وتولَّ أمرنا، وفكَّ أسرنا، وأحسن خلاصنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا، واختم بالصالحات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يقول في الحديث القدسي:

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليَّ ، أتحبب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إليَّ بالمعاصي، وهم أفقر شيء إليَّ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب، أهل ذكري أهل مودتي، أهل شكري أهل زيادتي أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))

[رواه البيهقي والحاكم عن معاذ ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء ، وإسناده ضعيف]

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ..

* سيدي يا رسول الله، يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ.
* يا من قدست الوجود كلَّه، ورَعَيْت قضية الإنسان.
* يا من زكيت سيادة العقل، ونهنهت غريزة القطيع.
* يا من هيَّأك تفوُّقك لتكون واحداً فوق الجميع، فعشت واحداً بين الجميع.
* يا من أعطيت القدوة، وضربت المثل، وعبَّدت الطريق.
* يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك.

* يا من وصفت نفسك فقلت: المعرفة رأسمالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وجعلت قرة عيني في الصلاة .

* سيدي يا رسول الله، أشهد أنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حق الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد.

اللهم صلي وسلم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين الهداة المهديين، الذين وصفهم معلم البشرية، فقال:

((علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء))

[ذكره الغزالي في الإحياء]

مقدمة :

عباد الله ... أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

١ ـ الإسلام دين الفطرة :

الإسلام دين الفطرة، يحرص في تعاليمه على صحة الجسد، وطهر النفس، ويوازن بين المادة والروح، والحاجات والقيم، ويهدف إلى إصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة، لأن الأولى مَطِية الثانية. والإسلام يجعل من المسلم إنساناً متميزاً، يرى مالا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، له قلب كبير، وعزم متين، وإرادة صلبة، وهدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أسمى من رغباته، يملك نفسه، ولا تملكه، ويقود هواه، ولا ينقاد له، وتحكمه القيم، ويحتكم إليها، من دون أن يسخِّرها، أو يسخَر منها، سما حتى اشرأبت إليه الأعناق، وصفا حتى مالت إليه النفوس.

٢ ـ الخروج عن الإسلام خروجٌ عن الفطرة :

أما حينما ينقطع الإنسان عن ربه، وينقاد إلى هوى نفسه، أو حينما ينقاد الإنسان إلى هوى نفسه فينقطع عن ربه، فعندئذ تفسد علاقته بعقله، فيعطله، أو يرفض نموَّه وتطوره، أو يسيء إعماله، فيسخره لأغراض رخيصة دنيئة، عندها يكون الجهل والتجهيل، والكذب والتزوير، وتفسد علاقته بنفسه، فتَسفُل أهدافه، وتنحط ميوله، ويبيح لنفسه أكثر الوسائل قذارة لأشد الأهداف انحطاطاً، عندها تكون أزمة الأخلاق المدمرة، التي تسبب الشقاء الإنساني،

الصحة :

وتفسد علاقة الإنسان بأخيه فتكون الغلبة لصاحب القوة لا لصاحب الحق، وعندها تعيش الأمة أزمة حضارية، تعيق تقدمها، وتقوِّض دعائمها.

هل يُعقل أن تكون شخصية المؤمن الفذة التي تجمع بين رجاحة العقل وسمو النفس؟ هل يُعقل أن تكون هذه الشخصية مركبة في جسد عليل سقيم؟ كلا !!

١ ـ صحة الجسد سلامة للنفس وسموٌّ بها :

إن صحة الجسد مرتكز لسلامة النفس وسموِّها، ومنطلق لصحة العقل وتفوقه، فالله سبحانه وتعالى جعل صحة الجسد وقوته ورجاحة العقل، واستنارته علة الاصطفاء، فقال تعالى:

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

[سورة البقرة]

٢ ـ الصحة قوة :

وقد بين لنا المولى جل وعلا أن القوة والأمانة، وبلغة العصر الكفاءة والإخلاص هما المقياسان الصحيحان اللذان نقيس بهما الأشخاص حينما نقلّدهم بعض الأعمال، قال تعالى:

(قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)

[سورة القصص : الآية ٢٦]

والنبي صلوات الله وسلامه عليه ذكر أن :

((... المُؤمِنُ القَويُ خَيرٌ مِنَ المُؤمِنِ الضَعِيف ...))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

ولم يقل: الإنسان القوي، لأن القوة من غير إيمان مدمرة لصاحبها وللمجتمع، ولكن القوة إذا أضيفت إلى الإيمان فإنها تصنع المعجزات الخيرات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

بل إن النبي عليه السلام جعل صحة الجسد ثلث الدنيا، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِحْصَنٍ الْخَطْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))

[أخرجه الترمذي ، وابن ماجة]

والإمام علي كرَّم الله وجهه جعل من المرض مصيبة أشد من الفقر، وأهون من الكفر، وجعل من الصحة نعمة أفضل من الغنى، وأقلَّ من الإيمان، فقال: «ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب».

أنواع الطب:

الطب في الإسلام طب طبيعي، وطب نفسي، وطب وقائي، وطب علاجي ...

١ ـ الطب الطبيعي : «بذل الجهد صحة وسلامة»

فمن الطب الطبيعي أن شخصية المسلم مرتكزة على العطاء لا على الأخذ، ومرتكزة على بذل الجهد لا على استهلاك جهد الآخرين، ومرتكزة على العمل لا على الأمل، وعلى الإيثار لا على الأثرة، وعلى التضحية لا على الحرص، و على إنكار الذات لا على تأكيدها، وإن بذل الجهد في حد ذاته صحة، وأية صحة.

ففي بعض المؤتمرات الطبية التي عُقدت للبحث في أمراض القلب اتفق المؤتمرون على أن صحة القلب في بذل الجهد وراحة النفس، وأن طبيعة العصر الحديث تقتضي الكسل العضلي، والتوتر النفسي، وهما وراء تفاقم أمراض القلب في معظم البلدان المتقدمة تقدماً مادياً.

إن بذل الجهد في حد ذاته صحة للقلب والأوعية، وصحة للعضلات والأجهزة، وقد كان النبي صلوات الله عليه قدوة لنا في هذا المضمار فقد وجد في بعض الغزوات أن عدد الرواحل لا يكفي أصحابه، فأمر أن يتناوب كل ثلاثة على راحلة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ مِنَّا عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا كَانَ عُقْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَا: ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ، فَيَقُولُ:

((مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

[أحمد في المسند عن ابن مسعود]

مسوياً نفسه مع أصحابه، في بذل الجهد، ولما جاء دوره في المشي عَظُم على صاحبيه أن يركبا ويمشي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قمة المجتمع الإسلامي، فقالا:

((ارْكَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ))

فقال قولته الشهيرة:

((مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا))

وحينما كان النبي الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم مع بعض أصحابه وأراد أن يذبحوا شاة ليأكلوها، فقال أحدهم:

((عليَّ ذبحها، وقال آخر: وعلي سلخها، وقال ثالث: وعلي طبخها، فقال عليه الصلاة والسلام: وعلي جمع الحطب، فقال أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك هذا ، فقال: قد علمت أنكم تكفونني إياه، ولكني أكره أن أتميز عليكم، ويكره الله أن يرى عبده متميزاً على أصحابه))

[ورد في الأثر]

إن بذل الجهد صحة للقلب والأوعية، وصحة للعضلات والأجهزة وصحة للحياة الاجتماعية، وتمتين لأواصرها، وإن بذل الجهد فهم صحيح لحقيقة الحياة الدنيا، التي هي دار تكليف، بينما الآخرة دار تشريف.

هذا بعض ما في الطب الطبيعي .

٢ ـ الطب النفسي :

آ ـ الأمراض العضوية سببها الأزمات النفسية :

أما عن الطب النفسي، فيا أيها الإخوة المؤمنون، إن أمراضاً كثيرة جداً بعضها عضال، وبعضها مميت كأمراض القلب والشرايين، وأمراض جهاز الهضم، والكليتين، والأمراض النفسية والعصبية إنما ترجع أسبابها الرئيسية إلى أزمات نفسية يعاني منها إنسان الشرك في العصر الحديث، فمن أشرك بالله قذف الله في قلبه الرعب، قال تعالى:

(سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ)

[سورة آل عمران]

فتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها، وأنت من خوف الفقر في فقر، وأنت من خوف المرض في مرض، قال تعالى:

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ)

[سورة المعارج]

ويرى بعض الأطباء أن ضغط الدم ما هو في حقيقته إلا ضغط الهم، وأن الإنسان إذا غفل عن حقائق التوحيد، وسقط في هوة الشرك، فقد فتحت عليه أبواب من العذاب النفسي، قال تعالى:

(فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ)

[سورة الشعراء]

ب ـ لابد من الإيمان الذي يملأ النفس بالأمن :

فالإيمان بالله خالقاً، ومربياً، ومسيراً.

وأنه :

(وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ)

[سورة الزخرف : من الآية ٨٤]

وأنه :

(وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)

[سورة هود : من الآية ١٢٣]

وأنه :

(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)

[سورة الزمر]

وهو :

(لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ)

[سورة الرعد : من الآية ٤١]

وأنه :

(وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

[سورة الكهف]

وأنه :

(يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ)

[سورة غافر : من الآية ٢٠]

(مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

[سورة هود : من الآية ٥٦]

(مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ)

[سورة فاطر]

وأنه :

(لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

[سورة الرعد : من الآية ١١]

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)

[سورة النحل : من الآية ٩٧]

وأنه :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)

[سورة الجاثية]

وأنه :

لن يكون مَن :

(وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)

[سورة القصص]

وأن :

(الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)

[سورة فصلت]

ومن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين.

وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟

هذا الإيمان يملأ النفس شعوراً بالأمن الذي هو أثمن وأسعد ما في الحياة النفسية، ويدفع عنها القلق الذي يدمرها، والذي يجعل الحياة النفسية جحيماً لا يطاق، قال تعالى:

(وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام]

فإذا كانت السلامة تعني عدم وقوع المصيبة، فإن الأمن يعني عدم توقع المصيبة، قال تعالى:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)

[سورة التوبة]

إن الله يعطي الصحة، والمال، والذكاء، والجمال للكثيرين من خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين.

هذا الإيمان يملأ النفس طمأنينة إلى عدالة الله سبحانه وتعالى، فبيده مقاليد الأمور كلها.

وأنه:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً)

[يونس سورة: من الآية ٤٤]

والله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا، وينجيهم من كل كرب، وينصرهم على عدوهم.

هذا الإيمان يملأ النفس شعوراً بالنجاح، والفلاح، والتفوق، والفوز برضاء الله الذي يعد أثمن نجاح يحققه الإنسان على وجه الأرض.

« ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء » .

هذا الإيمان يملأ النفس راحة، وتسليماً وتفويضاً، وتوكلاً ورضاً بقضاء الله الذي لا يقضي لعبده المؤمن إلا بالحق والخير، قال عليه الصلاة والسلام:

((الإيمان بالقدَر يذهب الهم والحزن))

[ورد في الأثر]

وقال تعالى في الحديث القدسي:

((ما من مخلوق يعتصم بي من دون خلقي، أعرف ذلك من نيته فتكيده أهل السماوات والأرض، إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا جعلت الأرض هوياً تحت قدميه، وقطعت أسباب السماء بين يديه))

[ورد في الأثر]

ج ـ الصحة النفسية أساس صحة الجسد :

هذه المشاعر تحقق سعادة نفسية، وسعادة لا يعرفها إلا من ذاقها فالصحة النفسية أساس صحة الجسد، قال بعض الأطباء: « إن الرحمة النفسية كافية لإعادة ضربات القلب السريعة إلى اعتدالها، وضغط الدم المرتفع إلى مستواه الطبيعي »

فالإيمان بالله صحة نفسية، وهي أساس صحة الجسد.

٣ ـ الطب الوقائي :

آ ـ الطب الوقائي سيد الطب البشري :

الطب الوقائي في الإسلام ينطلق من أن إزالة أسباب المرض أجدى وأهون من إزالة أعراضه، وأن المرض، وإن زالت أعراضه بالدواء فإن لها آثاراً جانبية في وقت لاحق، تظهر على شكل أمراض قلبية ووعائية وكلوية من دون سبب مباشر.

ويعد الطب الوقائي سيد الطب البشري كلّه، لأن قوة الأمة تتجلى في قوة أفرادها، وإن دخلها يقاس بدخلهم، وإن الأمة التي تنزل بساحتها الأمراض، أو تستوطنها الأوبئة تتعرض لخسران كبير.

ب ـ الطب الوقائي حفاظ على الصحة والوقت والمال والجهد :

سواءٌ في هذه القوى البشرية المريضة المعطلة التي كان من الممكن أن تسهم جهودها في زيادة الدخل القومي، أو في هذه الأموال الطائلة التي تنفق في معالجة هذه الأمراض، والتي كان من الممكن أن تنفق في بناء الوطن فتسهم في منعته، ورفعته.

ويضاف إلى هذا أن ثمن معظم الدواء يستهلك نقداً أجنبياً صعباً نحن في أشد الحاجة إليه، لتنفيذ المشروعات الإنتاجية التي تعود بالنفع العام على الأمة.

وإن معالجة مريض السِّل تستمر وسطياً سنة ونصف سنة، وتكلف المريض والدولة أموالاً وإمكانات كبيرة إضافة إلى ما يعانيه المريض من العذاب والقلق، بينما لا تحتاج الوقاية من هذا المرض إلا إلى لقاح يكلف بضعة قروش.

ج ـ النظافة من أهم وسائل الطب الوقائي :

والنظافة من الطب الوقائي، فالإسلام يأمر بالنظافة، فهي تقي من انتقال كثير من الأمراض المعدية التي تنتقل بتلوث الأيدي كالكوليرا والزحا، والالتهاب المعوي.

والنظافة تنشط الدورة الدموية بتنبيه الأعصاب، وتدليك الأعضاء، وتحفظ وظائف الجلد أن تتعطل، فضلاً عن أثر النظافة في بناء الشخصية، وفي العلاقات الاجتماعية.

الله سبحانه وتعالى حثنا عليها، وجعلها سبباً لمحبته، فقال تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)

(سورة البقرة)

مستويات الطهارة:

وقد فهم الإمام الغزالي هذه الآية على أربع مستويات:

الأول: تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث.

الثاني: تطهير الجوارح عن المعاصي والآثام.

الثالث: تطهير النفس عن الأخلاق الذميمة والرذائل الممقوتة.

الرابع: تطهير النفس عما سوى الله.

وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بغسل اليدين قبل الطعام، فعَنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ بَعْدَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ))

[أخرجه الترمذي ، وأخرجه الإمام أحمد والحاكم عن سلمان ، وفي سنده ضعف]

د ـ الإسلام يأمر بالنظافة :

ولا يخفى أن وضوء الطعام هو غسل اليدين والفم.

وقد جعل النبي عليه الصلاة والسلام غسل الجمعة واجباً دينياً، ولو كان مُد الماء بدينار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))

[البخاري]

ولا أدلُّ على أهمية النظافة في الإسلام من أنه جعلها شرطاً لأول عبادة فيه، وهي الصلاة، فقال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

[سورة المائدة]

وقد تفضل الله علينا بالماء الطهور، أي الطاهر المطهر لنتطهر به، فقال تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)

[سورة الفرقان]

وقال أيضاً :

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)

[سورة الأنفال]

اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها .

ه ـ الصلاة وعلاقتها بالطب الوقائي :

والصلاة بحركاتها من قيام وركوع وسجود واعتدال نوع من الطب الوقائي، فقد أكد علماء التربية الرياضية أن أحسن أنواع الرياضة ما كان يومياً، ومتكرراً، وموزعاً على كل أوقات اليوم، وغير مجهد، ويستطيع أن يؤديها كل إنسان من كل جنس، وفي كل عمر، وفي كل ظرف وبيئة، وهذا كله متوافر في الصلاة.

هذا وإن انخفاض الرأس في الركوع والسجود يسبب احتقان أوعية المخ بالدم، وعند رفع الرأس فجأة ينخفض الضغط في الأوعية، وتتكرر هذه العملية ست مرات في الركعة الواحدة، وما يزيد على مائتي مرة في اليوم، وستة آلاف مرة في الشهر، ومن انقباض الأوعية وانبساطها تزداد مرونتها، وتقوى جُدُرُها وعضلاتها، وهذا يبعد عنها خطر تصلبها أو انفجارها، ولاسيما حين ارتفاع الضغط.

والصلاة تحرك جميع عضلات الجسم القابضة والباسطة، وتحرك جميع المفاصل حتى الفقرية منها، وتنشط القلب والدورة الدموية، وتقوي جدر شرايين المخ، فتقاوم التصلب والتمزق، وإن أخطر جهاز في الإنسان دماغه، وإن حسن تأديته وظائفه منوط بحسن ترويته بالدم، وإن السجود يوفر له تروية مُثلى، هذا فضلاً عن الطمأنينة والسعادة التي يشعر بها المصلي.

هناك امرأة أنهكتها آلام الشقيقة.. فذهبت إلى بلد أوربي بغية المعالجة، فقال لها الطبيب هناك: هل أنت مسلمة؟ قالت: نعم، قال لها: أتصلين؟ قالت: لا، قال لها: صلِّ يذهب ما بك، فامتلأت غيظاً، وسخرت من هذه الوصفة، وقالت: هل تجشمت مشاق السفر، وبذلت عشرات الآلاف ليكون الدواء هو الصلاة؟! عندئذ قال لها: إن أحد أسباب الشقيقة نقص في تروية المخ، بسبب عصبي، وإن الصلاة تحقق راحة نفسية تسهم في توسيع شرايين المخ.

و ـ الاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي :

والاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات من الطب الوقائي، قال تعالى:

(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)

[سورة الأعراف]

فنص الآية يأمر بالاعتدال في الطعام والشراب، لكن النهي عن الإسراف لم يقيد بالطعام والشراب، بل أطلق ليشمل كل شيء، والمطلق في القرآن على إطلاقه.

وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام حدود هذا الاعتدال، فعَن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

((مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ))

[أخرجه الترمذي ، وابن ماجة]

قال أحدهم : « إن عُشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء، وإن تسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياءً ».

وقد بين المصطفى صلوات الله عليه أن لذة الطعام لا تُحصَّل باختيار أنفس الأطعمة وأطيبها ، ولكنها تُحصَّل بحالة تلابس الآكل ، ألا وهي الجوع فقال عليه الصلاة والسلام :

((نِعم الإدام الجوع))

[ورد في الأثر]

وقد كُتب على مدخل إحدى المستشفيات في بلدٍ أوربي متقدم بمقياس العصر:

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ».

هذا أصل في الطب الوقائي، لأن الفائدة من الطعام لا تتحقق إلا بتمثله تمثلاً صحيحاً، ولا يكون الهضم والتمثل صحيحين إلا إذا انهمرت العصارات الهاضمة على الطعام انهماراً، وهذه لا تنهمر إلا في الجوع.

اجلس إلى طعام، وأنت تشتهيه، وارفع يدك عنه، وأنت تشتهيه، وقد بين النبي صلوات الله عليه أن في الطعام لذةً نتذوقها، وطاقة نستهلكها، وفضلات نطرحها فقال:

((الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيَّ قوته ، وأذهب عني أذاه))

[الجامع الصغير عن ابن عمر ، وفي سنده ضعف]

فالاعتدال في الطعام والشراب وسائر المباحات أصل الطب والوقائي.

٤ ـ الطب العلاجي :

أ ـ الطب العلاجي موافق :

وفي الإسلام طب علاجي... والطب العلاجي يعني تعاطي الدواء، والأخذ بأسباب الشفاء، والطب العلاجي موافق للعقل والشرع، فموافق للعقل، لأن في استعمال الدواء جلباً للمنافع، ودفعاً للمضار، وموافق للشرع لقول الله عز وجل:

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)

[سورة الشعراء]

وقد بين النبي الكريم ما تنطوي عليه هذه الآية فقال :

عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ))

[رواه الترمذي ، والنسائي وأحمد ، وأصله في صحيح البخاري]

ب ـ الشفاء مرهون بصحة تشخيص الداء ، وصحة اختيار الدواء :

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفاء من المرض يحتاج إلى شرطين اثنين، الأول: صحة تشخيص الداء، وصحة اختيار الدواء لهذا الداء، وهذا شرط لازم غير كاف، والثاني: إذنٌ من الله لهذا الدواء، أن يفعل فعله، فيزيل أسباب المرض وأعراضه، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

[رواه مسلم عن جابر]

إن الطبيب له علم يدل به   إن كان للناس في الآجال تأخيرُ

حتى إذا ما انقضت أيام رحلته   حارَ الطبيب وخانته العقاقيرُ

ج ـ التداوي لا يتناقض مع الإيمان بالقدر :

والتداوي لا يتناقض مع الإيمان بالقدر، ولا يتناقض مع التوكل، فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:

((فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ))قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ))

[البخاري]

ففرح عمر رضي الله عنه بذلك، وحمد الله تعالى إذ وفق إلى الصواب.

وقد قال الفقهاء: « إن استعمال الدواء المقطوع بفائدته بإخبار الأطباء لعلاج مرض يقعد المريض عن القيام بواجباته تجاه الله وتجاه الناس، أو مرض يودي بحياته أو بعضوٍ من أعضائه، واجب ديني يرقى إلى مستوى الفرض ».

وهنا محل الإشارة، إلى أن الطب في الإسلام اختصاص، وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ - أي معرفة بالطب - قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ))

أي مسؤول .

[رواه النسائي ، وأبو داود ، وابن ماجه]

أيها الإخوة المؤمنون: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمولُ

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)

[سورة يونس]

حملة صحية لتلقيح الأطفال :

أيها الإخوة في هذا القطر العربي السوري، تجسيداً لهذه الحقائق، وتنفيذاً لتلك المبادئ التي جاء بها الإسلام، وانطلاقاً من أن العناية بالصحة واجب ديني في الدرجة الأولى، وأن من العناية بالصحة التحصين ضد الأمراض السارية التي تفتك بالأطفال فلذات الأكباد، ولا سيما من كان منهم دون الخامسة، فقد قامت وزارة الصحة مشكورة بتوجيه من السيد رئيس الجمهورية بحملة تلقيح وطنية شاملة، لجميع أطفال القطر، ممن هم دون الخامسة ضد الحصبة، والشلل، والسِّل، والدفتريا، والسعال الديكي، والكزاز، بغية الوصل إلى نوع من الحصانة الجماعية،

وكذلك أعدت وزارة الأوقاف بالتعاون مع وزارة الصحة حملة توجيهية دينية، فحواها أن الوعي الصحي جزء من الوعي الديني، وأن في الإسلام توجيهات صحية لو طبقها المسلم لعاش حياة طيبة، ولا استراح وأراح، وقد خصصت وزارة الأوقاف بعض مراكز العبادة والمدارس الشرعية لتكون مراكز للتلقيح.

حقائق مهمة لبيان أهمية تلقيح الأطفال :

ولكي يعرف المواطنون حجم المشكلة الصحية الناتجة عن تقاعسهم عن تلقيح أبنائهم، ولكي يسارعوا ويستجيبوا لنداءات التلقيح الوطنية أضع بين أيديهم الحقائق التالية:

إن قطراً من الأقطار النامية يزيد عدد سكانه على عشرة ملايين يموت من أطفاله سنوياً خمسة آلاف طفل ؛ بسبب عدم تحصينهم ضد الأمراض السارية الفتاكة ، وأما الأطفال الذين يصابون بهذه الأمراض ، ولا يموتون فيعانون من علل مدمرة تنغص مستقبل حياتهم ، وتجعلهم عالة على المجتمع يستهلكون ، ولا ينتجون .

والشيء المؤسف أن سبعين في المائة من الأطفال الرضع لا يُحَصَّنون ضد هذه الأمراض السارية .

أيها الإخوة الأحبة ، ستبدأ الجولة الأولى من حملة التلقيح الوطنية هذه غداً يوم السبت الثالث عشر من أيلول ، وسيخصص مركز صحي لكل ألف منزل أو خمسة آلاف مواطن على مستوى القطر ، وما على المواطنين إلا أن ينطلقوا صبيحة الغد لتلقيح أطفالهم ممن هم دون الخامسة عملاً بقوله تعالى :

وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

(سورة البقرة)

وقوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا

(سورة النساء آية ٢٩)

02 ـ لكل داء دواء

أيها الأخوة الكرام:

موضوع الدرس اليوم موضوع يمس كل إنسان، هذا الموضوع حول أن إنساناً أصابته مصيبة، هذه المصيبة نغصت عليه حياته أو قلبت حياته إلى جحيم، ما السبيل إلى الخلاص منها ؟ هل في هذا الدين القويم، وهذا الشرع الحنيف، دواء ناجح لهذا الداء، وما أكثر المصائب، مصائب في المال، مصائب في النفس، مصائب في الأهل.

ثبت أيها الأخوة في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))

(البخاري ـ ابن ماجة)

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلا، النفي والاستثناء، هذه صيغة الحصر يعني أي داء أنزله الله عز وجل أنزل له شفاءً، بقي الداء بأوسع معانيه الداء المادي والداء المعنوي، الداء في الجسم، والداء في النفس.

((مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً))

وفي صحيح مسلم:

((عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ))

(مسلم ـ أحمد)

أولاً هذا الحديث يملأ النفس ثقةً برحمة الله، ثانياً الحديث علمي كل شيء خلقه الله مما يؤذي الإنسان خلق له ما يشفيه، طبعاً فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هذا الموضوع متعلق بالطب إذا

عرف الطبيب حقيقة المرض ووصف له الدواء برأ بشرط أن يسمح الله لهذا الدواء أن يفعل فعله، وفي حديث ثالث ورد في مسند الإمام أحمد:

((عَنْ أبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قالَ قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إلا أنْزَلَ لَهُ شِفاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ))

(أحمد ـ ابن ماجة)

((عَنْ أسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قالَ: قالَتِ الأعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ألا نَتَدَاوَى، قالَ: نَعَمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا فَإنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ لَهُ شِفاءً أوْ قالَ دَوَاءً إلا دَاءً وَاحِدًا، قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ قالَ الْهَرَمُ قالَ أبمو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأبي هُرَيْرَةَ وَأبي خُزَامَةَ عَنْ أبيهِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ))

(الترمذي ـ أبي داود ـ ابن ماجة)

حديث رواه الإمام البخاري، وحديث رواه الإمام مسلم، وحديث رواه الإمام أحمد في مسنده كل هذه الأحاديث تبين أن أي داء خلقه الله خلق له شفاءً، يأس لا يوجد، قنوط لا يوجد، اليأس هو الكفر القنوط هو الكفر، لا يقنط من روح الله إلا القوم الكافرون، قال تعالى:

(لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧))

(سورة يوسف)

القنوط واليأس يساويان الكفر، السبب لأن المؤمن يؤمن بأن الله بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير وأن العبد إذا دعاه سمعه فإذا كان الدعاء خالصاً استجاب الله له.

النقطة الثانية الآن هذه الأحاديث الصحيحة أريد أن أصل منها إلى تعميم الموضوع لا إلى تضيقه، أكثركم توهم أن لكل داء دواء يعني كل مرض الله خلقه في الإنسان له دواء، أنا أريد أن أوسع هذا أي مرض يصيب الإنسان حتى ولو كان مرضاً نفسياً، حتى ولو كان قضية في الدين، كل مشكلة لها حل والدليل:

((عَنْ جَابِرٍ قالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَألَ أصْحَابَهُ فَقالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ، فَقالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخْبِرَ بِذَلِكَ فَقالَ: قتَلُوهُ قتَلَهُمُ اللَّهُ ألا سَألُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإنَّمَا شِفاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أوْ يَعْصِبَ شَكَّ مُوسَى عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ))

(أبي داود)

إذا إنسان لا يملك الجواب هذا داء ـ الجهل ـ شفاءه السؤال، معنى هذا أن النبي وسع الموضوع، الأحاديث الصحيحة الثلاثة ليست متعلقة بالطب فقط، إنسان يعاني من مرض الجهل، هذا المرض دواءه السؤال فقال عليه الصلاة والسلام:

((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ أَوْ يَعْصِبَ ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ))

أخبر أن الجهل داء وأن شفاءه هو السؤال، طبعاً درسنا اليوم نريد من هذا الدرس أن نوسع مفهوم هذه الأحاديث، أي مشكلة تعاني منها أي قضية نفسية، اجتماعية، أسرية، زوجية، مالية، اقتصادية مرضية، أي مشكلة تعاني منها ما من داء إلا وقد خلق الله له دواء علمه من علمه وجهله من جهله، يعني إن لم تعلم الدواء ليس معنى هذا أن الدواء غير موجود، إن لم تعلم الدواء اسأل من يعلم الدواء لكل داء دواء.

الآن القرآن الكريم الله عز وجل جعله شفاءً، لا شك أعيد مرة ثانية الأحاديث الصحيحة الثلاثة التي بدأت بها الدرس قد يتوهم أحدكم أنها متعلقة بالجسم فقط، الله عز وجل جعل القرآن هو الشفاء، كم من مشكلة فكرية يعاني منها الإنسان يجد حلها في القرآن، كم من سؤال مستعصي يراود الإنسان يجد حله في القرآن، كم من حالة كآبة يعاني منها الإنسان يجد حلها في القرآن فالله سبحانه وتعالى يقول:

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ)

(سورة فصلت)

القرآن شفاء، ربنا جل جلاله جعل هذا رحمةً لنا وشفاء الأمراض النفسية، أمراض في الفكر، أمراض في العقيدة الأزمات النفسية، الضيق النفسي، اليأس أحياناً الشرود، الخوف الشديد، الخوف المرضي، هذه كلها أمراض شفاؤها بالقرآن.

أيها الأخوة:

يوجد عندنا دواء لكل داء، الآن بدأنا في الأدوية، دواء لكل داء في متناول كل إنسان وبإمكان كل إنسان أن يتناوله، مبذول ولكن لا أحد يعبأ به، والله الذي لا إله إلا هو إن هذا الدواء يفعل فعل السحر في الأمراض، هذا الدواء هو الدعاء، أنا أعلم علم اليقين أن أناساً كثيرين لا يقيمون وزناً للدعاء، ما الدعاء ؟ أنت حينما تدعو خالق الكون الله جل جلاله بعلمه وقدرته، ورحمته معك، فأي شيء تخافه عندئذ، لكن الدعاء له شروط، الآن أخ يعاني من مشكلة، يعاني من ضيق ذات يد، لا سمح الله من مرض عضال، من شبح مصيبة من مشكلة في بيته، من مشكلة بأولاده، مشكلة مع زوجته مشكلة في دخله، في رزقه، مشكلة في نفسه كآبة، أية مشكلة تعاني منها الدعاء هو الشفاء لهذه المشكلة، لكن الدعاء علمه أصحاب رسول الله فاستعملوه كما أراد الله.

أولاً يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ))

(الترمذي)

أول شرط من شروط الدعاء المستجاب أن يجتمع القلب مع اللسان دعاء باللسان لا قيمة له، لا يستجاب أما إذا كان القلب مع اللسان كان القلب خاشعاً، وكان حاضراً، وكان مخلصاً وجاء الدعاء فهذا الدعاء يعد أكبر سلاحاً بيدك، يقول عليه الصلاة والسلام:

((ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ))

دعاء فصيح، صوت مرتفع، موزون، فيه سجع، منتقى، محكم والقلب غافل، والقلب ساه ولاه، هذا الدعاء لا يقبل أما إذا جعلت قلبك مع لسانك، كان قلبك حاضراً وخاشعاً، وكان قلبك ملتفتاً إلى الله عز وجل فهذا الدعاء يفعل فعلاً سحرياً، أول شرط صحوة القلب وحضوره.

الشرط الثاني: أكل المال الحرام يبطل قيمة الدعاء، في الدخل يوجد شبهة، لا يوجد ورع، لا يوجد دقة، في البيع كذب، تدليس إخفاء عيب، يمين كاذبة، يمين فاجرة، في تساهل، في آلاف المخالفات في البيع والشراء، إذا كان في مخالفات في البيع والشراء صار المال حرام ومن أكل طعام اشتراه بمال حرام منع الدعاء المستجاب.

أيها الأخوة:

ما الذي زهد الناس بالدعاء ؟ أن المسلمين يدعون الله ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً، في لقاءاتهم، في محاضراتهم، في خطبهم، في صلواتهم، وأدعية فصيحة وعالية، وموزونة، ولا تجد أن هناك استجابة من الله عز وجل، لذلك الناس بجهلهم انكمشوا عن الدعاء منذ متى نقول الله شتت شملهم أعداءنا اليهود، اللهم فرق جمعهم اللهم اجعل كيدهم في نحرهم، لم يصبهم شيء إلى الآن، والمشكلة بالداعي مهما كان الدعاء فصيحاً، مهما كان الدعاء قوي صوت مرتفع، يحتاج إلى حضور قلب، أكل المال الحرام يبطل قيمة الدعاء، يقول عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث ورد في صحيح مسلم:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ))

(مسلم - الترمذي - أحمد - الدارمي)

أحياناً تكون آلة كبيرة جداً لا تعمل، يكون خط مقطوع كهربائي إذا وصل عملت، هذا الدعاء افرضه آلة كبيرة إذا في أكل مال حرام أو القلب ساه ولاهي الدعاء لا يفعل فعله، ندعو فلا يستجاب لنا.

ذكر الإمام أحمد في كتاب الذكر أن بني إسرائيل أصابهم بلاء فخرجوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إلى الصعيد بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بها بيوتكم من الحرام، الآن حين اشتد غضبي عليكم لم تزدادوا مني إلا بعداً.

يعني يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال: أحب عبادي إلي تقي القلب نقي اليدين لا يمشي إلى أحد بسوء. اليد النظيفة والقلب الطاهر والنفس الطاهر هذا الدعاء يفعل فعله.

يوجد قصة جرت معي يوجد فائدة من روايتها، والقصة أعتقد قبل خمسة عشر سنة في هذا المسجد، بعد أن انتهى درس الأحد أنا خرجت رجل استوقفني خارج المسجد وقال لي: بعثني إلى عندك فلان ـ وذكر لي اسم صديق توفي رحمه الله ـ قلت له: ما الموضوع؟ قال: لي عندك سؤال، قلت: تفضل ـ وذهبت به إلى البيت وكانت بيتي في العفيف، قال لي: أنا شاب أحمل شهادة عليا درست في أوربا، ولي منصب رفيع في معمل وأنا مصاب في مرض الصرع أقع في الساعة، هل يوجد عندك حل لهذا المرض ؟ قلت له: أنا ليس طبيب، قال: لا هل يوجد عندك حل كرجل دين وأنا أعلم أنك لست طبيباً ولكن كرجل دين مشكلتي هل لها حل عندك؟

طبعاً اسمحوا لي أن أقول لكم أنا تورطت وقلت له يوجد حل عندي قال تعالى:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (١٤٧))

(سورة النساء)

طبعاً قلت هذا الكلام، قال لي: ماذا أفعل ؟ قلت له: تب إلى الله توبةً نصوحة، ولكن أنا ما التقيت بإنسان مهتم ومتطلع إلى حل لمشكلته، قال لي: ماذا أفعل ؟ يعني ذكرت له غض البصر مثلاً أداء الصلوات في أوقاتها، ضبط السان، ضبط المنزل، ضبط الزوجة، وأذكر أنه أخرج ورقة وكتب، أربعين خمسين بند، ويقول ماذا أفعل، ويبدو أنه متلهف تلهف بلا حدود، وذكرت له بعض الطاعات وبعض المخالفات، قال لي: إن شاء الله سأفعل.

أذكر أن هذه الحادثة يوم الأحد، الأحد الثاني قال لي: تأتيني في الأسبوع ثلاث مرات أربع مرات، مرة في السيارة، مرة في المكتب مرة في الطريق، قال لي: حياتي جحيم لا يطاق وأنا أحمل شهادة عليا ودارس دراسة عليا، ولي عمل، ولي بيت وزوجة، شيء لا أحتمله، قلت له: خير إن شاء الله والذي أعرفه أن الله سبحانه وتعالى يقول:

(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً (١٤٧))

(سورة النساء)

ولكن بعد أن ذهب كأني ندمت هل معقول مرض في الدماغ تخريش في الدماغ، مرض مستعصي ليس له حل أنت بهذه البساطة قلت له حل، والله الذي لا إله إلا هو الدرس الثاني حضر الدرس وسلم علي بحرارة وقال: أستاذ أبشرك أول أسبوع ما صار معي ولا حادثة، ولكن أنا رأيته صادق جداً في عزيمته على التوبة، يكتب ثاني جمعة سألناه قال: الحمد لله، أذكر سبع أسابيع كنت أسأله كل أسبوع، الأسبوع الثامن غاب قلت في نفسي رجعت له وأنا شعرت بإحباط لأني تورطت معه وقلت له لها حل طبعاً استقيم الله يعافيك الأسبوع التاسع رجع وهو الذي بادرني، قال: اطمئن على مبدأك أنا ارتكبت مخالفة ورجعت لي والله، دخل إلى عند صديق له ويوجد اختلاط وسهر وملأ عينيه من الحرام وغلط فقال: في الطريق جاءتني، بعد هذا الله عز وجل أخذ بيده والتقيت به منذ فترة وطمأنني، يعني مرض ليس له شفاء مستعصي ولكن عامل الله عز وجل بإخلاص.

أنا أردت من هذا الدرس إذا أخ عنده مشكلة، عنده قضية، قضية مسدودة الأمل ضعيف، المرض عضال، المشكلة مستحكمة القضية مالية، أنت تخاطب خالق الكون كل شيء بيده، كل شيء بيده لا يستعصي عليه شيء وهو على كل شيء قدير، قال تعالى:

(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠))

(سورة الشعراء)

(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨))

(سورة الذاريات)

يوجد أدلة كثيرة جداً لا يوجد أخ إلا وعنده قصص، أنت تعامل رب العالمين من بيده ملكوت كل شيء، يجير ولا يجار عليه، فإذا الإنسان شعر أنه ليس من المعقول أن الله يشفيني، أن يخلصني ليس معقول... معنى هذا أنت يائس من رحمة الله، هذا اليأس نفسه مرض، أما المؤمن يوجد عنده تفاؤل، ثقة بالله عز وجل ليس لها حدود.

الدعاء كما قال عنه العلماء من أنفع الأدوية، صدقوني أيها الأخوة إذا أخ عرض لي قضية يبدو أنها مستعصية وليس لها حل، والطرق كلها مسدودة أنصحه بإخلاص، بصلاة الليل وأن يدعو الله في السجود، ياربي ألم تقل في الحديث الصحيح:

((إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ هَلْ مِنْ تَائِبٍ هَلْ مِنْ سَائِلٍ هَلْ مِنْ دَاعٍ حَتَّى يَنْفَجِرَ))

(البخاري ـ مسلم ـ الترمذي ـ أبي داود ـ ابن ماجة ـ أحمد ـ الدارمي)

فكل إنسان يعاني من مشكلة وطبق هذه الشروط دخل حلال، في دخله لا يوجد كذب ولا تدليس، ولا غش، ولا احتيال، ولا إيهام ولا احتكار، ولا إيهام، وقلب حاضر خاشع، وإخلاص لله أنت بالدعاء

أقوى إنسان على وجه الأرض أنت أقوى من أي مشكلة أقوى من أي مرض، أقوى من أي قضية تبدو مستحيلة الحل.

الدعاء من أنفع الأدوية، عدو البلاء، يدافع البلاء ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل سلاح المؤمن، من حديث علي رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض))

أنا أريد هذاالدعاء الذي يئس الناس منه، لأنهم يسمعون أدعية فصيحة جداً والله لا يستجيب، نحن نريد دعاء طاهر، دعاء من قلب خاشع، دعاء من إنسان مستقيم، دعاء من إنسان دخله حلال دعاء من ورع، أنت بالدعاء أقوى إنسان على وجه الأرض، أيام يقول لك إنسان عندي زوجة لا يوجد إمكان أن تنصلح، غلطان الله تعالى قال:

(وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)

(سورة الأنبياء)

عندي ابن شارد، الله عز وجل يهديه إليه، الآن استمعوا أيها الأخوة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم في مستدركه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة، الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء))

أنا لا أطلب منكم أن تتركوا السعي وتتوانوا وتدعوا، لا، تقوم بالأسباب بكاملها ولكن وحدها لا تكفي، عليك أن تؤدي الأسباب كلها قال تعالى:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَباً (٨٥))

(سورة الكهف)

إياك أن تفهم مني أن تدع الأخذ بالأسباب، أبداً هذا سلوك فيه معصية، تأخذ بكل الأسباب، يعني ابن مريض تأخذه عند أمهر الأطباء وتنفذ التعليمات بأدق تفاصيلها، ثم تقول يارب أنت الشافي أنت المعافي، الأمل بك، الرجاء منك، يوجد فرق بين أن تأخذ بالأسباب وتعتمد عليها، وبين أن تأخذ بها طاعة وأن تعتمد على الله هذا موقف دقيق، يوجد عندك منزلقين الأخذ بالأسباب منزلق، وأن تعتمد عليها، وترك الأسباب معصية فأنت إنك عاص إن لم تأخذ بها وإما أن الإنسان مشرك إن اعتمد عليها، لكن البطولة أن تأخذ بها وأن تجعل ثقتك بالله عز وجل، يقول عليه الصلاة والسلام من حديث ثوبان فيما رواه الحاكم والترمذي:

((لا يرد القدر إلا الدعاء))

أنا والله الذي لا إله إلا هو لا أصدق إنسان قام في جوف الليل فتوضأ وناجى رب السماوات والأرض، يارب هذه مشكلتي بين يديك هذه قضيتي، هذه مصيبتي، أنت القادر على شفائي أنت القادر على رفع البلاء، الأمل معقود عليك أن القوي ونحن الضعفاء، أنت الغني ونحن الفقراء، لا يوجد إنسان يقف ليصلي ويناجي الله ويضع كل ثقته بالله الله يخيب رجاءه، قال تعالى:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ(٦٢))

(سورة النمل)

التقيت من أسبوعين مع أخ قال لي: يوجد إنسان أخذ منه مبلغ كبير على أساس يعطينا أرباح طائلة وكان نصاب، والمبلغ كبير وأنا جمعته من أقربائي، وآخذ مبالغ كبيرة من الناس وجدت لا يوجد أمل ذهب المبلغ، قال لي: صرت أصلي قيام الليل هذا المبلغ ليس لي وثقوا مني وأعطوني إياه، أقسم لي بالله أنه ما أعطى أحداً مبلغه الكامل، كيف لا أعرف، أعطاني مبلغي بالتمام والكمال ولم يعطِ أحداً غيري، بفضل الدعاء، أنا أشجعكم أعطيكم ألف دليل على أنك إذا دعوت الله مخلصاً مهما تكن قضيتك عويصة، مهما تكن المشكلة مستحكمة، مهما بدا لك الطريق مسدوداً، مهما بدت العقبات كؤدةً مهما بدا لك الأمل ضعيفاً، الله عز وجل هو القوي، الغني، بيده كل شيء، وقد تجد استثناءات غير معقولة.

أنا أعتقد أنه لا يوجد أحد من أخوتنا الكرام إلا عنده عشرات القصص التي تؤكد هذا الكلام، الآن يوجد شيء بالدعاء الإلحاح بالدعاء، يقول دعيت أنا، لا، يجب أن تلح في الدعاء لأن الله يحب الملحين في الدعاء اسأله مرة، ومرتين، وثلاثة، والظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وأنت تمشي في الطريق، وأنت تقود مركبتك، وأنت في بيتك يارب ليس لي غيرك، الله يحب الإلحاح، لا تلح على إنسان إلا أن الله يحبك، الإنسان إذا ألححت عليه يكرهك أما الله بالعكس مهما ألححت على الله فإنه يحبك.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لا يَسْأَلْهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))

(أحمد ـ الترمذي ـ ابن ماجة)

وفي حديث آخر:

((لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد))

النبي الكريم في غار ثور وصلوا إلى الغار قال سيدنا الصديق: لو نظر أحدهم إلى موقع قدمه لرآنا، في الخندق قال تعالى:

(إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)

(سورة الأحزاب

(وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً(٢٥))

(سورة الأحزاب)

الآن دخلنا في تفاصيل الدعاء، الإلحاح في الدعاء:

((مَنْ لا يَسْأَلْهُ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))

((لا تعجزوا في الدعاء فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد))

تدعو وتهلك مستحيل، مستحيل على ذات الله أن تدعوه وأن يهلكك، وفي الحديث الصحيح:

((إن الله يحب الملحين في الدعاء))

موانع الدعاء أول مانع أن يكون في دخل حرام، ثاني مانع أن يكون القلب ساه ولاه عن الله، أن لا يكون في خشوع، المانع الثالث هذا المانع أن يستعجل العبد وأن يستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً، بذر بذراً ويقول زرعنا البارحة الزيتونة أين الزيتون ؟ لم تخرج فقلعها هذا الذي يستعجل ويقول دعوت فلم يستجب لي، ليس أنت تفرض على الله عز وجل وقت الإجابة، أنت دعوت انتهى دورك الآن انتظر من الله أن يستجيب لك في الوقت المناسب وفي الوضع المناسب، الله جعل لكل شيء قدر، أما الذي يقول دعوته ولم يستجب لي معنى أنت فرضت على الله عز وجل تنفيذ الدعاء بوقت معين، لا هذا سوء أدب مع الله، لذلك قال عليه الصلاة والسلام بالحديث الصحيح في صحيح البخاري:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي))

(البخاري ـ مسلم ـ الترمذي ـ أبي داود ـ ابن ماجة ـ أحمد ـ مالك)

إذا قلت دعوت ولم يستجب لي معنى ذلك أنك تعجلت وكأنك يئست من رحمة الله، وكأنك فرضت على الله وقتاً معيناً لإجابتك وهذا من سوء أدبك مع الله، دعوت وقت الإجابة بيد الله عز وجل، قال تعالى:

(قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا)

(سورة يوسف)

بعد كذا سنة الله عز وجل استجاب، وفي صحيح مسلم:

))عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ ؟ قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ))

(البخاري ـ مسلم ـ التركذي ـ أبي داود ـ ابن ماجة ـ أحمد ـ مالك)

إذاً من المصيبة الكبيرة أن تدع الدعاء لتوهمك أن الله لم يستجب لك، كم مانع صاروا ؟ ثلاثة غفلة القلب، والدخل الحرام والاستعجال هذه موانع الدعاء، وفي مسند أحمد:

((عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ ؟ قَالَ: يَقُولُ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي))

(أحمد)

أنت لا تعرف متى الإجابة المناسبة، أنا ذكر لي أخ هو طالب طب كان يدرس في حلب وقال لي: أنا بلدي في إدلب يوم الخميس أردت أن أذهب إلى بلدي جاء إلى مركز الانطلاق في سيارة خمس ركاب جلست في المقعد الأمامي ـ وهو قطعته صغيرة ـ المقعد الخلفي ملآن ناقصهم راكب، يأتي شخص ضخم الجثة، عظيم الهيئة يعني متعجرف، متكبر مع صديقه، قال لي: فتح الباب وحملني ولم يكلمني وركب هو وصديقه، قال لي: شعرت بدناءة وذل يقول لي اسمح لي بالمحل أعطيه المحل، ما تكلم وركب ومشي، قال لي: اشتغل الحقد بنفسي، بحياتي ما نويت أن أقتل مثل هذه الساعة انتظر ساعة ثانية حتى امتلأت السيارة عند ـ تفتناز ـ السيارة قلبت والكل ماتوا، صار في انزلاق ومات جميع الركاب، خلال ثانية انقلب الذل والحقد إلى شكر إلى الله عز وجل، الحمد لله الذي حملني ووضعني خارج السيارة.

أحياناً الله عز وجل يريك أنت تمتلئ حقد، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، هذه الآية عندما تقرؤونها يجب أن تدخل إلى أعماقكم، قال تعالى:

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)

(سورة البقرة)

أيام سبب نجاتك إساءة لك، فلذلك يقول بعض العلماء: إذا جمع مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتاً من أوقات اليجابة الست متى أوقات الإجابة ؟

الثلث الأخير من الليل، هذا أول وقت إجابة، في السحر.

وعند الأذان، إن سمعت المؤذن فادعو فوقت الأذان وقت الإجابة.

ـبين الأذان والإقامة.

عقب الصلوات المكتوبات، تنتهي من صلاتك، اللهم اهدني فيمن هديت، عافني فيمن عافيت، أعني على دوام شكرك وذكرك وحسن عبادتك لا تدع الدعاء عقب الصلوات الخمس لأن هذا الوقت وقت إجابة.

وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تنقضي الصلاة أنت في بيت الله، أنت ضيف لله عز وجل.

وآخر ساعة بعد عصر ذلك اليوم، عصر يوم الجمعة وقت إجابة.

إذا جمع مع الدعاء حضور القلب، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة، وانكساراً بين يدي الله عز وجل، وذلاً وتضرعاً لله ورقةً، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد بن عبد الله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة، وتملق الله، ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً، ولاسيما إذا صادف الأدعية التي أخبر عنها النبي أنها مظنة إجابة، دعا بدعاء النبي.

دعاء النبي:

اللهم إني عبدك، وابن عبد، وابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في قضاؤك، نافذ في حكمك، أعوذ بنور وجهك التي أشرقت له السماوات والأرض، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أعوذ بك أن تحل علي غضبك، أو تنزل بي سخطك، أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك، وجميع سخطك، ولك العتبة حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا من دعاء النبي، احفظوا أدعية النبي لابد لك أخ منا من كتاب الدعاء المستجاب، كتاب صغير أدعية النبي احفظوها أدعية جامعة مانعة، من أدعية النبي المأثورة:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))

(الترمذي ـ ابن ماجة)

لأن سيدنا يونس غريب ما دعا الله قال تعالى:

(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨))

(سورة الأنبياء)

ما دعا ولكن عندما قال لا إله إلا أنت سبحانك هذا دعاء، الثناء دعاء، الثناء على الله دعاء، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

يعني أخ من أيام في جامع الطاغوسية جالس يحكي قصته له مع أخ مبلغ ضخم وهذا الإنسان صعب، فكان دعاءه لله مخلص، بعد أن دعا لله دعاء مخلصاً الله عز وجل ملامح الفرج واضحة أمامنا سجد لله من شدة شكره لله والله وفقه لأنه صار الطريق واضح لنيل المبلغ فشكر الله بالسجود فوراً، أنت تعامل مع الله مباشرةً اعرض له همومك، مشكلاتك، ارفع قضيتك له، اسأله، بعلمه بقدرته، بحكمته، برحمته.

((سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا يَعْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَصْحَابِهِ: تَدْرُونَ بِمَا دَعَا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))

(النسائي - أبي داود)

((عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)))

(الترمذي - ابن ماجة - الدارمي)

((عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ))

(أحمد)

أي احتموا، يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها، إذاً الرحمن الرحيم، الحي القيوم، ذو الجلال والإكرام هذه فيما ورد عن النبي من أسماء الله العظمى، من أجمع أدعية النبي عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ))

(ألترمذي)

أيضاً في جامع الترمذي:

((عَنْ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ))

(الترمذي - أحمد)

قال الترمذي حديث حسن صحيح، ذي النون سيدنا يونس، يوجد أيضاً حديث آخر عن سيدنا سعد:

((ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا فدعا به يفرج الله عنه، فقيل له: بلى، قال: دعاء ذي النون لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين))

هذا الليل أمامكم، وكل واحد بإمكانه أن يصل إلى ما يريد عن طريق الدعاء بشرط أن يكون دخله حلال، قلبه خاشع، لم يستعجل هذه ثلاث موانع للدعاء وإن كان في وقت إجابة أفضل.

من أدعية النبي صلى الله عليه انه قال:

((عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا، قَالَ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا نَتَعَلَّمُهَا ؟ فَقَالَ: بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا))

(أحمد)

الحقيقة إذا قرأتم السنة لوجدتم أن أحوال النبي كلها أدعية، إنسان خرج من بيته إلى السوق يوجد خمسين مطب في السوق، يوجد صفقة خاسرة، في دين ميت، في مشكلة مع التموين، في ألف مشكلة:

((عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))

(أبي داود ـ الترمذي ـ النسائي ـ ابن ماجة ـ أحمد)

أقدمت على عمل قل: اللهم إني تبرأت من حولي وقوتي والتجأت إلى حولك وقوتك وعلمك يا ذا القوة المتين.

بيدك سلاح خطير خالق الكون يصير معك، بعلمه وحكمته وقدرته، وغناه، ورحمته، إذا دعوته، كن مع الله ترى الله معك بعضهم قال ونحن في ختام هذا الدرس: الدعاء سلاح لكن السلاح يحتاج إلى ساعد قوي، يحتاج إلى ساعد قوي فإن سلاح السلاح لا بحده بل بساعده.

ليس كل إنسان قرأ الدعاء وصل، قلب طاهر، يد نظيفة، دخل حلال، قلب خاشع، وقت إجابة، تذلل، تضرع، إخلاص، المهم الساعد القوي الذي يحمل هذا السلاح الفتاك ولا يوجد مانع، سلاح وساعد قوي، وانعدام المانع، والمانع كما قلت لكم، والمانع دخل حرام، استعجال، قلب غافل.

لا يوجد مانع يوجد ظهر في القلب، وإخلاص، والدعاء موجود يصبح الدعاء من أنجح الأدعية التي في يد المؤمن فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((الدعاء سلاح المؤمن))

أحياناً في موضوعات كثيرة تعرض في موضوع الدعاء تحتاج إلى معالجة متأنية، لكن أحد هذه الموضوعات قد يقول قائل: الله عز وجل يرانا ويعلم أحوالنا فلماذا أمرنا أن ندعوه ؟ يعني أب يرى ابنه بحاجة إلى معطف لا يشتري له هذا المعطف إلا إذا سأله ؟

العبرة أن الدعاء وسيلة وهدف في الوقت نفسه، وسيلة من أجل أن تصل إلى مرادك، أما هدف، الدعاء يعد أعلى درجة بالصلة بالله عز وجل، الدعاء هو نفسه هدف، فربنا عز وجل حينما يخلق لك حاجة وينتظر أن تدعوه من أجل أن تتصل به، من أجل أن تسعد بالاتصال به، من أجل أن تذوق طعم القرب منه، صار الدعاء هدف، إلى الآن كان وسيلة يوجد عندنا مشكلة يحلها، أما الآن يوجد شيء جديد الدعاء نفسه هدف، الدعاء اتصال بالله، الدعاء قرب الدعاء رحمة، أيام الإنسان يدعو الله فيتنعم بقربه وينسى موضوع الدعاء، يدعو الله يسعد بقربه من الله وقد ينسى موضوع الدعاء لأنه حصل المراد وصار قريب من الله عز وجل.

أيها الأخوة:

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يترجم هذا الدرس إلى أدعية من قبلكم الآن موضوع بين أيديكم حل لك مشكلة، الله عز وجل ما أمرنا أن ندعوه إلا ليستجيب لنا وكل إنسان يتحرى الحلال بدخله ويكون ورع ويدعو الله بقلب خاشع، ولا يقول دعوت ولم يستجب لي ولينظر كيف أن الله سبحانه وتعالى يذهب عنه الغم والحزن.

03 – العبادات شفاء أمراض كثيرة

الحصاد الخيري الذي نحصده من العبادات:

أيها الأخوة الأكارم، لا شك أن العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍ وزكاة عباداتٌ أمرنا الله بها، وقد عللها في القرآن الكريم تعليلاً طيباً، قال:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

[سورة التوبة الآية: ١٠٣]

قال:

(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

[سورة العنكبوت الآية: ٤٥]

قال:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[سورة البقرة الآية: ١٨٣]

بَيّن الله جلَّ جلاله حكمة هذه العبادات، ولكن هذا البيان الإلهي لا يمنع أن يكون لها حكم أخرى كثيرة جداً، فمثلاً: اجتمع علماء التربية البدنية ليخططوا لتمريناتٍ معتدلة يستطيعها كلُّ الناس في كل الأعمار، وفي كل الأوقات، وفي كل الأمكنة، لا تؤذي قلوبهم، ولا تيبِّس عضلاتهم، فرسموا حركاتٍ، وسكناتٍ، وتمريناتٍ، تطابق الصلاة تطابقاً تاماً، فهذه الصلاة التي أمرنا الله بها، فضلاً عن أنها تقربنا إلى الله، وتذكّرنا به، وتصلنا به، إنها ذات فائدة لأجسامنا.

إليكم مغزى هذه القصة:

أيها الأخوة، لا أنسى أن امرأةً ذهبت إلى بلدٍ غربي، لتعالج من مرضٍ مزعج، وهو داء الشقيقة الذي هو آلامٌ في الرأس مستمرة، سألها الطبيب علماً أنه لا يعرف الله عزّ وجل، من أين أنتِ؟ قالت: من سوريا، قال: أتصلين؟ قالت: لا، قال: صل يذهب ما بكِ، عجبت وانزعجت! عجبت من أنها ركبت الطائرة، ودفعت آلاف الليرات، ليقال لها: صل! لكنها لم تعجب حينما بين لها الطبيب، أن أحد أسباب الشقيقة ضعفٌ في تروية الشرايين في الدماغ، وأن السجود يوسِّع هذه الشرايين، ويجعل الدم يتدفق نحو الرأس، لأن من أسباب الشقيقة، ضعف التروية في أوعية المخ.

فهذا السجود، وذاك الركوع، وهذا الوضوء، هذا كله في ظاهره عبادات، وقربات، واتصال بالله، ولكن لو درسه علماءٌ متخصصون، علماءٌ في التربية البدنية، علماءٌ في أمراض الأوعية والشرايين، لوجدوا العجب العجاب، لوجدوا أن حركات الصلاة، وأن الوضوء قبل الصلاة، ينفي عن الإنسان أمراضاً كثيرة.

04 – الأطباء يتخلون عن الفصل بين الدين والعلم

تجربة حصلت :

أيها الأخوة الكرام، قدَّم لي أخٌ كريم قصاصةً من جريدةٍ صدرت في الواحد والعشرين من الشهر الثاني في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وسبعةٍ وتسعين، عنوان هذه القُصاصة: الأطباء يتخلَّون عن الفصل بين الدين والعلم، والصلاة جزءٌ من العلاج في أمريكا .

في غرفة معاينةٍ في المركز الطبي التابع لإحدى الجامعات الكبرى، استمعت الطبيبة إلى مريضتها، وهي في الرابعة والخمسين من العمر، تعرَّضت مؤخراً لأزمةٍ قلبيةٍ، وتشكو من ضيقٍ دائمٍ في التنفُّس، ولكن بعد المعاينة، بدا واضحاً للطبيبة أن مريضتها لا تحتاج إلى دواءٍ إطلاقاً، وبدلاً من ذلك اقترحت الطبيبة علاجاً أثبت أن له قوّة شفاءٍ كبيرةٍ في كثيرٍ من الدراسات، ما هو هذا الدواء؟ اقترحت الطبيبة

على مريضتها أن تصلّي لله عزَّ وجل، وعلى هذا تصافحت المرأتان، وأحنتا رأسيهما، وتمتمتا بالصلاة.

قال: كان هذا اللقاء، وهذا العلاج، دليلاً على تغيرٍ بطيء وهادئ، تشهده مهنة الطب، أن تصف لمريضٍ أن يصلّي، أن يتصل بالله، أن يتوب إلى الله، أن يصطلح مع الله، وهذا جزءٌ من العلاج، هذا اكتشف لا من باب التعبُّد، ولا من باب تطبيق منهج الله، اكتشف من التجارب .

ما هي الاستطلاعات الأخيرة التي اكتشفها الأطباء الغربيون حول موضوع الصلاة، وما هي بعض الآراء التي طرحت حول موضوع علاقة الدين بالعلم؟

أظهر استطلاعٌ أجري في تشرين الأول في اجتماع سنوي ضمَّ أكثر من مئتين وخمسين طبيباً، هذا الاستطلاع انتهى إلى أن تسعة وتسعين بالمئة من الأطباء، وجدوا أن هناك فائدة ملموسة واضحة عند مرضاهم، حينما يدعوهم إلى الصلاة .

أيها الأخوة الكرام، وفي جامعةٍ أخرى، حضر أكثر من ألف شخص، يعملون في مجال الصحة، أكّدوا أيضاً العلاقة بين الشفاء وبين الصلاة، وقال بعض الأطباء: إن الرأي الغالب كان أن العلم لا يتناسب مع الدين، أضاف قائلاً: إن الشجاعة ما زالت غير كافيةٍ للاعتراف بقوة تأثير الصلاة، وأن ما زال هناك فراغا فيما يتعلّق بالعناية الكاملة لمرضانا .

حينما يصطلح هذا المريض مع الله، حينما يتصل بالله، يقوى جهاز مناعته، وهذه حقيقة علمية، هذا الجهاز الرائع المدهش، الذي خلقه الله في الإنسان ليكافح المرض، ليكافح السرطان، ليكافح كلَّ خللٍ في جسم الإنسان، هذا الجهاز الخطير المبدع، هذا الجهاز يقوى بالاتصال بالله، يقوى بالحب، يقوى بحالة الأمن، يقوى بالطمأنينة، يقوى بالثقة، ويضعف هذا الجهاز بالحقد، يضعف بالخوف، يضعف بالقلق، فالإيمان صحة بالمعنى الدقيق للكلمة، بالمعنى الاصطلاحي، الإيمان صحة .

أيها الأخوة الكرام، وقال طبيبٌ آخر، وهو مدير معهدٍ وطنيٍ للأبحاث العلمية، قال: نشعر إن إثارة الموضوع الديني مع مرضانا، هو ضدُّ آداب المهنة سابقاً، ضدُّ آداب المهنة أن توجِّه المريض إلى طاعة الله، أن توجِّه المريض إلى الاصطلاح مع الله، قال: أما الآن أصبح ضرورةً تمليها طبيعة الحرفة، ومعالجة النفوس .

أيها الأخوة الكرام، الدافع لاهتمام الأطباء بالدين، هو أن المرضى يريدون من أطبائهم أخذ توجيهاتٍ روحية في المعالجة، ذلك أن بعض الإحصاءات الأخيرة تبيّن أن ألف إنسان سُئلوا عن علاقة الشفاء بالصلاة، أربعة وستون في المئة من المشمولين في هذا الاستطلاع، أكّدوا أن هناك علاقة قوية بين الشفاء، وبين التديُّن الصحيح، أو الاتصال بالله عزَّ وجل .

تقول بعض المريضات: أنا أشعر بثقةٍ لا حدود لها، حينما أشعر أن الطبيب موصولٌ بقوةٍ عُليا، وأنه يعطيني توجيهات من عند الخالق، تطمئنُّ له، وترتاح له، وقد تعين هذه الفكرة جسمها على الشفاء .

تظهر بعض الدلائل العلمية بشكلٍ متزايد، أن الصلاة يمكن أن تساعد في تخفيف كثيرٍ من الأمراض، حتى الأمراض التي تبدو أنها عضال لا شفاء لها .

أظهرت الدراسات الأخيرة، وهي في الإجمال على أكثر من مئتين: أن ضغط الدم عند المتدينين أخف، وقلوبهم أكثر صحة، لأن ضغط الدم أساسه ضغط الهم، وهمُّ المؤمن هو الله، اجعل الهموم هماً واحداً، يكفك الهموم كلَّها .

وأظهرت الدراسات أيضاً: أن الصحة العقلية تتحسَّن بشكلٍ أكبر لدى المرضى الذين يصلّون، فهم أقلُّ عرضة للإحباط أو أن يصبحوا مدمنين، أو يبادروا إلى الانتحار .

ضغط الإنسان الدَيِّن جيد وطبيعي، وقلبه قوي، السبب مطمئنّ لله عزَّ وجل، مستسلم لأمره، قال تعالى:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا)

[سورة التوبة الآية: ٥١]

ما حق العباد على الله إن هم أطاعوه ؟

أيها الأخوة، دققوا في هذا الحديث الصحيح، عَنْ مُعَاذٍ، قَالَ:

((أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلاثًا، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قُلْتُ: لا، قَالَ: حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

أنشأ الله عزَّ وجل لنا حقاً عليه، ألا يعذّبنا، فالمؤمن حينما يتصّل بالله ويطيعه في كل شؤون حياته، يشعر بالأمن، قال تعالى:

(فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)

[سورة الأنعام الآية: ٨١-٨٢]

خلاصة القول:

وصل هؤلاء من باب الدراسات، والتجارب، والبحوث، إلى أن المريض الموصول بالله عزَّ وجل، المريض الذي يأوي إلى ركنٍ شديد، هذا المريض أسرع شفاءً، وأكثر صحة، من الذي قطع عن الله عزَّ وجل بقواطع الذنوب؟ هؤلاء الأجانب يبحثون عن الحقيقة، وقد وصلوا إلى طرفها مؤخّراً، ولكن بعد فوات الأوان .

05 ـ الحجامة

ما هي الأمراض التي تعالجها الحجامة ؟

١ – مرض تبيغ الدم :

أيها الأخوة المؤمنون، عَن ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:

((حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ، أَنَّهُ لَمْ يَمُرَّ عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ، إلا أَمَرُوهُ أَنْ مُرْ أُمَّتَكَ بِالْحِجَامَةِ))

[أخرجه الترمذي في سننه]

وروى البخاري عن أنسٍ رضي الله عنه، أنه قال:

((إِنَّ أَمْثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

العلماء المسلمون يتحدثون عن الحجامة، وعن استطباباتها، فيقولون: إن أول استطبابات الحجامة؛ تبيُّغ الدم، والتبيغ هو التهيُّج، وتبيغ الدم، زيادته، والمقصود بتهيج الدم وزيادته، ارتفاع الضغط، أو ارتفاع التوتر الشرياني، في المصطلح العلمي .

من أعراض ارتفاع الضغط أو فرط التوتر الشرياني؛ الصداع، وحسُّ الامتلاء في الرأس، والدوار، وسرعة الانفعالات، والاضطرابات البصرية، هذه من أعراض ارتفاع الضغط .

قد قلت لكم في خطبةٍ سابقة: إن بعض الأطباء يسمي ضغط الدم: ضغط الهمّ، فإذا تهيج الدم، وزادت كميته، ولا سيما في فصل الربيع مع قدوم الحرّ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((إذا اشتد الحر، فاستعينوا بالحجامة، لا يتبيغ الدم بأحدكم، فيقتله))

[ورد في الأثر]

أيها الأخوة الأكارم، أحد استطبابات الحجامة؛ تهيُّج الدم، وارتفاع الضغط .

٢- مرض الصداع، وآلام الرأس وما شاكل ذلك :

استطباب آخر؛ الصداع، وآلام الرأس، فالصداع يرافق ارتفاع الضغط، وهناك صداعٌ وعائي، بسبب تضيُّق شرايين الدماغ، أخرج أبو داود عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنه :

((مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إلا قَالَ: احْتَجِمْ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

استطبابٌ ثالث، مرض الشقيقة، أخرج البخاري في صحيحه، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما:

((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احْتَجَمَ، وَهُوَ مُحْرِمٌ فِي رَأْسِهِ مِنْ شَقِيقَةٍ كَانَتْ بِهِ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

أيها الأخوة المؤمنون، سمعت عن رجلٍ، كان يشكو من مرض الشقيقة، خمساً وعشرين سنةً، ثم دلَّه أحدٌ أصحابه على الحجامة، فلما احتجم، زالت من رأسه هذه الشقيقة، زالت من رأسه هذه الآلام التي تسمى عند الأطباء شقيقة .

ما هي الثمرة التي يقتطفها الإنسان حينما يصلي ؟

أيها الأخوة المؤمنون، هناك استطباباتٌ أخرى للحجامة، ولكن الشيء الذي يلفت النظر: أن الذي يصلِّي، ويخفض رأسه في الركوع مرتين، وفي السجود مرتين على مدار اليوم، والأسبوع، والسنة، والشهر، إن هذا الانخفاض، والارتفاع في الرأس، يسبب حالةً اسمها: مرونة الشرايين، إذا خفض رأسه احتقن الدم في شرايين المخ، فإذا رفع رأسه هبط الضغط فجأةً، من ارتفاع الضغط وهبوطه ينشأ في الشرايين ما يسمى بالمرونة، ومرونة الشرايين تقي من تصلبها، ومن انفجارها .

الشيء الذي نسمعه كثيراً، السكتة الدماغية، أي انفجارٌ في أحد شرايين المخ، لماذا الانفجار؟ ارتفاع الضغط، لماذا الانفجار مع ارتفاع الضغط؟ تصلُّب الشرايين، لكن الذي يصلي، لو ارتفع ضغطه، فإن في شرايين مخه مرونةً كافيةً تقيهِ تصلبها وانفجارها .

إن حسن تروية الدماغ، شيءٌ أساسيٌ في الصحة، وهذا الذي يصلي ويسجد، طبيعة السجود، تجعل الدم يتحرك وبتحركه يوسع الشرايين، وإن أكثر الأمراض التي تصيب الرأس ، هي بسبب تضيق الشرايين، فهذا الذي يسجد لله عزَّ وجل، قد لا يدري أنه يصون شرايين الدماغ من التصلب، والانفجار، والتلف .

٣- مرض فقر الدم اللامصنع :

قال العلماء: إن في الجسم معامل لكريات الدم الحمراء، هذه المعامل موجودة في نقي العظام، كل أنواع العظام في داخلها فراغٌ، هذا الفراغ فيه معامل كريات الدم الحمراء، وهذه المعامل تصنع في الثانية الواحدة، ما يزيد عن مليونين ونصف كرية حمراء في الثانية، وزوَّد ربنا سبحانه وتعالى الجسم بمعامل احتياطية .

فالكبد والطحال معملان احتياطيان لكريات الدم الحمراء، يعمل هذان المعملان عند توقف المعامل الأساسية .

مرضٌ خطير اسمه: فقر الدم اللامصنع، وهو أن تتوقف هذه المعامل فجأة عن عملها بدون أن نعرف السبب، ما الذي يصون هذه المعامل؟ وما الذي ينشِّطها؟ عرف العلماء أخيراً أن نقص كمية الدم في الشرايين، يحثها على العمل، وعلى الصيانة، وعلى زيادة إنتاجها، من هنا تأتي الحجامة، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى .

الخاتمة :

هذه رؤيةٌ أراها الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، فلذلك أحاديث كثيرة تزيد عن سبع عشرة حديثاً في الحجامة، ووقت الحجامة في أول قدوم فصل الربيع مع اشتداد الحر، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((" احتجموا لا يتبيغ الدم بأحدكم ، فيقتله))

[ورد في الأثر]

والموضوع أطول من ذلك، وأعقد من ذلك، لكن المنبر لا يحتمل غير هذا .

06 – أمراض القذارة

إليكم ما تضمنه هذه الإحصاءات :

أيها الأخوة الأكارم، من الإحصاءات الطريفة، والخطيرة التي أجرتها إحدى المؤسسات العلمية المعنية بشؤون الصحة على مستوى العالم كله، هذه الإحصائية التي تبيِّن أن الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، ما هو إلا وحيٌ يوحى، قالت: أمراض القذارة التي تنتقل عن طريق تلوَّث اليدين، وتلوث الماء والطعام، فتصيب الجهاز الهضمي بأبلغ الأضرار، هي كما يلي:

هناك على مستوى العالم ثلاثون مليون إصابة بالحمى التيفية، وستمئة وثلاثون مليون إصابة بالنزلات المعوية، ومئتان وخمسين مليون إصابة بالزحار، وسبعة ملايين إصابة بالكوليرا، وخمسة ملايين إصابة بالتهاب الكبد الوبائي، ومئة وأربعون مليون إصابة بالنزلات المعوية، كل عام في العالم .

وأنه يذهب ضحية هذه الأمراض ثلاثة ملايين إنسان كل عام، نحن ندري أخبار الحروب، وأخبار الزلازل، وأخبار سقوط الطائرات، والحروب الأهلية، أما هذه الأرقام ثلاثة ملايين إنسان يموتون كل عام بسبب قذارتهم، وسبب مخالفتهم لإتباع السنن، قال: نصف هؤلاء من الأطفال نتيجة عدم الاهتمام بنظافة اليدين، وغسلهما قبل الطعام، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ، وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ))

[ورد في الأثر]

هكذا جاء في التقرير .

الأحاديث التي وردت بشأن حفظ صحة الإنسان من أي جرثوم قد يؤذيه :

قال عليه الصلاة والسلام:

((إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ))

[ورد في الأثر]

لأنه من أحد أسباب العدوى التنفس في الإناء، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

((ابِنِ القدح عن فيك))

[ورد في الأثر]

((من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه))

[ورد في الأثر]

أي من أكل فاكهة دون أن يغسلها كأنه أكل التراب، فقد أعان على قتل نفسه، وكان عليه الصلاة والسلام لا يشرب من إناء فيه ثُلمة، أي مشعور، لأن هذه الثُلمة تحتوي الجراثيم.

أمرنا بقص الأظافر، وأمرنا بدلك البراجم، رؤوس الأصابع، قال:

((إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا أَتَى الْخَلاءَ فَلا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ))

[ورد في الأثر]

لأنه يأكل بيمينه، ويصافح الناس بها، فإذا تمسَّح بيمينه فقد نقل العدوى التي في برازه إلى الناس كلهم، هذه من توجيهات النبي، ويقول عليه الصلاة والسلام:

((لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ))

[أخرجه البخاري في الصحيح]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

((اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ))

[أخرجه أبو داود في سننه]

الرسالة التي يحملها الإسلام :

هذه توجيهات النبي قبل أن يكون هناك علم الجراثيم، وعلم الأمراض المعدية، هذا تقرير منظمةٍ تعنى بشؤون الصحة على مستوى العالم، ولا تهتمُّ إطلاقاً بأمر الدين، إنها تقول : يموت ثلاثة ملايين إنسان كل عام، ولا ندري بهم نحن، يموتون بسبب عدم النظافة، نظافة اليدين، وعدم غسلهما قبل الطعام، وعدم الاهتمام بالاستنجاء، لقد جاء هذا الدين الحنيف، ليبيِّن للناس الصراط المستقيم، قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء الآية: ٩]

﴿إِن اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٢٢]

07 – العصاب

ما تعريف مرض العصاب، وما هو أشهر أنواعه، وما تعريف هذا النوع ؟

جاء في كتب علم النفس، وفي كتب الأمراض النفسية: أن العُصابَ هو انفعال لا يعرف له أساس تشريحي .

هو مرض نفسي أو هو مرض يحدث وظيفي ليس له أساس عضوي، في العُصابِ توتر نفسي مع احتفاظ الشخص بسلامة قواه العقلي، أما الذِّهن تتأثر فيه القوى العقلية .

يقول علماء النفس: إن من أهم أنواع العُصاب، عُصاب القلق، وهو أكثر العُصابات انتشاراً يكون موقتاً، ويكون مستمراً، عرفه بعضهم: بأنه شعورٌ معمم بالانزعاج البغيض، وترقب الخطر، والخوف الناجم عن خطر متوقع مجهول المصدر .

إليكم هذه القصة التي تعبر عن مرض عصاب القلق :

قرأت لكم في أول الخطبة أسطراً قليلة، اطلع أحد الأدباء الكبار على مذكرات صديق له من أهل الغنى واليسار والجاه والشأن، يقول هذا الغني الكبير: إنني أعيش في خوف دائم، في رعب من الناس والأشياء، رعب من نفسي، لا الثروة أعطتني الطمأنينة، ولا المركز الممتاز أعطانيها، ولا الصحة، ولا الرجولة، ولا المرأة، ولا الحب، ولا السهرات الحمراء، ضقت بكل شيء بعد أن جرَّبت كل شيء، إنني أكره نفسي، أخاف من نفسي، ألا ترى الأشباح من حولي؟ ألا تحس بالخوف يفتح فمه ليلتهمني؟ لِمَ هذا الخوف؟ الهموم ليست لي هموم، إن كل شيء بين يدي، لماذا أنا خائف إذاً؟ ربما كنت خائفاً لأنه لا يوجد شيء أخاف منه، إنني خائف من المجهول الذي لا أعرفه، إنني تائه في الحياة، لأنني بلغت قمة الحياة، إن الحياة الآن هي عدوي الأول، إنني أخاف من الحياة نفسها .

عصاب القلق شعور معمم بالانزعاج البغيض، وترقب الخطر، والخوف الناجم عن خطر متوقع مجهول المصدر .

ما هو الخطأ الذي وقع فيه علماء النفس ؟

يقول علماء النفس وهم يتكلمون عن حاجات الإنسان: الإنسان بحاجة إلى الأمن، ولكن أين هو الأمن؟ سيوف الأمراض المُسَلَّطة على الناس لا تعد ولا تحصى، خوف من الورم الخبيث، خوف من أزمة قلبية، خوف من عجز، خوف من شلل، خوف على الرزق، الناس بحاجة إلى الأمن، وبحاجة إلى النجاح، وبحاجة إلى الحب، وأغفل علماء النفس إن الإنسان قبل كل هذه الحاجات بحاجة إلى الإيمان، لأنك إذا آمنت اطمأننت، وإذا آمنت أحببت الخلق كلهم، لأنهم عيال الله، وإذا آمنت نجحت في سر وجودك .

ما هو الخوف الايجابي، وما هو الخوف السلبي ؟

فرَّق العلماء بين الخوف الإيجابي والخوف السلبي، إذا خفت من الله واستقمت على أمره فمن أجل أن تطمئن، إذاً: الخوف من الله طريق الطمأنينة، طريق الأمن، طريق السعادة طريق الحب، طريق النجاح، أما إذا خفت مما سوى الله فهو طريق الاضطراب، طريق العصاب، طريق الذهان، قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[سورة الرعد الآية: ٢٨]

لو أن الله عز وجل قال: تطمئن القلوب بذكر الله، فبحسب اللغة تطمئن بذكره، وتطمئن بغير ذكره، أما حينما قدم ذكره على الطمأنينة، فالقلوب لا تطمئن إلا بذكر الله حصراً، قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

[سورة المعارج الآية: ١٩-٣٠]

ما هو محور الدرس ؟

أيها الأخوة الكرام، محور هذه الخطبة أن أثمن شعور تملكه في الحياة الدنيا أن تكون مطمئناً، أن تكون آمناً، إذا أصبح أحدكم آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه، فقد حِيزت له الدنيا بحذافيرها .

سأل ملك جبَّار وزيراً له: من الملك؟ قال: أنت، قال: لا، الملك رجل لا نعرفه ولا يعرفنا، له بيت يؤويه، وزوجة ترضيه، ورزق يكفيه، هذا هو الملك .

هذه الحاجات الأساسية التي افتقدت هي وراء معظم الأمراض، كلما تقدم الطب تبين له أن الشدة النفسية وراء أكثر الأمراض، وأن الطمأنينة وراء الصحة، لذلك لا شيء يعطيك الأمن كالتوحيد، ولا شيء يملأ القلب فزعاً كالشرك، قال الله تعالى:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آَخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

[سورة الشعراء الآية : ٢١٣]

08 – مرض نقص الألياف

من الأخطاء الشائعة التي أدرجوها العلماء في عملية التغذية :

يا أيها الأخوة المؤمنون، هناك منعطفاتٌ خطيرةٌ في تاريخ العلوم الغذائية، الانعطاف الأول: اكتشاف الجراثيم التي يتلوث بها الطعام، والتي تسبب كثيراً من الأمراض، والانعطاف الثاني: هو الكشف عن بعض المخاطر في إذا أسرف الإنسان في تناول بعض الأطعمة، منعطفٌ آخر في

تاريخ الصحة والغذاء، كما أن هناك أمراضاً كثيرة تتسبب من نقص المواد الغذائية، هذه أشياء تعرفونها .

ولكن الشيء الخطير الذي اكتشف حديثاً، هو مرض العصر الذي هو مرض نقص الألياف، فطبيعة العصر الحديث تقدِّم غذاءً مصفًّي، فالسكر أبيضٌ ناعم، والدقيق أبيضٌ ليس فيه شوائب، والفواكه نشرب عصيرها، وكلُّ شيءٍ نزع منه تفله إن صحَّ التعبير، أو الألياف التي خلقها الله فيه .

ما كان أحدٌ يظنُّ أن لهذه الألياف التي هي قوام الفاكهة، أو هذه القشور التي تحيط بحبة القمح، أو هذه الألياف التي هي في بعض المواد السكرية إننا ننزعها، ونعدُّها من الأشياء ، التي لا جدوى منها، نشرب عصيراً صافياً، ونأكل خبزاً أبيضاً، ونستعمل السكر النقي، إن هذا الغذاء المصفَّى الذي هو من بدع العصر الحديث وراء كثيرٍ من الأمراض .

كان العلماء يظنون، أن هذه الألياف هي عنصرٌ زائدٌ عن الحاجة، وأن دورها في الهضم يتميَّز بالسلبية، لذلك عرَّفوها بقدر ما وسعهم الإدراك، فقالوا: إنها جزءٌ من الطعام الذي يعبر القناة الهضمية من دون أن يهضم، بل وجدوها عبئاً على جهاز الهضم، لذلك عمدوا على تنقية الطعام منها، فقدَّموا لنا ما يسمَّى بالأطعمة النقية .

ما هي المخاطر التي تحدث لو أننا عزلنا مادة الألياف من المكان الذي خلقت له ؟

أيها الأخوة المؤمنون، إن أول أخطار هذا الغذاء النقي، هو الإمساك، لأن حجم هذه الألياف ، يسهِّل عمل الأمعاء، إن حركة الأمعاء حينما تتحرك كي تهضم الطعام، تحتاج إلى كتلةٍ من الألياف، تثير جدران الأمعاء، فلو اختفت هذه الألياف، وبقي الطعام كله سائلاً، وخالياً من هذه الألياف المفيدة، فإن حالة الإمساك هي من أولى أخطار هذا الطعام النقي .

فوائد الألياف في عملية التغذية :

١- تسهم في تسيير الهضم وتليينه:

قال العلماء: إن هذه المواد السيللوزية، تعمل على امتصاص الماء، والاحتفاظ به، كي يصبح الهضم سهلاً ليناً، فكأنما هي مليِّنات .

٢- تسهم في امتصاص مادة الكوليسترول عند الإنسان :

الشيء الثاني، أن هذه الألياف السيللوزية تعمل على امتصاص مادة الكوليسترول، إن تواجد الكوليسترول في الدم، أو ترسبَّه على جدران الأوعية، يسبب أخطر أمراض العصر، إنه الذبحة الصدرية، إن أخطر أمراض العصر هو تضيق الشرايين، بل إن بعض العلماء، يقول: إن عمر الإنسان من عمر شرايينه، فحينما تضيق لمعتها، وحينما تترسب المواد الدهنية فيها، يتعب القلب، عندئذٍ هذه الألياف التي نطرحها، نشرب كأس العصير، ونقذف بهذه الألياف علفاً للحيوانات، إن الإنسان في أشدِّ الحاجة إليها، لأنها تمتص المواد الدسمة، وتعدِّل نسبة الدهون في الدم .

٣- الخطر الذي يدق في الإنسان إذا انفصلت الألياف عن الصفراء :

شيءٌ آخر، هو أن إفراز بعض العصارات كالصفراء مثلاً إفرازاً مستمراً من دون وجود هذه الألياف، إنه يسبب بعض الأمراض الخبيثة في الكولون، إن وجود هذه الألياف يمتص المواد الدهنية، وبعض مفرزات الغدد، ويسهِّل حركة الأمعاء، حتى إن بعضهم يقول: إن تكوّن الحصيات، وارتفاع الكوليسترول في الدم، وترسّبه في جدران الشرايين، وسرطان الكولون، وبعض أمراض القلب، والأوعية، والإمساك، وبعض أمراض الدوالي، وبعض أمراض الحجاب الحاجز، والتهاب الزائدة، إنَّ سبب معظم هذه الأمراض هو فقدان الألياف من أطعمتنا .

ما هو المطلوب من الإنسان ؟

يا أيها الأخوة المؤمنون، يعدُّ العلماء هذا الكشف بأنه انعطافٌ رابعٌ خطير في طريق الصحة والغذاء، اجعل طعامك كما كان من دون أن تنقيه، من دون أن تطرح منه هذه الألياف التي كان يظنُّ أنه لا جدوى منها .

أيها الأخوة المؤمنون، مطلوبٌ منا أن نفقه حكمة ربنا في خلق كل شيء، ولا ينبغي أن نغيَّر خلق الله، بيَّنت لكم أن في قشرة القمح ست معادن، وست فيتامينات، وأشياء كثيرة نطرحها جانباً، ونطعمها للدواب أعلافاً، ونأكل هذا النشاء الصرف الذي هو عبءٌ على جهاز الهضم، بدل أن يكون في خدمته .

لذلك، عودةٌ إلى ما خططه الله سبحانه وتعالى، كل الشيء الذي خلقه كما خلقه، من دون إجراء تعديلٍ عليه، لا تتبع الأساليب الحديثة في تناول الطعام، كل الطعام كما أراده الله أن يؤكل .

09 – مرض الإيدز

أيها الإخوة الكرام... يقول علماء النفس : تتولّد من يصاب بهذا المرض رغبة شديدةٌ لا توصف في نشر هذا المرض، في أكبر عددٍ ممكن من الناس. لذلك تجد المرأة المصابة بهذا المرض، تعرض نفسها

بأنفه الأثمان من أجل أن تغوي شاباً، أو أن توقعه في حبائلها وحبائل هذا المرض. هذه حقيقة، أي يتمنَّى من يصاب بهذا المرض أن يصاب الناس جميعاً، لذلك يجب أن يأوي لمؤمن إلى الكهف، وكهفه بيته، وكهفه مسجده، فلعل الله سبحانه وتعالى ينشر له من رحمته، ويهيئ له من أمره رشداً.

أيها الإخوة الكرام، طوبى لمن وسعته السنة، ولم تستهوه البدع، طوبى لمن جعل علاقاته مع إخوانه المؤمنين، النظيفين الطيبين، الطاهرين. اجلس معهم، تذاكر العلم معهم اقرأ القرآن معهم، امحضهم كلَّ ودك، ولا تركن إلى الذين ظلموا :

(وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)

(سورة هود : آية " ١١٣ ")

أيها الإخوة الكرام... نحن في أمس الحاجة إلى الحمية الاجتماعية، لأن المجتمع إذا فسد كأنه حقل ألغام، قد ينفجر تحتك لغمٌ في أي لحظة وأنت لا تدري. لغم مرضٍ عضال، لغم علاقةٍ مشبوة، لغم تورُّطٌ لا قبل لك به. إذن من علامات عقل المؤمن أن يتجنب الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يأوي إلى كهف ربه، إن في مسجده، أو في بيته، وأن يجعل علاقاته نظيفة طاهرة، حتى يسعد في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة الكرام... حقيقةٌ أضعها بين أيديكم وهي : أن العلاقة بين الطاعة ونتائجها علاقةٌ علمية، أي علاقة سببٍ بنتيجة، وأن العلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة علمية، أي علاقة سببٍ بنتيجة، وأن الإنسان إذا انطلق من حبه لذاته، ومن حرصه على وجوده، ومن حرصه على سلامة وجوده، ومن حرصه على كمال وجوده، ومن حرصه على استمرار وجوده يجد نفسه سالكاً دروب الطاعة، متجنباً الوقوع في المعاصي والفتن.

حفاظاً على سلامتك لا بدَّ من أن تطلب العلم، لا بدَّ من أن تعرف الله، لا بدَّ من أن تعرف منهج الله، لا بدَّ من أن تعرف الحلال والحرام، لا بدَّ من أن تعرف الحق والباطل، ما يجوز، وما لا يجوز، ما ينبغي، وما لا ينبغي، ما هو مسموحٌ لك، وما هو ممنوعٌ عنك وإلا يعيش الإنسان كالبهيمة، يعيش الإنسان كالدابة الجموح، لا يعي على خير.

أيها الإخوة الكرام، من هنا كانت صلاة الجمعة عبادةً تعليمية، من هنا كان حضور مجالس العلم منجيِّاً الإنسان من هلاك الدنيا ومن شقاء الآخرة.

أيها الإخوة الكرام... اطلبوا العلم ولو بالصين، كن عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك. ما من عدوٍ أخطر علينا من الجهل، اعرف ما لك وما عليك ما ينبغي، وما لا ينبغي، ما يجوز، وما لا يجوز. اعرف حكم الله في كل شيء، ما حكم الله في كل شيء ؟ ما حكم الله في هذا الأمر؟ أحلالٌ أم حرامٌ، أم مكروهٌ كراهة تحريمية، أو تنزيهية، أو محرمٌ حرمةٌ قطعية، أو مندوبٌ، أو

مستحبٌ، أو حلالٌ، أو مباحٌ، أو واجبٌ، أو فرضٌ ؟ ينبغي أن تعلم حكم الشرع في كل شيءٍ ، كي تسير على هدى.

أيها الإخوة الكرام... جاء أعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله عظني ولا تُطل. فقال عليه الصلاة والسلام :

((قل آمنت بالله ثم استقم. فقال هذا الأعرابي : أريد أخفَّ من ذلك))

كما يقول الناس اليوم : هذا تزمُّت يا أخي، هذه شدة ما أنزل الله بها من سلطان. تدعوه إلى طاعة الله الثابتة القطعية الدلالة، تدعوه إلى حكم الله القرآني، يقول لك : هذا تزمُّت، هكذا قال الأعرابي.

" قال : أريد أخفَّ من ذلك. فقال عليه الصلاة والسلام : إذن استعدَّ للبلاء ".

إن رأيت هذا التكليف شديداً استعد إذن للبلاء، هذا هو البديل، وهذا هو الكلام الدقيق إما أن نستقيم على أمره، وإما أن نستعد للبلاء، إما أن نستقيم على أمره، وإما أن نستعد للشقاء إما أن نستقيم على أمره، وإما أن نستعد للتفرق وللضعف. إذا هان أمر الله علينا هنا على الله إذا رخص لحم النساء عندنا غلا لحم الضأن. إذا قل ماء الحياء في وجوهنا قلَّ ماء السماء، هكذا فِعْلُ الله عزَّ وجل :

(لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)

(سورة الجن)

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)

(سورة الأعراف : آية " ٩٦ ")

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤))

إذا هان أمر الله علينا هان علينا أن نعصيه، هان علينا أن نتجاهل حكم الشرع، هان علينا أن نقع في مخالفاتٍ كثيرة، هان علينا أن ندع فرائضه، هان علينا أن ندع ما أمرنا به النبي عليه الصلاة والسلام، إذا هان أمر الله علينا هُنا على الله، لذلك كما قال عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي بدأت به الخطبة، والذي يعدُّ من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ـ روى ابن ماجة، والبزَّار والبيهقي واللفظ له، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال :

((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلا

سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))

(سنن ابن ماجة : رقم " ٤٠٠٩ ")

10 – آكلة لحوم البشر

ما اسم المرض الذي ظهر في بريطانيا وهدد أركانها، وما هي أسبابه ؟

أيها الأخوة الكرام، في شهر أيار من هذا العام، ظهر مرضٌ خطير في بريطانيا، تسبب هذا المرض بكتريا مجهرية، وحيدة الخلية، اسمها آكلة لحوم البشر، وهي لعنة الله عزَّ وجل على المنحرفين، بعد مرض الإيدز الذي تئن منه البشرية الآن، بسبب انحرافها .

في هذا الشهر، من هذا العام بالذات، توفي ستة أشخاص في بريطانية بهذا المرض ، وبعد أيامٍ توفيت امرأة في السادسة والأربعين بهذا المرض، ما هذا المرض؟ بكتريا تأكل لحم المريض، بمعدل بوصة في الساعة، تأكل اللحم، والعضلات، والجلد، وتبقي أثراً في جسم المريض، يشبه أثر الحرق من الدرجة الخامسة، ثمَّ يموت المصاب على الفور، أما الوقت بين الإصابة والوفاة فيكون بحسب بدء مكان، بدء التآكل، فإذا كان في أماكن عصبية، لا تمتد حياة المريض إلا ساعةً أو ساعتين، إذا كان مرض الإيدز يعطي المريض مهلة سنة أو سنتين، فهذا المرض يعطيه ساعة أو ساعتين، أما إذا كان البدء بالأطراف، فقد يمتد به الأمر إلى يومين فقط ، أي من ساعةٍ إلى ساعتين، ومن يومٍ إلى يومين، ويقضي هذا المريض نحبه .

الأسباب هي أسباب مرض الإيدز بالذات، خمورٌ، ومخدرات، وفواحش، وانحرافات ، ظهر هذا المرض في بريطانية، وفي أمريكا، وفي كندا، وفي اليابان، وهذه البكتريا التي سميت آكلة لحوم البشر هوائيةٌ، ولا هوائية، ومعنى أنها هوائية، ولا هوائية، أي أنها قادرة على أنها تنتقل، وأن تحدث العدوى في كل الظروف، وفي كل البيئات .

ما هي الحكمة من الأمراض التي تشيع في البلاد التي تستخدم الفاحشة ؟

أما قول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: ((لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا)) .

هذه الأوبئة الفتاكة، القاتلة، التي ليست في أسلافهم، ولحكمةٍ أرادها الله عزَّ وجل، أنَّ الجزاء من جنس العمل، وأنَّ هذه الأمراض الوبيلة التي هي ردٌ على انحراف البشر، هي لعلها تردع

الآخرين، وهذا من رحمة الله بالإنسان، كان من الممكن أن يحاسب الإنسان على عمله في الآخرة فقط، ولكن العقاب الأليم الذي ينزل بساحة المذنبين في الدنيا، هو ردعٌ لبقية المذنبين، والمكافأة التي ينالها المحسن في الدنيا، هي تشجيعٌ لبقية المحسنين، وهذا من رحمة الله بنا، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة الحشر الآية: ٦]

أيها الأخوة الكرام، التوفيق كلُّ التوفيق، والفوز كل الفوز، والسعادة كلُّ السعادة، والفلاح كلُّ الفلاح، والرضا كلُّ الرضا، بطاعة الله عزَّ وجل، ويكفينا أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٧١]

ما هي أصل المشاكل في البشرية، وما هي علاجها ؟

أعيد عليكم فقرةً ذكرتها في الخطبة الأولى، ما من مشكلةٍ يعاني منها البشر أفراداً، وجماعاتٍ، إلا بسبب خروجٍ عن منهج الله، وما من خروجٍ عن منهجِ الله، إلا بسبب جهلٍ تلبَّس به الإنسان، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلَّك، فإذا أعطيته بعضك، لم يعطك شيئاً .

11 – قرحة السرير

ما هي الآثار السلبية التي تنتج من مرض قرحة السرير، وما هو علاجه بالنسبة للمصابين به ؟

أيها الأخوة المؤمنون، قال بعض الأطباء: إن من الأمراض الخطيرة التي يعاني منها المرضى في المستشفيات قرحة السرير، فالمرضى الذين تضطرهم أمراضهم البقاء الطويل على السرير، ككسر الحوض مثلاً، وكسر العمود الفقري، والشلل، وحالات السبات الطويلة، هذه الحالات المرضية تستوجب أن يبقى المريض مستلقياً على ظهره أياماً وشهوراً، من مضاعفات هذا الاستلقاء مرضٌ خطير، اسمه: قرحة السرير .

فاللحم، والجلد، والنسيج تحت الجلد، ينضغط من العظم في الداخل، والسطح الصلب من الخارج، هذا الانضغاط يمنع التروية عن هذه الأنسجة فتموت، وعندما تموت هذه الأنسجة ، ينشأ حولها تقرُّحاتٌ مزعجة جداً، لذلك ينصح الأطباء كل من يستلقي على سريره لفترةٍ طويلة، أن يتقلّب كل ساعتين، فإذا بقي على جنبٍ واحدٍ، وبحالةٍ واحدة، ما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة، تبدأ تقرحات الجلد، ويبدأ موت النسيج تحت الجلد، ولا وقاية لهذا المرض، سوى تقليب المريض على كل أنحائه.

هذا موضوعٌ لا علاقةَ له بالخطبة، ولكن الذي لفت نظري أن الله سبحانه وتعالى، حينما جعل أهل الكهف يلبثون في كهفهم ثلاثمئةٍ من السنين، كيف لم يصابوا بهذه التقرحات؟ قال تعالى:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية: ١٨]

لولا هذا التقليب لتقرحت جنوبهم، ولماتت أنسجتهم، ولماتوا، لكن هذه إشارةٌ قرآنية إلى أن الجسد لا يمكن أن يبقى على حالةٍ واحدة .

ما هي المناطق التي تصيب هذا المرض في جسم الإنسان ؟

يقول العلماء والأطباء: إن أكثر الأجزاء من الجسد إصابة بهذا المرض الخطير، ألا وهو قرحة السرير؛ المنطقة العجزية، والإليتين، ولوحي الكتفين، وكعبي القدمين، هذه أماكن فيها عظام، العظام تضغط على المكان الصلب في السرير، ينهرس اللحم، تنقطع التروية، يموت النسيج، يسودٌ، يتقرّح الجلد، ولا شك أن الذين يبقون في أسرتهم أياماً طويلة قبل موتهم ، يلاحظ عليهم أن لحمهم بدأ يتساقط، لذلك قال تعالى:

(وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)

[سورة الكهف الآية: ١٨]

راقب العلماء نائماً فوجدوا أنه يغيّر وضعه في الليلة الواحدة أكثر من ستٍ وثلاثين مرة من دون أن يشعر، لو أن نائماً استلقى على سريره، وسهر أناسٌ يصورونه، ويراقبون أوضاعه، تقلب النائم في السرير أكثر من ستٍ وثلاثين مرة، لئلا تنهرس أنسجته تحت ضغط العظم، وضغط السرير، هذه في الحالات العادية، لكن في الحالات المرضية، الظهر كله مجبصن، والحوض كله مجبصن، ولا يستطيع المريض تغيير وضعه، لا بدّ من تقليبه، لئلا يصاب بهذا المرض .

12 – التدخين أخطر وباء عالمي

إليكم مضمون هذه التقارير :

أيها الأخوة المؤمنون، كتابٌ نشر حديثاً عنوانه: التدخين أخطر وباءٍ عالمي، قد يقول واحدٌ منكم: لعلّ في هذا العنوان مبالغة، ولكن إذا رأيتم ما فيه من الحقائق لن تروا في العنوان مبالغةً أبدا، فهناك مجلّةٌ تصدر في سويسرا تقول بعد إحصاءٍ دقيق: إن شركات التبغ تنتج بمعدّل دخينتين يومياً لكلِّ إنسانٍ على وجه الأرض، أي أن عدد سكان الأرض خمسة آلاف مليون، تنتج شركات في اليوم عشرة آلاف مليون دخينة، صدرت هذه المجلة في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانيةٍ وسبعين .

ويقول هذا التقرير في هذه المجلة: إن هذه الكمية التي في هذه السكائر من المواد السامة، لو أُخذت دفعةً واحدة في الدم مباشرةً، لاستطاعت أن تبيد الجنس البشري .

أشارت الكلية الملكية البريطانية في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وسبعةٍ وسبعين إلى أن كمية المواد السامة في دخينةٍ واحدة كفيلةٌ بقتل إنسانٍ في أوج صحَّته، لو أعطيت له في الوريد مباشرةً، ما في هذه الدخينة من مواد سامة لو استخلصت منها، وحقنت له في الوريد، هذه الكمية في دخينةٍ واحدة كفيلةٌ بأن تقتل إنساناً في أوج صحَّته .

أيها الأخوة الأكارم، نشرت منظمة الصحة العالمية تقريراً مطوّلاً في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وخمسةٍ وسبعين، تقول في هذا التقرير: إن عدد الذين يُلاقون حتفهم، أو يعيشون حياةً تعيسة من جرَّاء التدخين، يفوق عدد الذين يلاقون حتفهم نتيجة الطاعون، والكوليرا، والجدري، والسل، والجذام، والوفيّات الناجمة عن التدخين هي أكثر بكثير من جميع الوفيات للأمراض الوبائية مجتمعةً .

شيءٌ آخر: إن مجموع الدخل الذي تحققه الدول الكُبرى من جرَّاء الضرائب الباهظة على إنتاج التدخين، هو أقلُّ بكثير من الأموال التي تنفق لمعالجة الأمراض الناتجة عن التدخين، مهما بلغ حجم الضرائب التي تجبيها الدول الكبرى من المدخنين، إنها أقلُّ بكثير من التي تنفقها على الأمراض التي نجمت عن التدخين .

أيها الأخوة الأكارم، نشرت مجلةٌ طبيةٌ بريطانية في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وثمانيةٍ وسبعين الحقائق التالية: إن بين كلَّ ثلاثة مدخنين يلقى أحدهم حتفه بسبب التدخين، والدول العظمى تواجه الأوبئة بقلقٍ شديد، فلو انتشرت الكوليرا في بلد، لخفَّ المسؤولون عن الصحة لمواجهة هذا المرض، ولكن لماذا لا يواجهون أخطار التدخين بهذا القلق الشديد؟ الجواب:

إن الآثار المدمرة للتدخين لا تظهر بشكلٍ واضح إلا بعد ربع قرن، الآثار المدمرة تظهر بعد عشرين عاماً، يدخِّن الشاب ولا يدري ماذا يفعل؟ لكن بعد أن تمضي عشرون عاماً أو زيادة، تبدأ الآثار الضخمة للتدخين، والإنسان جُبِل على رؤية الأخطار المباشرة، والتهاون عن رؤية الأخطار المستقبلة .

أيها الأخوة المؤمنون، حقائق مذهلة عن التدخين: تحوي السجائر الأجنبية التي تباع في الدول النامية على ضعف الكمية من المواد السامّة، مع أن الشركة نفسها، والاسم التجاري نفسه، ولكنَّ السجائر التي ترسل لتباع في الدول النامية تحوي ضعف المواد السامة المسموح بها في الدول المنتجة، لشدة الرقابة في هذه الدول .

أيها الأخوة المؤمنون، من بعض فقرات التقرير: أن الدخينة الواحدة بحسب عمر الشرايين وتصلبها، تنقص من عمر الإنسان بقدر الوقت الذي تستهلكه في تدخينه، فلو دخَّن في الإنسان في اليوم عشرين دخينة لقصُر عمره، لا بحسب اعتقادنا نحن، بل بحسب مرونة الشرايين وتصلُّبها، لنقص عمره خمس سنوات .

أيها الأخوة الأكارم، الأطفال الرُّضع الذين يعيشون في غرفٍ ممتلئة بدخان السجائر، أكثر تعرّضاً للالتهابات الرئوية، والنزلات الشعبية من أمثالهم من الأطفال الذين يعيشون في غرفٍ نظيفة، فالآباء الذين يدخِّنون يساهمون في إيذاء أولادهم الصغار، وهذه حقيقةٌ طبيةٌ ثابتة .

أيها الأخوة المؤمنون، كانت الحكومات تلزم معامل شركات التدخين أن يكتبوا على العُلبة: إن الدخان يضرُّ بصحَّتك، ولكنَّ منظمة الصحة العالمية ألزمت كل الشركات على أن تكتب على العلبة ما يلي: الدخان يسبب سرطاناً في الرئة، ونزلاتٍ شعبيةً مزمنة، وجلطاتٍ في القلب .

أخطر ما في الأمر: أنه لو شرب الخمر مئة إنسان، لكان احتمال أن يصاب خمسة عشر في المئة بالإدمان، أما لو دخَّن مئة رجل، لكان احتمال أن يصاب خمسةٌ وثمانون من هؤلاء بالإدمان، خمسةٌ وثمانون من هؤلاء المئة لا بدَّ أن يصابوا بمرضٍ اسمه: الإدمان على التدخين .

خاتمة الدرس :

يا أيها الأخوة المؤمنون، الله سبحانه وتعالى أحلَّ لنا الطيّبات، وحرَّم علينا الخبائث، أردت أن أبتعد في هذه الحقائق عن الخلاف فيما إذا كان الدخان حراماً أو مكروهاً، أردت أن أنقل لكم بعض ما في هذه الكتب العلمية التي تنشرها الدول إثر إحصاءاتٍ دقيقة .

فالمؤمن الحق يعرف ما ينفعه وما يضرّه، والمؤمن الحق يعرف عمره الثمين، وكيف ينبغي أن يقضيه؟ والنبي عليه الصلاة والسلام نهانا عن كلِّ ما يؤذينا، والله سبحانه وتعالى رغّبنا بالإيمان وزيَّنه في قلوبنا، وكرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وحينما يعصي الإنسان ربّه يقع في مزلاّتٍ خطيرة تؤذي حياته، وتؤذي آخرته .

13 - أثر التدخين في القلب والشرايين

تمهيد لمحتوى الموضوع :

أيها الأخوة المؤمنون، تحدثتُ في الأسبوعِ الماضي عن أنَّ الدّخان أكبرُ وباءٍ عالمي، وبيَّنتُ أخطاره من خلالِ بعض التقارير التي أصدرتها منظمة الصحة الدولية، واليوم أتابع هذا

الموضوع، فأبيِّن إن شاء الله تعالى أثر التدخين في القلب والشرايين، وقبل أن أوضح أثر التدخين في القلب والشرايين، لا بدَّ من تمهيدٍ قصير .

ربنا سبحانه وتعالى إكراماً لهذا الإنسان، جعل له مجموعةَ أجهزة، هذه الأجهزة تعينه على مواجهة الأخطار، فلو أن إنساناً كان يمشي في مكانٍ ما ورأى أفعى، ما الذي يحدث؟ يحدث ما يلي:

إن منظر الأفعى يرتسم على شبكية العين، وهذا هو الإحساس البصري، ومنظر الأفعى الذي على شبكية العين ينتقل إلى مركز الإدراك في المخ، والمخ أي الدماغ لما فيه من مفهومات، جاءت من خلال التجربة والتعليم، يعرف أن هذه الأفعى خطرة على حياته، إذن هو يواجه خطراً، يعطي الدماغ أمراً للغدة النخامية أنَّ هناك خطراً فعليكِ أن تتصرفي، تأمر الغدة النخامية الكظر، وهما غدتان فوق الكليتين، ويعطي الكظر الأوامر الخمسة التالية:

الأمر الأول: يعطي أمراً إلى كافَّة الأوعية بتضييق لمعتها، توفيراً للدم، الدم يجب أن يبذلَّ في العضلات، لأن الأمر خطير، لذلك تضيق لمعة الشرايين كلِّها حينما يأتي أمرٌ من الكظر إلى جميع الأوردة والشرايين، فالخائف يصفرُّ لونه، وما اصفرار لونه إلا إشارةٌ إلى ضيق الأوعية الدموية في الجسم، ويأتي أمرٌ آخر إلى القلب؛ فيزيد من ضرباته، والقلب ينبض في الأحوال الاعتيادية ثمانين نبضة، قد يرتفع النبض إلى مئةٍ وثمانين نبضة ليواجه الخطر، ويرسل الدم سريعاً إلى العضلات، ويأتي أمرٌ ثالث إلى الرئتين بأن تزيد من وجيبهما ، فالخائف يلهث، وأمرٌ رابع إلى الكبد بإطلاق كميةٍ من السكر في الدم، كي تواجه الخطر، وأمرٌ آخر إلى الصفيحات الدموية التي خلقها الله، لتسدَّ أي خللٍ أو خَرق في الشرايين، إذا أصيب الإنسان بجرح، فيزداد عددها في الدم .

هذا أمرٌ طبيعي، إذا واجه الإنسان خطراً ينبض قلبه بسرعةٍ أكبر، ورئتاه تخفقان بسرعةٍ أكبر، ويصفرُّ لونه لضيق لمعة الأوردة والشرايين، وتزداد نسبة السكر في الدم، وتزداد الصفيحات الدموية المجهَّزة لإغلاق كل فتحةٍ طارئة .

من آثار التدخين على القلب والشرايين :

ماذا يفعل الدخان في الإنسان؟ في الدخان مادةٌ سامة، اسمها: النيكوتين، تزيد هذه المادة من إفراز الأدرينالين، والأدرينالين هو الذي يزيد ضربات القلب ويضيِّق الشرايين، فشرايين المُدَخِّن ضيِّقة اللمعة، لذلك يغلب اللون الأصفر على المدخنين، ودائماً ضربات قلبه مرتفعة، وقلبه مجهود، لأن

هذه المادة السامة تزيد من إفراز هذا الهرمون الذي يحثُّ على رفع ضربات القلب، وعلى تضييق الشرايين .

أين الخطر؟ الخطر أن هذا الضيق الدائمَّ في الشرايين قد يسبب انسداداً في شرايين القلب، فتكونُ الذبحة الصدرية، أو تكون الجلطة، أو يسبب انسداداً في شرايين المخ، فتكون السكتة الدماغية، أو يسبب انسداداً في شرايين الساقين، فتكون الغرغرين، ولا بدَّ من قطع الساق يومئذٍ .

هذا الخطر كامنٌ في أنه يبقي الأوعيةَ الدموية بحالةٍ من التوتر والضيق، ماذا يفعل ضيق الأوردة والشرايين؟ يرفع الضغط، هذه أشياء أصبحت مقطوعاً بها، لذلك كل الشركات التي تصنع الدخان في كل أنحاء العالم ملزمةٌ أن تكتب عليه: إنه يسبب أضراراً كبيرة في القلب، والأوعيةَ الدموية .

شيء آخر: جهَّز ربنا سبحانه وتعالى العضوية بالدورة الدموية، والكرياتُ الحمراء، وفيها خضاب الدم الذي يحمل الأوكسجين من الرئتين ويطرحه في الخلايا، كي تحترق المواد السكرية، فتنشأ الطاقة في الإنسان، إن خضاب الدم يتحد مع أول أوكسيد الكربون الناتج عن التدخين، فخمسة عشر بالمئة من خضاب الدم تُعَطَّل في الإنسان، فإذا رفع نسبة التدخين تصبح ثلث الكريات الدم، أو ثلث ما فيها من خضاب معطَّلة عن نقل الأوكسجين من الرئتين إلى الخلايا، هذا هو الأثر الثاني من آثار التدخين في القلب، والأوردة، والشرايين .

آخر كلمة في هذا الموضوع، يساعد أول أكسيد الكربون الناتج عن التدخين على ترسيب الكوليسترول في جدران الشرايين، والأوردة، وترسيب الكوليسترول في الأوردة والشرايين يضيِّق لمعتها، ويرفع الضغط، ويصيب القلب بالإجهاد .

شيءٌ آخر: إنَّ احتمال إصابة المدخنين بأمراض القلب والشرايين، يزيد خمسة عشر ضعفاً عن غير المدخنين، قد يقول قائل: ألا يصاب غير المدخنين؟ نعم يصابون، ولكن احتمال الإصابة عند المدخنين تزيدُّ خمسة عشر ضعفاً عن غير المدخنين .

هذه الحقائق أضعها بين أيديكم كي تضعوها بين أيدي من حولكم ممن يدخن، عافانا الله وإياكم من هذا الوباء الخطير .

أمر مدهش وعجيب !

أيها الأخوة المؤمنون، كان من النادر في الخمسينات أن يصاب الإنسان بمرضٍ في أوعيته الدموية قبل سنِّ الخمسين، وفي الستينات، والسبعينات، أصبح أُناسٌ كثيرون يصابون في سن

الأربعين، وأحدثُ تقريرٍ يتعلَّق بهذا الموضوع: أن هناك حالاتٍ كثيرة يصاب فيها الإنسان بأمراض القلب والأوعية في سن الخامسة والعشرين بسبب التدخين .

ليس هناك مبالغة في هذه الكلمات، لو يعلم الإنسان ما في أخطار هذا الدخان لأقلع عنه من توه، وها أنا ذا أُعلمكم، ولا أريد أن أدخل في متاهة أنه حرامٌ أو مكروهٌ، هذه الحقائق العلمية أضعها بين أيديكم .

الخاتمة :

أيها الأخوة الأكارم، من علامة المؤمن أنه يعرف قدر نفسه، يعرف قيمة الحياة، يعرف قيمة الصحة، هذه الحياة زاده إلى الآخرة، هذه الحياة الدنيا وما فيها جسرٌ له إلى الجنة ، لذلك يجب أن يسعى سعياً حثيثاً إلى الحفاظ على صحته، لأنها رأس ماله، والله سبحانه وتعالى، يقول:

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

[سورة البقرة الآية: ١٩٥]

14 – التدخين السلبي

إليكم مضمون هذه المقالة :

صحيفة صدرت في دمشق، نشرت في يوم الأحد الواقع في العشرين من الشهر العاشر، الحقيقة التالية: تحت عنوان (التدخين انتحار بالتقسيط)، اخترت من هذه المقالة فقرة واحدة هي التدخين السلبي .

قال: التدخين السلبي هو التعرض لسجائر الآخرين في الأماكن المغلقة والمزدحمة، ويؤثر دخان السجائر على الأشخاص غير المدخنين أكثر من المدخنين أنفسهم، وأوضحت دراسة علمية أجرتها مجموعة من العلماء أن دخان السجائر يؤدي إلى زيادة نسبة الكولسترول في دم غير المدخن، وهذا يؤدي إلى الإصابة بأمراض القلب، وسرطان الجلد، والبلعوم، وغيرها من الأمراض المتعلقة بالتدخين، وعلى صعيد النساء الحوامل، فإن التدخين يضر بالنساء الحوامل كثيراً حتى لو كن غير مدخنات، أي أن الزوج حينما يدخن أمام زوجته الحامل، يجب أن يعلم ما سيكون .

تقول هذه الدراسة: وعلى صعيد النساء الحوامل فإن التدخين يضر النساء الحوامل كثيراً حتى لو كُنَّ غير مدخنات، لأن مادة النيكوتين تتسلل إلى الجنين في رحم أمه، فإذا تعرضت سيدة لا تدخن

لدخان سجائر لمدة ثلاث ساعات يومياً تزداد احتمالات إصابة جنينها بعاهات أو عيوب في النطق أو الذكاء .

أما إذا كانت السيدة الحامل تدخن فإن ذلك يؤدي إلى ولادة طفل ناقص الوزن أو قبل موعده الطبيعي إضافة إلى مشكلات في النمو العقلي، وإن التدخين لا يؤثر فقط على جنين سيدة تدخن أو تتعرض لدخان السجائر فإنه يؤثر أيضاً على أحفادها، ففي حال أنجبت السيدة طفلة فإنه تنتقل مخاطر التدخين إلى الجيل التالي إضافة إلى تأثر خصوبة الأحفاد .

الحديث اليوم عن غير المدخنين الذين لا يدخنون نساءً ورجالاً لكنهم يتعرضون لدخان المدخنين، هذه النتائج الوبيلة التي نطقت بها بعض الدراسات العلمية الموضوعية، والتي وردت في مقالة طويلة اخترت منها هذه الفقرة فقط .

كلمة أخرى في هذه المقالة، تقول هذه الدراسة: إن ثمانين بالمئة من مرضى القلب من المدخنين، قال تعالى:

﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٧]

فإذا ثبت بالدليل العلمي الصحيح، وبالدراسة الموضوعية أن الدخان من الخبائث فهو مشمول بهذه الآية .